

مُقـدِّمَة

إن الحمدَ لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرورِ أنفسنا وسيئاتِ أعمالنا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَ لَه ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ لَه ، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار شهادةٌ أدخرها ليومٍ تذهل فيه العقول وتشخصُ فيه الأبصار شهادةٌ أرجو بها النجاةَ من دار البوار وأؤمل بها جناتٍ تجري من تحتها الأنهار، هو الأولُ فليس قبله شيء والآخرُ فليس بعده شيء والظاهر فليس فوقه شيء والباطن فليس دونه شيء، ليس كمثلهِ شيءٌ وهو السميع البصير ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله المصطفى المختار الماحي لظلام الشرك بثواقب الأنوار صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأطهار صلاةً تدوم بتعاقب الليل والنهار .

(يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)[آل عمران :١٠٢]

(يَأَيّهَا النّاسُ اتّقُواْ رَبّكُمُ الّذِي خَلَقَكُمْ مّن نّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتّقُواْ اللّهَ الّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأرْحَامَ إِنّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)[النساء/ ١]

(يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)[الأحزاب ٧٠ – ٧١]

أما بعد

إنَّ مِمَّا ابْتُلِيَ به المسلمون وعمَّتْ به البلوى « انتشار مذهب العُشَّاق الفُسَّاق ،وما ترتب عليه من ضياع الأخلاق» ، فقد انتشر هذا الداء العضال والمرض القتَّال بين المسلمين انتشار النار في الهشيم ، وخلَّفَ ورائه فساداً عريضاً ودمَّر أخلاق الأمةِ وأطاح بكثيرٍ من بيوتها وألقى بها في براثن الفتن ومستنقع الرزايا والآثام ، فمما يُدمي القلوب ويفري الأكباد أن وقع كثيراً من الناس في شِراك العشق الحرام والعياذ بالله ، فَأَرْدَتْ أحدهم قتيلاً، وأورثته حزناً طويلاً ، فالعشق الحرام هو الفتنة الكبرى، والبلية العظمى التي استعبدت النفوس لغير خالقها، وملَّكتِ القلوبَ لعُشّاقها، فأحاطت القلوب بمحنة، وملأتها فتنة، فالمحب بمن أحبه قتيل، وهو له عبدٌ خاضعٌ ذليل، إن دعاه لَبَّاه، وإن قيل له ما تتمنى ؟ فهو غاية ما يتمناه.

ولأن هذا الداءُ العضال والمرض القتَّال قد انتشر انتشار الناس في الهشيم ، فقد أوجب علينا التحذير منه لأن التساهل بالعشق الحرام والتمادي فيه يجر إلى الفواحش والآثام ومواقعة الحرام، ويشغل القلوب عن علام الغيوب ، فكم أكبت فتنة العشق الحرام رءوساً في الجحيم، وأذاقتهم العذاب الأليم ، كم أزالت من نعمة، وأحلت من نقمة ، فلو سألت النِّعَمَ ما الذي أزالَكِ؟ والهمومَ والأحزانَ ما الذي جَلَبَكِ؟ والعافيةَ ما الذي أَبْعَدَكِ؟ والسترَ ما الذي كشفك؟ والوجهَ ما الذي أذهب نورك وكسفك؟ لأجابتك بلسان الحال : هذا بجناية العشق الحرام على أصحابه لو كانوا يعقلون ، ومن العواقب الوخيمة الناتجة عن العشق الحرام انتشار العلاقات المحرمة الذي لا يضر الفاعلين فقط، فقد جرت سنة الله أنه عند ظهور الزنا يشتد غضب الجبار. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما ظهر الربا والزنا في قرية إلا أذن الله بإهلاكها ، فقد ثبت في صحيح ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهرِ الفاحشةُ في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدةِ المئونة وجورِ السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاةَ أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ،ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم

فأخذوا بعض ما في أيديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم .

فكم من فتاة ضيعت شبابها وفضحت أهلها أو قتلت نفسها بسبب العشق الحرام ، وكم من فتى أشغل أيامه وساعاته وأضاع أنفاس حياته بسبب العشق الحرام ، «فلله كم زلت فيه أقدام وضلت فيه أفهام وحارت فيه أوهام» ،

ومما يُثِيْرُ اشمئزازَ النفسِ واستيائِها أن تجد أحدَ أولياء المرأة من الدِيثَةِ هو الذي يدلُها على العشق الحرام والعياذ بالله ـ نعوذ بالله من الخبال ـ ، وجدنا في بعض القضايا المعاصرة أن أحدَ أولياء المرأة يكلمها ويرغبها في الزواج من رجلٍ وهي في عصمة رجل آخر ، هذا والله من الخبال ، بل من السفه والضلال ، لأنه يجمع بين سوء الحال وقبح الفعال ، ولا يَصْدُرُ ذلك إلا من إنسانٍ ران على قلبه قبائحَ الأعمال ، وضُرِبَ على قلبه وسمعه من الذُّنوب أقفالٌ ، فصار يتقلبُ في ظلمات الجهل ، بلغ جهلُه عنان السماء وصار غارقاً في الفسق إلى الأذقان ، وإنك لتتعجب أشدَ العجب من هذا المخبول الذي لُوثَتْ فطرتُه وانتكس عقله وذهبتْ رجولتُه أدراجَ الرياح ، ولم يكن له نصيبٌ من التوفيق والفلاح ، ولم يَشُمْ رائحة الحياء ، لقد فعل فعلةً يستحي إبليس لعنه الله أن يفعلها ، ويخشى عبد الله ابن أُبَيّ ابن سلول زعيم المنافقين أن يُتَّهَم بها ،هذا الديوث الخليع الذي يُقْبِلُ على الخلاعة والدياثة إقبال الظامئ على المورد العذب ، فقلبه أعمى مُغْلَق مطموس ، قد ران على قلبه قبائح الأعمال ، وضُرِبَ على قلبه وسمعه من الذنوب أقفال « فتراه يُبَغِّضُ إلى المرأة زوجَها الذي أحله الله لها والذي يَعُفَها عن الحرام ، والذي هو أعظم الناس حقاً عليها ، ويُحَبِب إليها رجلاً أجنبياً ليدلها على الحرام ويعلمها فعلَ الخونةِ اللئام ، فيبوءُ بإثمه وإثمها أمام الملك العلاَّم يومَ يُؤْخَذُ بالنواصي والأقدام »، وإذا كان النبي ﷺ قد حَرَّمَ أن يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك ، فكيف بمن يُرَغِّبُ المرأة في الزواج من رجل وهي في عصمةِ رجلٍ آخر !!، ثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال : لا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك .، وإذا كانت المرأة المطلقة رجعياً لا يجوز كلامها في الزواج «لا تلميحاً ولا تصريحاً » لأن المطلقة رجعياً زوجة بنص القرآن الكريم ، قال تعالى: (وَبُعُولَتُهُنّ أَحَقّ بِرَدّهِنّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوَاْ إِصْلاَحاً) [البقرة:

٢٢٨].فسمَّى الله المُطَلِّقَ رجعياً زوج ، فكيف بمن يكلم المرأة في الزواج من رجل وهي في عصمة رجل آخر ، نعوذ بالله من الخبال ، ومن هنا يتضح وضوحاً جلياً أن هذا الإنسان الفاسد القلب والعقل والدين والضمير ــ أعني من يكلم المرأة في الزواج من رجل وهي في عصمة رجل آخر ــ قد تَقَلَّبَ في الخبال والوبال والسفه والضلال فجهلُه صريح ونقصُه قبيح ، يدلُ المرأةَ على النار ويعرضها للهيبها وبئس القرار .

والذي يمعنُ النظر في حال هذا الشيطان المريد الشقي التعس المحرومِ من توفيق الله وعصمته ــ قاتله الله ــ يجد أنه أفسد المرأة أيَّما إفساداً ، متجاهلاً تحذيرَ النبي ﷺ من إفساد المرأةِ على زوجها ، ووَلّاهُ ظهرَه ، وضرب به عُرضَ الحائط ، فقد ثبت في صحيح أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ليس منا من خَبَّبَ امرأة على زوجها أو عبدا على سيده .

(من خَبَّبَ امرأة على زوجها) : التخبيب هو إفساد الزوجة على زوجها بأن يذكر مساوئ الزوج عند امرأته ، أو يذكر محاسن أجنبي عندها أو حَسَنَ إليها الطلاق ليتزوجها هو أو يزوجها لغيره أو غير ذلك .

وإفساد هذا الشيطان المَرِيْد ــ قاتله الله ــ للمرأة يكون من وجوه متعددة منها ما يلي :

الوجه الأول : أنه قاتله الله «يُعَلِّمُ المرأةَ خائنة الأعين وكأنها ليست من دواهي الأمور» !!، «يعلمها خائنة الأعين وكأنها أمرٌ مباحٌ غير محظور»!! ، فتتناسى المرأة بشؤمها أن الله تعالى (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) [غافر : ١٩] فيصبحُ قلبها خَربٌ وبور وما فيه من نور لما أُشرِبَ من فتنة خائنة الأعين والعياذ بالله .

الوجه الثاني : أنه قاتله الله «يُعَلَّمُ المرأةَ كيف تَشْغَلُ بَالَها بغيرِ زوجها» ، «يُعَلِّمُها كيف تمتد عينها اللئيمةِ الخائنة الأثيمة إلى غير زوجها» .

الوجه الثالث : أنه قاتله الله «يُعَلَّمُ المرأةَ كيف تبيتُ مع زوجها وقلبها مع رجلٍ آخر» ، «فيضعها على أبواب العشق الحرام» ، «ويرمي بها في مستنقع الرزايا والآثام» ، «ويعلمها فعلَ الخونةِ اللئام» فيبوءُ بإثمه وإثمها أمام الملك العلاَّم يومَ يُؤْخَذُ بالنواصي والأقدام ، وإنك لتعجب من هذا الإنسان الشقي التعس الذي فَسَدَ قلبه وقالبه ،الذي انسلخ من خشيةِ الرحمن وامتثال القرآن فوكَلَه الله إلى الخذلان والعصيان واستحواذ الشيطان

،إنَّه المنافق معلوم النفاق ، «الديوث الذي نزعت منه الغَيْرَةُ على محارمه» ، «وكأنه قاتله الله يتبارى مع الخنزير نفسهِ أيهما أشد دِياثةً من صاحبه» ، فليت شعري من أباح له ذلك وأورد نفسه المهالك ، وإني والله لأعلم أناساً الواحدُ منهم ليس لديه مزيد عبادةٍ ولا علم ، لكن عنده نصيبٌ أوفى من الشهامة والنجابة وعنده غَيْرةٌ على محارمه ، لم تَلَوَثْ فِطْرَتُه ولم ينتكس عقلُه ،فإذا تَسَرَبَ إلى مسامعه أن موليته ـ أختاً كانت أو بنتاً ـ إذا تَسَرَبَ إلى مسامعه أنها من المُمْكِن أن تفكر في غير زوجها « لَصَكَهَا كفوفاً لا حَصْرَ لها وأقام الدنيا ولم يُقْعِدَها » لِيُشْعِرْهَا بشناعةِ الجناية التي تُفَكِرُ فيها ، وَفَدَاحَةِ المصيبة التي تريد أن تقدم عليها « هذا هو الرجلُ حقاً والحرُّ الأبِّي صِدْقا » ، الذي بلغ من الشهامة مبلغها ومن الرجولة ذروتها ، ومن التوفيق مداه ، لا كحالِ ذلك الديوثِ الخليع الأبعد الذي هو غارقٌ في الدِياثةِ إلى الأذقان ، وبلغ فسادُه عَنَان السماء ، والذي يمرُّ عُمْرُه مَرَ السحاب ولم يزداد إلا جهلاً على جهله وفسقاً على فسقه .

☜ الوجه الرابع : أنه قاتله الله قد ضَيَّع الأمانة ، فأصبح الفساد يتسربُ إلى المرأة من أناسٍ هم مَظَنَّةُ إصلاحِها لأنهم أولياؤُها ومحارمُها ، وإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، و قد فسَّر النبي ﷺ إضاعة الأمانة بأن يُسْنَدَ الأمرُ إلى غير أهله ، ثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال : (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة). قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: (إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة .

☜ هذا والله مما يثير العجب لأن الواجب على أولياء المرأة أن يأمروها بأن تقصر طَرْفَها على زوجها ولا تتعداه فتكون تقيةً نقيةً أشبه بنساء الجنة اللاتي وصفهن الله تعالى بقوله (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) [الرحمن /٥٦]

[*] قال ابن عباس رضي الله عنه معناها : لا يرين شيئاً في الجنة أحسن من أزواجهن.. ،

☜ ولكن كيف يأمرها بأن تقصر طَرْفَها على زوجها وهو الديوث الذي لا يغار على محارمه، وهو المحروم من توفيق الله تعالى وعصمته ، فليس كلُ أحدٍ يُوَفَقُ للخير وأن الله تعالى لا يُوَفِّقُ للخير إلا من يصطفيه ، ومن المعلوم شرعاً وعقلاً وبداهةً أن هناك فرقٌ شاسع وبونٌ واسع بين الرجال وأشباه الرجال ، وبين أرباب الشهامة والأنذال ، وبين الصادق الوفي ومن يدعي الصدق المحتال ، وبين من صفا عَقْلُه ومن كان في عقلهِ خَبَال

، نعوذ بالله من السفهِ والضلال ومن فِعْلِ الأنذال ، وهذا مما ابْتُلِيَ به المسلمون وعمّت به البلوى أن تجد بينهم فِئام لكنهم لئام ، ذئاب عليهم ثياب ، يلبسون حُلَلَ الإيمان على قلوب أهل الزيغ والطغيان ، فيصبحون اسماً بلا جسم وجسداً بلا روح ، لا يعرفون من الإسلام إلا اسْمُه ولا من المصحفِ إلا رَسْمُه ، يضرون ولا ينفعون ويفسدون ولا يصلحون ، قاتلهم الله أنَّى يؤفكون ، وكلٌ منهم يدعي وصلاً بليلى ، وليلى لا تُقِرُّ لهم بذاتِ ، وليست النائحةُ الثكلى كالمستأجرة .

ومما زاد الأمر سوءاً وزاد الطين بِلَةٍ أن كل من هب ودب يُصَيِّرُ نفسه من أهل الحل والعقد تطفلاً ، ولا أهليةَ له لذلك ، فليس لديه علمٌ يُعَوِّلُ عليه ولا ورعٌ يستندُ إليه ، الدين عنده ما يستحسنه ــ بتفكيره المذموم وقله المشئوم ــ دون أن يكلف نفسه عناءَ بحثٍ أو سؤالِ أهل العلم المعتبرين ، يمرُ عمره مر السحاب ولم يُوفق للصواب ولا موافقة السنة والكتاب ، فيضرُ بالناس ضرراً بليغا ويصل بهم إلى الهوَةِ السحيقة ، حتى أننا أصبحنا في زمان الرويبضة الذي أخبر عنه النبي ﷺ ، فقد ثبت في صحيح ابن ماجه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : سيأتي على الناس سنوات خَدَّاعاتٌ يُصدَّقُ فيها الكاذب ويُكَذَّبُ فيها الصادق ويُؤتَمَنُ فيها الخائن ويُخَوَّنُ فيها الأمين ويَنْطِقُ فيها الرُوَيْبِضَةَ قيل وما الرُوَيْبِضَةَ قال الرجل التافه في أمر العامة .

فلما رأيت الرعاع من الناس يغترون بأفعال العشاق الفساق وما ترتب عليه من فساد الأخلاق ، ورأيت الهمج من الناس يقتدون بأمثالهم دعاني ذلك إلى تصنيف كتاب خفيف يشتمل على صفوة مسائل العشق الحرام ، الذي هو أصدق دليلٍ على مَزَلَةِ الأَقْدَام ، والغرق إلى الأذقان في المعاصي والآثام ، وتعريضِ النفس لبطش الملك العلام يوم يؤخذ بالنواصي والأقدام ، لعل من زَلَّت قدمُه فيه أن يأخذ في الجدِ والاهتمام ، وأن يهجر الفواحش والآثام وأن يرجع إلى طاعة الملك العلام ، وأن يتوب إلى الله قبل انصرام العمر ومرور الأيام ،

أبعث إليه بكلمات مليئةٍ بالآلام ، وحروف سطرتها الأقلام ، على أوراق تتزاحم عليها النصيحة والكلام ، من باب الذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد ، يجد فيه وصايا ذهبية صادرة عن إخلاصٍ وحُسنِ طوية لكل من أراد أن تكون نفسه تقيةً نقيةً

عفيفةً حييَّةً حرةً أبيَّة مُشمِّراً في طاعة الله حتى تأتيه المَنِيِّة ، راجياً منه أن يُعِرْها سمعه وَفِكْرَه وأن تجد له في سمعه مسمعاً وفي قلبه موقِعاً عسى الله أن ينفعه بها ويُوَفِقْه إلى تطبيقها ، مستشهداً من كتاب الله تعالى بما يقتضيه ، ومن سنن رسوله ﷺ بما يضاهيه ، ليكون القارئ الكريم على بينةٍ من أمره، وبصيرةٍ من دينه، فلا يتأثر بشبهات الشاكين، وجدال المبطلين، وقلة السالكين، في زمن أصبح التمسك فيه بالدين غريباً في بني دينه المحاولين التمسك به، فكيف هو في المخالفين له، الصادين عنه؟! ، ثُمَّ مُتبِعًا ذلك بأمثال الحكماء وآداب البلغاء وأقوال الشعراء ، لأن القلوب ترتاح إلى الفنون المختلفة وتسأم من الفن الواحد ، وقد قال علي ابن أبي طالب ﷺ : إن القلوب تملُّ كما تملُّ الأبدان فاهدوا إليها طرائف الحكمة .

➢عملي في هذا الكتاب :

(١) قمت بتقسيم الكتاب إلى أربعة أبواب رئيسية ، الباب الأول أوردت فيه «التنبيهات الهامة لإصلاحِ نساءِ الأمة» ، وهو من أنفع الأبواب وأكثرها فائدة في هذا المجال ــ أعني مجال تحذير الأنام من زَلَةِ الأقدام في العشق الحرام ــ ولذا رأيت أن أبدأ به ، تَقْدِمَةً لما بعده من الأبواب وتفسيراً شرعياً لأمورٍ كثيرة قد يخفى على الناس تفسيرها تفسيراً شرعياً ، لأن التفسير الشرعي للأمور هو الميزانُ الصحيح والمقياس الدقيق المعتبر الذي يطلع الإنسان من خلاله على حقيقة الأمور كما أرادها الله تعالى بعيداً عن مستنقع الميل مع الهوى الذي أهلك معظم الناس ورمى بهم في أحضان الرزايا والآثام فعرضوا أنفسهم لسخط الملك العلاّم يوم يؤخذ بالنواصي والأقدام ، فهو فصل الخطاب الذي يَلُمُّ شَعَثَ القَلبِ ويَرُدُّه للحق والصواب ، وهو الحماية لِجَنَابِ البيوت من التشتت والضياع ، وحفظها من الدمار وهدمِ الديار ، يجد القارئ فيه ما يبل الصدى ويروي الغليل في هذا المجال ، « وهذا الباب يشمل التنبيهات الهامة لإصلاح نساء الأمة » ، «هذه التنبيهات أذكرها تنبيهاً وتحذيراً» من أمورٍ عَمَّتْ بها البلوى وانتشرت بين المسلمين انتشار النار في الهشيم ، فخلَّفَتْ ورائها فساداً عريضاً ودمَّرت أخلاق الأمةِ وأطاحت بكثيرٍ من بيوتها وألقت بها في براثن الفتن ومستنقع الرزايا والآثام ، سوف يجد القارئ في هذا الباب وصايا جامعةٍ نافعة للنساء ، وصايا عَاجِلُها صَلَاح وآجِلُها فلاح ، «وصايا تُذَكِّرُ العاقلة وتنبه الغافلة وتقوِّم

المائلة» ، يجد في هذا الباب نفعٌ عميم وتوجيةٌ سليم لمن أراد أن يستقيم وأن يلقى ربه بقلبٍ سليم ، فمن أراد السلامة ــ والسلامةُ لا يعدِلُها شيء ــ فليتأمل هذه المسائل بعين البصيرة ويمعنُ النظرَ فيها ويجعل لها في سمعه مسمعا وفي قلبه موقعا ،عسى الله أن ينفعه بها ويوفقه إلى تطبيقها ، أوردت فيه متى يظهر معدن المرأة الحقيقي ؟وهل يجوز للمرأة أن تكلم رجلاً أجنبياً بغير إذن زوجها ؟ وما هي أصناف النساء في حفظهنَّ لغيبة زوجها ؟ وما هو منهج المرأة الفاسدة في تعاملها مع زوجها؟ وفتنة النساء وكيفية النجاة منها ، ووسائل حماية المجتمع من خطر فتنة النساء ، ثم أنتقل إلى الباب الثاني فأورد فيه «صفوة مسائل العشق الحرام» بادئا بتعريف العشق ، ومراتب العشق ، وأن المحبة جنس والعشق نوع ، وأسباب العشق ، وذم العشق ، وأن العشق بَيِّنُ الضرر في الدين والدنيا ، وذكر من ألقى به العشق في الهاوية ، وأختم الباب بكيفية التوبة من العشق ، والأسباب المعينة على ترك العشق ، ثم أنتقل إلى الباب الثالث «زلة الأقدام في العشق الحرام» فأورد فيه من الذي يفتح المجال للعشق الحرام الرجل أم المرأة ؟ وكيف يقع العشق المحرم ؟ وماذا تصنع المرأة الفاسدة لتصل إلى معشوقها؟ وسوء عاقبة المرأة الفاسدة التي قبلت الإفساد على زوجها ، وماذا يصنع العاشق المحتال حينما تصل إليه معشوقته ، ثم أنتقل إلى الباب الرابع «جريمة إفساد المرأة على زوجها» بادئاً بالترهيب من إفساد المرأة على زوجها ، وصور إفساد المرأة علي زوجها ، وحكم المرأة التي تقبل التخبيب والإفساد على زوجها،وسوء عاقبة التخبيب ، وأختم الباب بقصص مأساوية دامية لسوء عاقبة التخبيب .

(٢) إن هذا الكتاب خلاصةٌ انتَخَلْتُها وزبدةٌ استخلصتها بفضل الله تعالى ومعونته وَمِنَّتِه من صفوة الكتب في العشق ومسائله عدا كتب التفسير والحديث والفقه ونحوها ، جمعت منها غرر الفوائد ، ودرر الفرائد ، وأخذتُ منها لباب النقول من الكتب الفحول ، أهديها لكل لِسَانٍ سَؤولٍ وَقَلْبٍ عَقُولٍ ، سائلاً الله تعالى أن يُلْبِسَها حُلَل القبول وأن يرزقني وإياكم الثواب المأمول ، وهآنذا أضع هذا الجهد المُقِل بين يدي القارئ الكريم من باب الذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد ، يجد فيه وصايا ذهبية صادرة عن إخلاص وحُسنِ طوية لكل من أراد أن تكون نفسه زاكيةَ عليَّةً ، تقيةً نقيةً عفيفةً حييَّةً حرةً أبيَّة

مُشَمِّرًا في الطاعة حتى تأتيه المَنِيّة ، راجياً منه أن يُعِرْها سمعه وَفِكْرَه وأن تجد له في سمعه مسمعاً وفي قلبه موقعاً عسى الله أن ينفعه بها ويُوَفِقْه إلى تطبيقها .

(٣) أني أذكر المسألة مستشهداً من كتاب الله تعالى بما يقتضيه ، ومن سنن رسوله ﷺ بما يضاهيه ، ليكون القارئ الكريم على بينةٍ من أمره، وبصيرةٍ من دينه، فلا يتأثر بشبهات الشاكين، وجدال المبطلين، وقلة السالكين، في زمن أصبح التمسك فيه بالدين غريباً في بني دينه المحاولين التمسك به، فكيف هو في المخالفين له، الصادين عنه؟! ، ثُمَّ مُتْبِعًا ذلك بأمثال الحكماء وآداب البلغاء وأقوال الشعراء ، لأن القلوب ترتاح إلى الفنون المختلفة وتسأم من الفن الواحد ، وقد قال علي ابن أبي طالب ﷺ : إن القلوب تملُّ كما تملُّ الأبدان فاهدوا إليها طرائف الحكمة .

(٤) أنني لا أورد حديثاً إلا عزوته إلى بعض الكتب الصحيحة على المنهج الآتي :

ما كان في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بتخريجه منهما أو من أحدهما لتلقي الأمة لهما بالقبول، وما لم يكن في الصحيحين أو أحدهما أعزوه إلى صحيح السنن الأربعة إن كان موجوداً بها كلها ، وإن كان موجوداً في بعضها فإنني أعزوه إلى كتابين فقط منهم وإن كان موجوداً في ثلاث ، وإن كان موجوداً في كتاب واحد منهم أعزوه إليه ، وهكذا تجدني أيها القارئ الكريم أُقَدِّمُ الكتبَ الستةَ على غيرها لأنها عماد طالب العلم في الحديث ــ بعد الله تعالى ــ ، وما لم يكن في الكتب الستة فإنني أعزو الحديث إلى غيرها من الكتب الصحيحة مثل صحيح الجامع ، صحيح الأدب المفرد ، السلسلة الصحيحة ، صحيح الترغيب والترهيب ، صحيح السيرة النبوية ، كما أنك تجدني أيها القارئ الكريم أحيل في تصحيح الحديث وتضعيفه على العلامةِ الضياءِ اللامعِ والنجم الساطع الشيخ الألباني رحمه الله ، ونحن حينما نحيل على الشيخ الألباني فإننا ــ ولاشك ــ نُحِيْلُ على مليٍّ لأنه كوكبُ نظائره وزهرةُ إخوانه في هذا الشأن في زماننا ، هذا العالم الجليل الذي وسَّع دائرةَ الاستفادةِ من السنة بتقديمه مشروع (تقريب السنة بين يدي الأمة) ذلك المشروع الذي بذل فيه أكثر من أربعين سنة ، ومن أراد أن يعرف هذه الفائدة العظيمة فلينظر على سبيل المثال إلى السنن الأربعة التي ظلَّت مئات السنين محدودة الفائدة جداً حيث كانت الاستفادة منها مقتصرة على من كان له باع في تصحيح الحديث وتضعيفه ولكن بعد تقديم الشيخ

الألباني لصحيح السنن الأربعة اتسعت دائرة الاستفادة حتى تعم كل طالب أراد أن يستفيد ، وهذا ولا شك فائدة عظيمة جداً عند من نور الله بصيرته وأراد الإنصاف ، ومن المؤسف في زماننا هذا أن نرى بعض طلبة العلم ممن لا يقام لهم وزناً في العلم يتطاولون على الشيخ الألباني ويجترئون عليه ويترقبون له الهفوات ويتصيدون له الأخطاء ويلتمسون العثرات ليشهروا به ، وهذا ــ ولا شك ــ يدل على فسادِ النية وسوء الطوية وسقامةِ الضمائر ولؤم السرائر ويدل كذلك على أن قلبه أخلى من جوف البعير ، إذ لو تعلم العلم لَعَلِمَ أن من أدب العلم التوادَ فيه ، ولقد كان ابن عباس – رضي الله عنهما ــ يأخذ بركاب زيد ابن ثابت ــ رضي الله عنه ــ ويقول هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء ، وكان الشافعي رحمه الله يقول لعبد الله ابن الإمام أحمد : أبوك من الستة الذين أدعو لهم كل يوم عند السحر ، ولا أدري كيف سوّلت لهم أنفسهم أن يتطاولوا على عالمٍ صاحب حديث رسول الله أكثر من نصف قرن ؟!، أما كان يجب عليهم أن يدعوا له في كل سجدةٍ يسجدونها لله تعالى جزاءاً لما وفقه الله تعالى في هذا العمل الجليل تجاه السنة المُشَرَّفة بدلاً من أن يتجرئوا عليه ، نعوذ بالله تعالى من الخبال !، ثم ماذا ينقمون عليه ؟! فقد كان رحمه الله تعالى من أئمة الهدى وأعلام التقى ومصابيح الدجى ، من حلية الأولياء وأعلام النبلاء وحراس العقيدة وحماة السنة وأشياع الحق وأنصار دين الله عز وجل ، حاملُ لواء السنة وناصرها وقامع البدعة ودامغها ، صدر الزمان ، محيي الدين ، قطب الإسلام ، كان الكتاب والسنة له كالجناحين للطائر يتمسك بهما ويعضُ عليهما بالنواجذ، وكان رحمه الله تعالى شهاباً ثاقباً ونجماً ساطعاً وبدراً طالعاً وسهماً نافذاً ، وكان كوكبَ نُظَرَائه وزهرةَ إخوانه ، تفوح منه علامات اليُمْنِ وأمارات الخير ورائحة التوفيق والسداد ، واحد زمانه، وإمام عصره وأوانه ، العالم الحبر، ذو الأحلام والصبر، العلم حليفه، والزهد أليفه ، وكان رحمه الله تعالى خزانة علم فكان علمه واسعاً مباركا كالغيث من السماء أينما حل نفع ، يتفجَّرُ العلمُ من جوانبه، وتنطِقُ الحكمةُ من نواحيه، لا يُشَقُ له غُبارٌ في غزارة علمه ودقة استنباطه للفوائد والأحكام وسعة فقهه ومعرفته بأسرار اللغة العربية وبلاغتها ، وكان رحمه الله ذا همةٍ عاليةٍ تناطح السحاب في طلب العلم فكان يُقْبِلُ على طلب العلم إقبالَ الظامئ على الموردِ العذب فقد أفنى جلَّ عمره في طلب العلم فكان إماماً يقتدى به في ذلك

وكان مناراً عظيماً من منارات العلم ، مناراً راسيَ القواعد مُشَيَّدَ الأركان ثابتَ الوطائـد ، الإمام اللبيب، ذو اللسان الخطيب، الشهاب الثاقب، والنصاب العاقب، صاحب الإشارات الخفية، والعبارت الجلية ، ذوالتصانيف المفيدة ، والمؤلفات الحميدة ، الصوَّام القوَّام ، الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة ، صاحب الأخلاق الرضية ، والمحاسن السنية ، العالم الرباني المتفق على علمه وإمامته وجلالته وزهده وورعه وعبادته وصيانته في أقواله وأفعاله وحالاته، كان رحمه الله تعالى سراج العباد، ومنار البلاد ، رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً تعمُ أرجائه ، وتغمده برحمةٍ فوق ما يخطر ببال أو يدور في الخيال ، وأنعم عليه برضا الكبير المتعال إنه وليُ ذلك والقادرُ عليه .

، ولا أدري كيف يتطاولون على العالم والكتاب والسنة طافحين بما يدل على احترام أهل العلم وتوقيرهم ، ألا فليحذر طالب العلم من أن يكون سيئ الخلق ناطحاً للسحاب يترقب للعالم الهفوات ويلتمس العثرات لِيُشَهِّرَ به فإن ذلك ينقصُ من مقدار التقوى عنده مما يكون سبباً في حرمانه من العلم ، بل ينبغي لطالب العلم أن يكون كريمَ الطباع حميدَ السجايا مهذبَ الأخلاق سليمَ الصدر مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر إذا تكلم غَنِمَ وإذا سكت سَلِمَ وينبغي له أن يعرف أن العالم مع جلالته وسعة علمه قد يخطأ في اجتهاده فإن لكل جوادٍ كبوة ولكل عالمٍ هَفْوَة وسبحان من له الكمال ، فلا يكن خطأ العالم سبب لانتقاصك لحقه أو فرصة للنيلِ منه ، وليكن نصب عينيك ومحط نظرك وقِبْلَة قلبك أن العالم مثابٌ على اجتهاده سواء أصاب أم أخطأ وحسبُك حديث النبي ﷺ الثابت في الصحيحين عن عبد الله ابن عمرو ــ رضي الله عنهما ــ أن النبي ﷺ قال : إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر . ، ثم عليك بعد ذلك أن تترك العالم هو الذي يحكم على العالم واخرج من بين النسور ولا تناطح السحاب .

(٥) أنا أقدم هذا الكتاب كتمرين لطالب العلم على حفظ المسألة بأدلتها من الكتاب والسنة الصحيحة حتى ينشأ طالب العلم على هذا النحو وحتى يصل إلى أن يكون ذلك طبعاً له لا تكلفاً ويكون الكتاب والسنة له كالجناحين للطائر يتمسك بهما ويعض عليهما بالنواجذ ، لأن ذلك سبيل النجاةِ من الضلال لقول النبي ﷺ فيما ثبت في صحيح الجامع عن أبى هريرة

رضي الله عنه (تركتُ فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض)

ولسان حاله يقول : أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا خالفت الوحيين الشريفين الكتاب والسنة الصحيحة .

ويجب التنبيه على طالب العلم أن يتمسك بالوحيين كليهما (الكتاب والسنة) وليس الكتاب فقط لقول النبي ﷺ فيما ثبت في صحيح أبي داوود عن المقدام ابن معد يكرب رضي الله عنه (ألا وإني أوتيتُ القرآنَ ومثلَه معه) ومن المؤسف فى زماننا هذا تجرئ بعض الجهلة على النبي ﷺ فيقولون إنه بشر مثلنا هات الدليل من القرآن فقط ـ وهذا يدل ولا شك ـ على أن قائل هذه العبارة جاهل جهلا مركباً بل هو أضل من حمار أهله ، وقد أخبر النبي ﷺ أن هذا سيقع في أمته فقال فيما ثبت في صحيح ابن ماجة عن المقدام ابن معد يكرب رضي الله عنه (يوشك الرجل متكئاً على أريكته يُحَدَثُ بحديثٍ من حديثٍ فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ،فما وجدنا فيه من حلالٍ استحللناه وما وجدنا فيه من حرامٍ حرمناه ، ألا وإن ما حرَّم رسول الله مثل ما حرم الله)

ولقد كان السلف الصالح رحمهم الله تعالى يدعون إلى التمسك بالوحيين كليهما ويُضَلِلُون من يتمسك بالكتاب فقط ، قال أبو قلابة : إذا رأيت رجل يقول هات الكتاب ودعنا من السنة فاعلم أنه ضال .

[*] وقال الإمام احمد رحمه الله:

دين النبي محمدٍ أخبارُ | نعم المطيةُ للفتى الآثارُ
لا ترغبنَّ عن الحديثِ وأهله | فالرأيُ ليلٌ والحديثُ نهارُ

[*] وقال الشافعي رحمه الله

كُلُ العلومِ سوى القرآنِ مشغلةٌ	إلا الحديثِ وعلمِ الفقه في الدين
العلمُ ما كان فيه قال حدثنا	وما سوى ذاك وسواسِ الشياطين

(٦) أختم الكتاب بفهرس مزود بأرقام الصفحات لسهولة الحصول على العنصر المراد من الكتاب .

« فيا أيها الناظر فيه لك غُنمه وعلى مؤلفه غُرمه ن ولك صفوه وعليه كَدره، وهذه بضاعته المزجاة تُعْرَضُ عليك وبناتُ أفكاره تزف إليك ، فإن صادفت كفؤاً كريما لم تعدم منه أمساكاً بمعروف أو تسريحاً بإحسان ، وإن كان غيره فالله المستعان ، وما كان منه من صواب فمن الواحد المنان وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان والله برئ منه ورسوله وأنا راجعٌ عنه بإذن الله ، هذا والله أسأل أن يُعلِّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علَّمنا، وأن يزيدنا عِلمًا ، وأن يجعل هذا الكتاب حجةً لنا لا علينا وأن يتقبله عنده بقبولٍ حسن وأن ينفع به من انتهى إليه إنه خير مسئول وأكرم مأمول ، وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم وسبباً لنيلِ جناتِ النعيم وأن يعصمني وقارئه من الشيطان الرجيم ،كما أسأله سبحانه الله أن يحملنا على فضله ولا يحملنا على عدله إنه سبحانه على من يشاءُ قدير وبالإجابة جدير وهو حسبنا ونعم الوكيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه»

أبو رحمة / محمد نصر الدين محمد عويضة

المدرس بالجامعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة فرع مدركة ورهاط وهدى الشام

٢٢/١٠/١٤١٨ هجرية

highsneakers@gmail.com
highsneakers@hotmail.com
+2124795825

«باب التنبيهات الهامة لإصلاحِ نساءِ الأمة»

﴿ تَقْدِمَة ﴾ :هذا الباب من أنفع الأبواب وأكثرها فائدة في هذا المجال ــ أعني مجال تحذير الأنام من زَلَةِ الأقدام في العشق الحرام ــ ولذا رأيت أن أبدأ به ، تَقْدِمَةً لما بعده من الأبواب وتفسيراً شرعياً لأمورٍ كثيرة قد يخفى على الناس تفسيرها تفسيراً شرعياً ، لأن التفسير الشرعي للأمور هو الميزانُ الصحيح والمقياس الدقيق المعتبر الذي يطلع الإنسان

من خلاله على حقيقة الأمور كما أرادها الله تعالى بعيداً عن مستنقع الميل مع الهوى الذي أهلك معظم الناس ورمى بهم في أحضان الرزايا والآثام فعرضوا أنفسهم لسخط الملك العلاّم يوم يؤخذ بالنواصي والأقدام ، فهو فصل الخطاب الذي يَلُمُّ شَعَثَ القَلبِ ويَرُدُه للحق والصواب ، وهو الحماية لِجَنَابِ البيوت من التشتت والضياع ، وحفظها من الدمار وهدم الديار ، يجد القارئ فيه ما يبل الصدى ويروي الغليل في هذا المجال ، « وهذا الباب يشمل التنبيهات الهامة لإصلاح نساء الأمة » ، «هذه التنبيهات أذكرها تنبيهاً وتحذيراً وتلقيناً وتدريساً» لأمورٍ عَمَّتْ بها البلوى وانتشرت بين المسلمين انتشار النار في الهشيم ، فخلَّفَتْ ورائها فساداً عريضاً ودمَّرت أخلاق الأمةِ وأطاحت بكثيرٍ من بيوتها وألقت بها في براثن الفتن ومستنقع الرزايا والآثام ، سوف يجد القارئ في هذا الباب وصايا جامعةٍ نافعة للنساء ، وصايا عَاجِلُها صَلَاح وآجِلُهَا فلاح ، «وصايا تُذَكِّرُ العاقلة وتنبه الغافلة وتقوِّم المائلة» ، يجد في هذا الباب نفعٌ عميم وتوجيهٌ سليم لمن أراد أن يستقيم وأن يلقى ربه بقلبٍ سليم ، فمن أراد السلامة ــ والسلامةُ لا يعدِلُها شيء ــ فليتأمل هذه المسائل بعين البصيرة ويمعنُ النظرَ فيها ويجعل لها في سمعه مسمعا وفي قلبه موقعا ،عسى الله أن ينفعه بها ويوفقه إلى تطبيقها .

◆ عناصر الباب :

- متى يظهر معدن المرأة الحقيقي ؟
- هل يجوز للمرأة أن تكلم رجلاً أجنبياً بغير إذن زوجها :
- ما هي أصناف النساء في حفظهنَّ لغيبة زوجها :
- ما هو منهج المرأة الفاسدة في تعاملها مع زوجها :
- وسائل هدم البيوت :
- ذنوب الخلوات تكون سبباً في هتك الستر :
- فتنة النساء وكيفية النجاة منها :
- أروع القصص للصادقين في العفاف :
- وسائل حماية المجتمع من خطر فتنة النساء :
- المكافأة في الآخرة لمن صان نفسه عن الحرام في الدنيا :

➢صفات الحور العين الخَلْقية :

➢صفات الحور العين الخُلُقية :

➢ما جاء في التمتع بالحور العين :

وهاك تفصيل ذلك في إيجازٍ غيرِ مُخِّل :

➢متى يظهر معدن المرأة الحقيقي ؟

مسألة : متى يظهر معدن المرأة الحقيقي ؟

الجواب :

الحقُ الذي لا مِريَّةَ فيه أنَّ معدنَ المرأةِ الحقيقي من نفيسٍ أو خسيس لا يظهرُ إلا إذا قسا عليها زوجُها أو أراد تقويمها وتفهيمها أو تأديبها وتهذيبها ــ وهو حاصلٌ من أي زوجٍ أحيانا ــ هذا هو الميزان الصحيح والمقياس الدقيق المعتبر الذي يطَّلعُ الإنسانُ من خلاله على معدنَ المرأةِ الحقيقي من نفيسٍ أو خسيس ، فإن كانت المرأةُ صالحةً نهجت نهجَ الصالحاتِ الأطهار ، وإن كانت المرأةُ فاسدةً نهجت نهج العشيقاتِ الأقذار ، والسؤال الذي يطرح نفسه الآن : ما هو نهج الصالحات الأطهار وما هو نهج العشيقات الأقذار ؟

وهاكِ الجواب :

➢أولاً نهج الصالحات الأطهار :

إذا كانت المرأةُ صالحةً وقسا عليها زوجُها أو أراد تقويمها وتفهيمها أو تأديبها وتهذيبها ــ وهو حاصلٌ من أي زوجٍ أحيانا ــ «ألْجَمَتْ نفسَها بِلِجَامِ الخشيةِ المُحْكَم» ، «وهرعت إلى زوجها تسترضيه» وتقول له « هذه يدي في يدك لا أذوق غَمْضَاً حتى ترضى» متأسيةً بقولِ النبي ﷺ في الحديث الآتي :

◆(حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة ؟ الودود الولود ، العئود التي إذا ظُلِمَتْ قالت : «هذه يدي في يدك لا أذوق غَمْضَاً حتى ترضى» .

[*] قال الإمام المناوي رحمه الله تعالى في فيض القدير :

(التي إذا ظلمت) بالبناء للمفعول يعني ظلمها زوجها بنحو تقصير في إنفاق أو جور في قسم ونحو ذلك .

(قالت) مستعطفة له .

(هذه يدي في يدك) أي ذاتي في قبضتك .

(لا أذوق غمضاً) بالضم أي لا أذوق نوماً يقال أغمضت العين إغماضاً وغمضتها تغميضاً أطبقت أجفانها .

(حتى ترضى) عني فمن اتصفت بهذه الأوصاف منهنّ فهي خليقة بكونها من أهل الجنة وقلما نرى فيهن من هذه صفاتها فالمرأة الصالحة كالغراب الأعصم . أهـ

☜(لا أذوق غمضاً) لا أكتحل بنومٍ ولا أذوق طعم النوم حتى ترضى عني ، على الرغم من أنك الذي ظلمتني أو قسوت علي أو قصرت في حقي ، لأنها من قاصرات الطرف ، لأنها من الصالحات القانتات الحافظات للغيب بم حفظ الله ، لأنها «دُرَّةٌ مَصُونَةٌ وجَوهَرةٌ مكنونة» لأنها «حَصَانٌ رزانٌ لا تُزَنُ بريبة » لأنها «لا تتصيدُ غلطًا ولا تكثرُ لغطًا» لأنها « أنفس من الذهب الخالص وأعز من الكِبريت الأحمر وأندرُ من الغُرابِ الأعصم » ، لأنها «تقيةٌ نقيةٌ عفيفةٌ حييةٌ حرةٌ أبية» تحفظ غيبته وتصون كرامته وترافقه حتى تأتيه المنية ، وتُعِينه على الطاعة وتُعِدُّ معه لقيام الساعة ، وحقٌ على من مَنَّ الله تعالى عليه بزوجةٍ مثل هذه أن يُقَبِّلَ رجليها قبل يديها وأن يضعها على رأسه وأن يُمَرِّغَ جبينه المعقود للرب المعبود شكراً على أنه سبحانه رزقه زوجةً صالحةً هي خيرُ متاع الدنيا .

➢ثانياً نهج العشيقات الأقذار :

إن من المعلوم شرعاً وعقلاً وبداهةً أن العشيقةَ لا تريد إلا كلاماً معسولاً أو أوقاتاً خلاَّبة دون أدنى استعداد للصبر على الرجل ، فالصبر على الرجل لا يخطر لها ببال ولا يدور لها في الخيال ، وهذا والله من الخبال بل هو من السفه والضلال لأنه يجمع بين سوء الحال وقبح الفعال ،وعلى ذلك فالمرأة إذا كانت فاسدةً نهجت نهج العشيقات الأقذار «وصيَّرت نفسها مفلوتةَ الزِمام بلا خطام» ، فإذا قسا عليها زوجُها أو أراد تقويمها وتفهيمها أو

تأديبها وتهذيبها ــ وهو حاصلٌ من أي زوجٍ أحيانا ــ«فإنها لا تصبر على زوجها البتة» « وراحت تقابله الكلمةُ بعَشْرِ أمثالها أو تزيد، وترشقه بكلامٍ أجرحَ من السكين وأَحَـدُّ مـن السيف وأقسى من الحجارة وأمرُّ من العلقم ، وتنقره نقرَ الديك وتنطحه بقرونها ، وتَعْقِـدُ جَبِينَها ، وتُكَشِّرُ عن أنيابها كأنها خِصمٌ عنيد ألدُّ الخِصام شرس الخلـق ، فتتأسـدُ علـى زوجها وتتربصُ به الدوائر ، ثم يبدو لها أن تعاقبه أو تنتقم منـه ــ بتفكيرهـا المـذموم وعقلها المشئوم وبوحيٍ من الشيطان ــ فقد صيَّرت نفسها أحدُ جنوده ، فتهرعُ إلى رجـلٍ غير زوجها ، وتلتفت إلى غيره وتمتد عينها اللئيمةُ الخائنةُ الأثيمةُ إلى غيـر زوجهـا»، لأنها عتيةٌ غوية فاجرةٌ شقية شيطانةٌ مِريدة ، لأنها شقيةٌ تَعِسة محرومةٌ من توفيـق الله وعصمته ، لأنها جبِلَةٌ نَكِدَةٌ فيها عِوَجٌ لا يُرجى اعتداله ، لأنها امرأةٌ فاسدة فيها ميلٌ إلـى الحرام مصداقاً لقول النبي ﷺ كما في صحيح مسلم (مائلات مميلات) ولا يظهر ذلك إلا في مثل هذه المواطن ، وما ذلك إلا لخِسةِ طَبْعِها ودناءةِ نفسـها ، ورداءةِ معـدنها، وسـوادِ قَلبِها، وهوانها على الله ، فقد صارت بِجُرْمِها أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن لأنها تترك الطهارة ولا تجد بغيتها إلا في القذارة ومواطن النتن .

[*] كان الحسن البصري رحمه الله تعالى إذا ذكر أهل المعاصي يقـول:هـانوا علـى الله فعصوه ، ولو عزوا عليه لعصمهم .

فمن هوانها على الله تعالى أن وَكَلَها إلى الزلل ولم يوفقها لصالح العمل لأنهـا كفـرت بنعمة الله عليها بزوجٍ صالحٍ يأوي إليها وتحتمي به دون من حواليها فبدلت الشكر الجزيل والعرفان بالجميل بالفعل الوبيل،قاتلها الله وصدَّع بنيانها وأتلفهـا وشـل أركانهـا وجعـل الدائرة عليها،وأصابها بكلِ داءٍ عِضال ومرضٍ قتَّال تتمنى منه الخلاص ولات حين مناص.

ومما يدمي القلوب ويفري الأكباد ويذيب الأجساد أن هذا الصنف الخبيث من النسـاء ــ قاتلهن الله ــ صار موجوداً بكثرةٍ في هذا الزمان ، فقد انتشر انتشار النار فـي الهشـيم ، والواقع خيرُ شاهدٍ على هذا ، فما أن يقسوَ الرجل على زوجته ــ وهو حاصلٌ من أي زوجٍ أحياناً ــ إلا وترشقه بكلامٍ أجرح من السكين وأحدُّ من السيف وأقسى من الحجارة وأمـرُّ من العلقم ثم تلتفت إلى غيره وتمتد عينها اللئيمةُ الخائنةُ الأثيمـةُ إلـى غيـر زوجهـا ،

☜والنساء يُفسدُ بعضهن بعضاً في هذا الموطن الخبيث والمستنقع الآسن ، فتسمع منهن

كلاماً ساقطاً يستحي إبليس أن يقوله ، كلاماً لو مُزِجَ بماء البحر لمزجه ،كلامٌ ينسلخُ من الفضيلةِ ويأوي إلى الرذيلة .

تقول إحدي النساء الفاسدات :

ماذا تصنع المرأة إذا قسا عليها زوجها ؟ إن المرأة ضعيفة ، وكأنها تلتمس للمرأة عذراً أن «تُصَيِّرَ نفسها مفلوتةَ الزمامِ بلا خِطام» وتفعل ما يغضب الله أو تهرع إلى ر جلٍ غير زوجها إذا قسا عليها زوجُها أو أراد تقويمها وتفهيمها أو تأديبها وتهذيبها، وهذا كلامٌ ساقطٌ يستحي إبليس أن يقوله ، كلامٌ لو مُزِجَ بماء البحر لمزجه ،كلامٌ ينسلخُ من الفضيلةِ ويأوي إلى الرذيلة .

ولأنه لكل مقامٍ مقال : فلا يُقالُ في هذا المقام إن المرأةَ ضعيفة بل يُقال إن المرأة فاسدةٌ فيها ميلٌ إلى الحرام ،

لأن المرأة إذا قسا عليها زوجُها أو أراد تقويمها وتفهيمها أو تأديبها وتهذيبها ــ وهو حاصلٌ من أي زوجٍ أحيانا ــ فألجمت نفسها بلجام الخشية المحكم وهرعت إليه تسترضيه وتقول له « هذه يدي في يدك لا أذوق غَمْضاً حتى ترضى» تكون «قد آوت إلى ركنٍ شديد» لأنها تكون متأسيةً بقول النبي ﷺ في الحديث الآتي :

◆(حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة ؟ الودود الولود ، العئود التي إذا ظُلِمَتْ قالت : «هذه يدي في يدك لا أذوق غَمْضاً حتى ترضى» .

أما إذا قسا عليها زوجُها أو أراد تقويمها وتفهيمها أو تأديبها وتهذيبها ــ وهو حاصلٌ من أي زوجٍ أحيانا ــ فصيَّرت مفلوتة الزمام بلا خطام وهرعت إلى رجلٍ آخر ، وامتدت عينها اللئيمة الخائنة الأثيمة إلى غير زوجها «فقد آوت إلى الفجور ووقعت في دواهي الأمور» لأن قلبها خربٌ وبور وما فيه من نور .

﴿تنبيه﴾ : وهذه المرأة الفاسدة ــ حين تمتد عينها اللئيمة الخائنة الأثيمة إلى غير زوجها ــ تُخَادِعُ نفسها وتظن في نفسها أنها تعاقبه أو تنتقم منه فتطعنه في أعز ما يملك وهو عِرْضه وشرفه ، وتناست هذه الشيطانة المريدة الشقية التَعِسة المحرومة من توفيق

الله وعِصمَته أنها لم تنتقم إلا من نفسها ولم تُفْسِدْ إلا قلبها ولم تُهْلِك إلا دينها ودنياها لأنها بِفُحْشِها قد أَوْرَطَتْ نفسها في ورطةٍ لا مخرج لها منها أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة على التفصيل الآتي :

[*] أما في الدنيا : فإن زوجها متى تبين من جنايتها وخيانتها تقرَّب إلى الله تعالى بطلاقها ، وطهَّر اسمَه من دَنَسِ الاقتران بها ، وتبرأ إلى ربه من فِعلها ، وصبَّ عليها الدعاء صبَّاً حتى ينفرِطَ عِقدُها ، جزاءاً لارتكابها لأشنعِ جنايةٍ في حقه .

وهي كذلك لابد أن ترى عقوبة خيانتها لزوجها في الدنيا قبل الآخرة لا محالة إيماناً وتصديقاً بقول النبي ﷺ في الحديث الآتي :

(حديث أنس الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا : البغي و العقوق .

[*] قال الإمام المناوي رحمه الله تعالى في فيض القدير:

(بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا) أي قبل موت فاعليها .

(البغي) أي مجاوزة الحد والظلم .أهـ

وليس هناك ظلمٌ أفحش من خيانة الزوجة لزوجها .

[*] وفي الآخرة : يأخذ من حسناتها بقدر مظلمتها له ، فعند الله تجتمعُ الخُصوم ويُقْتَصُ من الظالمِ للمظلوم ، فيقتصُ لجُرْحِه المكلوم وحق كرامته المهضوم من فعلها المشئوم ، وليس هناك أبشع من مظلمةِ خيانةِ الزوجةِ لزوجها وتأمل في الحديث الآتي بعين البصيرة وأمْعِنِ النظر فيه واجعل له من سمعك مسمعا وفي قلبك موقِعاً عسى الله أن ينفعك بما فيه من غرر الفوائد ، ودرر الفرائد .

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال :من كانت له مظلمة لأخيه من عِرْضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لايكون ديناراً ولا درهما، إن كان له حسنات أُخِذَ منه بقدرِ مظلمته وإن لم تكن له حسنات أُخِذَ من سيئاته فَحُمِلت عليه .

ومن ابْتُلِيَ بامرأةٍ فاسدةٍ من هذا الصنف الخبيث فحريٌ به أن يكبر عليها أربع تكبيرات وأن ينفض يديه منها غير آسفٍ عليها ، فخُلُو البيتِ منها منفعةٌ كبرى ومنحةٌ عظمى ، وهي بعدُ لا تؤتمن على النفس ولا المال ولا الولد ، فلا تؤتمن مثلها ولا تُصان من كانت

على شاكلتها ، ولا يُشْغَلُ البالُ لحظةً بها ، فقد لبست ثِيَابَ أَهْلِ الإِيمَانِ عَلَى قُلُوبِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْخُسْرَانِ ، فمَا أَبْعَدَهَا عَنْ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ ! ولبئس ما اختارت لنفسها مِنْ الْهَوَانِ ،ومثلها يُزْهَدُ فيه زهد من في القبور لأن قلبها خربٌ وبور وما فيه من نور ، وإن الله تعالى سوف ينتقم منها بمعرفته يوماً من الأيام طال الزمان أو قَصُر ، جزاءاً وفاقاً وما يعلم جنود ربك إلا هو ، وإن الله تعالى سوف يُعوِّض الزوج خيراً عن هذه المرأة الفاسدة .

➢وفصل الخِطَابِ الذي يَلمُ شَعَثَ القلب ويَرُدُّهُ للحق والصواب أنه ما أحرانا أن نربي بناتنا على نهج الصالحات الأطهار وأن ننأى بهن عن نهجِ العشيقاتِ الأقذار ، ما أحرانا أن نوصي بناتنا بوصايا جامعةٍ نافعة ، وصايا عَاجِلُها صَلَاح وآجِلُهَا فلاح ، وصايا تُذَكِّرُ العاقلة وتنبه الغافلة وتقوِّم المائلة ، وصايا فيها نفعٌ عميم وتوجيهٌ سليم ، فنقول لكلِ واحدةٍ منهنَّ :☜

☜أي بُنَيَّتِي :

➢«هاكِ نصائحٌ أُبَوِّية ، صادرةٌ عن إخلاصٍ وحسنِ طوية»

➢«أرجو منكِ أن تتقبليها بقبولٍ حسن وأن تُعيريها سمعَك وفِكْرَك»

➢«وأن تجعلي لها في سمعك مسمعك وفي قلبك موقعاً»

➢«عسى الله أن ينفعك بها ويوفقُك إلى تطبيقها»

☜بُنَيَّتِي :

➢«إذا ظلمك زوجُك أو قسا عليك ــ فإنه حاصلٌ من أي زوجٍ أحياناً ــ»

➢«فألجمي نفسك بلجام الخشية المُحْكم» «ولا تُصيِّري نفسك مفلوتةَ الزمام بلا خطام»

«➢فإنه يوجبُ سخطَ الملك العلاّم يومَ يُؤخذُ بالنواصي والأقدام» .

➢«واهرعي إلى زوجك واسترضيه»

➢«وقولي له هذه يدي في يدك لا أذوق غَمْضاً حتى ترضى»

متأسيةً بقول النبي ﷺ في الحديث الآتي :☜

(حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة ؟ الودود الولود ، العئود التي إذا ظُلِمَتْ قالت : «هذه يــدي في يدك لا أذوق غَمْضاً حتى ترضى» .

- «فإنّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بيْنَكُمَا»
- «وإنه الركن الشديد في استقرار الحياة الزوجية»
- «ونظْمِ المرأة في سلكِ طاعةِ زوجها»
- «وتأهيلِهَا لأن تكونَ امرأةً من أهل الجنة»
- «وكفى بذلك فضلاً وكفى بذلك فوزاً عظيما»

بُنَيتِي :

- «أَحْسِنِي صُحْبَتَهُ بِالقَنَاعَةِ ،وَالمُعَاشَرَةِ بِحُسْنِ السمْعِ وَالطَاعَةِ»
- «راعيةً للحَشَمِ وَالعِيَال ، صوّانةً لِكَرامَةِ زَوْجِك بَيْنَ الرجَال»
- «فَإِنَّ كَرامَةَ زَوْجِك بَيْنَ الرجَال هِي أَشْرفُ مَا يَخْطُرُ لَهُ بِبَالٍ أَوْ يَدُورُ لَهُ فِي الخيَال»

وَلَا تَلْتَفِتِي يَا بُنَيَتِي أَبَدًا :

- « وَلَا تَلْتَفِتِي يَا بُنَيَتِي أَبَدًا ، إِلَى مَنْ يُفْسِدُكِ عَلَى زَوْجِك أَوْ يُؤَسِّدُكِ عَلَيْه»
- «فَإِنَّمَا هو رَجُلٌ مُحْتَال ، خَوَّانٌ مُخْتَال ، أَفَّاكٌ مِنْ الأَرْذَال»
- «عَاجِلُهُ خَبَالٌ وَآجِلُهُ وَبَال »
- «جَهْلُهُ صَرِيْحٌ وَنَقْصُهُ قَبِيْح »
- «يَدُلُكِ عَلَى النَّارِ ، وَيُعَرِضُكِ لِلَهِيْبِهَا وَبِئْسَ القَرَار »

وَكَأَنِّي بِكِ بُنَيّتِي تَقُولِيْن :

- «يَا أَبَتِ لَكَ الشكْرُ وَالامْتِنَان ، وَعَلَى الخُضُوعِ وَالإِذْعَان »
- «سَأَجْعَلُ مَا قُلْتَهُ لِي نِبْرَاساً يُضِئُ لِي الطَرِيْقَ عَلَى مَرِّ الزَمَان»
- «وَعَوْناً لِي بَعْدَ اللهِ تَعَالَى عَلَى خَشْيَةِ الرحْمَنِ وَامْتِثَالِ القُرْآن»

- «وَالبُعْدِ عَنْ العِصْيَانِ وَالخُذْلَانِ وَاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ»
- «وَالعَيْشِ مَعَ زَوْجِي فِي أَمْنٍ وَأَمَانٍ ، وَسَعَادَةٍ وَاطْمِئْنَانٍ»
- «فَالصَحْبَةُ يَا أَبَتِ بِالقَنَاعَةِ وَالمُعَاشَرَةُ بِحُسْنِ السَمْعِ وَالطَاعَةِ »
- « رَاعِيةً لِلحَشَمِ وَالعِيَالِ ، صَوَّانَةً لِكَرَامَةِ زَوْجِي بَيْنَ الرِجَالِ »
- « فَإِنَّ كَرَامَةَ زَوْجِي بَيْنَ الرِجَالِ هِي أَشْرَفُ مَا يَخْطُرُ لَهُ بِبَالٍ أَوْ يَدُورُ لَهُ فِي الخَيَالِ » .

وَلَا أَلْتَفِتُ يَا أَبَتِ أَبَدَا :

- - - - - - -

- «إِلَى مَنْ يُفْسِدُنِي عَلَى زَوْجِي أَوْ يُؤَسِّدُنِي عَلَيْهِ»
- «فَإِنَّمَا هَوَ رَجُلٌ مُحْتَالٌ ، خَوَّانٌ مُخْتَالٌ ، أَفَّاكٌ مِنْ الأَرْذَالِ»
- «عَاجِلُهُ خَبَالٌ وَآجِلُهُ وَبَالٌ »
- «جَهْلُهُ صَرِيْحٌ وَنَقْصُهُ قَبِيْحٌ »
- «يَدُلُنِي عَلَى النَّارِ ، وَيُعَرِضُنِي لِلَهِيْبِهَا وَبِئْسَ القَرَارِ »

وَأَنَا أُرِيدُ يَا أَبَتِ:

- - - - -

- «أَنْ أَعِيْشَ مَعَ زَوْجِي فِي سَكِيْنَةٍ وَوَقَارٍ ، وَهُدُوْءٍ وَاسْتِقْرَارٍ، وَطُهْرٍ وَنَقَاءٍ يُشْبِهُ الأَبْرَارِ»
- «وَلَا أُرِيدُ أَبَدَا أَنْ أَعِيْشَ مَعَهُ فِي خِلَافٍ وَشِجَارٍ ، وَتَشَتُتٍ وَدَمَارٍ، وَنَكَدُ يَهْدِمُ الدِّيَارِ».

فَأَقُولُ لَهَا خِتَامَاً :

- «وَفَقَكِ اللهُ يَا بُنَيْتِي لِنَهْجِ الصَالِحَاتِ الأَطْهَارِ» «وَعَصَمَكِ مِنْ نَهْجِ العَشِيْقَاتِ الأَقْذَارِ»
- «وَمَنَّ عَلَيْكِ بِالعَيْشِ مَعَ زَوْجِكِ فِي سَكِيْنَةٍ وَوَقَارٍ ، وَهُدُوْءٍ وَاسْتِقْرَارٍ، وَطُهْرٍ وَنَقَاءٍ يُشْبِهُ الأَبْرَارِ »
- «وَجَنَبَكِ العَيْشَ فِي خِلَافٍ وَشِجَارٍ ، وَتَشَتُتٍ وَدَمَارٍ، وَنَكَدُ يَهْدِمُ الدِّيَارِ »
- «وَرَزَقَنَا جَمِيْعَاً جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارِ»
- « رَبَّنَا آتِنَا فِي الدّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النّارِ » .

➢هل يجوز للمرأة أن تكلم رجلاً أجنبياً بغير إذن زوجها :

مسألة : هل يجوز للمرأة أن تكلم رجلاً أجنبياً بغير إذن زوجها ؟

لا يجوز للمرأة أن تكلم رجلاً أجنبياً بغير إذن زوجها بنص السنة الصحيحة كما في الحديث الآتي :

◆(حديث عمرو ابن العاص رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ نهى أن تُكَلَّمَ النساء إلا بإذن أزواجهن .

[*] قال الإمام المناوي رحمه الله تعالى في فيض القدير:

(نهى أن تُكَلَّمَ النساء إلا بإذن أزواجهن) لأنه مظنة الوقوع في الفاحشة بتسويل الشيطان ومفهومه الجواز بإذنه وحمله الولي العراقي على ما إذا انتفت مع ذلك الخلوة المحرمة والكلام في رجال غير محارم . أهـ

﴿تنبيه﴾ :➢إن الذي يُمْعِنُ النظر بعين البصيرة في هذا الحديث الشريف يجد أنه حصنٌ حَصِين لِحمايةِ جَنَابِ البيوت وحفظها من الضَياع ، ومنع تسرب الفسادِ إلى المرأة ، فلا يجوز للرجل أن يُكَلِمَ المرأة إلا بإذن زوجها ، ولا يغرنَّك ما تجدُ في بعض أولياء المرأةِ من الدياثةِ ما لعلك لا تجده في الخنزير نفسه ، وكأنه قاتله الله يتبارى مع الخنزير أيهما أشد دياثةً من صاحبه ، ومن المؤسف أننا وجدنا في بعض القضايا المعاصرة من قضايا التخبيب والإفساد ما يثير العجب وكله يرجع إلى سببٍ واحد وهو أن يكلم الرجل المرأة بغير إذن زوجها ، ومن ذلك ما وجدنا في بعض القضايا أن المرأة إذا غاضبَها زوجها أو كان بينه وبينها شيءُ يُعكرُ صفو حياتهما ــ وفي الغالب تكون المرأة هي السبب في ذلك كما وجدناه وعلمناه علم اليقين ــ فإن أحدَ أولياء المرأة يأخذها بيدها ليعرفها على ما يُسمَّى بالشيخ لتحكي له الخلاف الذي بينها وبين زوجها ، وهذا بداية العِوج عن الطريق المستقيم ، ومَزَلَة الأقدام في العشق الحرام ، وإذا بالشيخ الفاسد القلب والعقل والدين والضمير الذي خالف نهي النبي بأن تُكَلَّمَ النساء إلا بإذن أزواجهن وولاه ظهره وضرب به عُرض الحائط ، إذا به قاتله الله يُكلِمُ المرأةَ بأسلوب أنعم من جلد الثعبان فبدلاً من أن ينظمها في سلك طاعة زوجها إذا به يُحببها إلى نفسه ويُبَغِّضُ إليها زوجها ، وإذا بالمرأةِ

فاسدةً لا تعرفُ غَضَ البصر ، فَغَض البصر لا يخطر لها ببال ولا يدور لها الخيال ، فيقعا في جريمتي التخبيب والعشق الحرام فَنَازِلاً ،

والسؤال الذي يطرح نفسه الان من الذي فتح هذا المجال للعشق الحرام ؟

إنه أحد أولياء المرأة الذي نُزِعت منه الغَيْرَةُ على محارمه ، الذي سقطت منه رجولته تحت قدميه ، وذهبت شهامته أدراج الرياح ، وصار فيه من الدياثة ما لعلها لا توجد في الخنزير نفسه .

وحقٌ على كل من أراد أن يستبرئ لدينه وعِرضه ، وأن ينهج نهج السلامة ــ والسلامة لا يعدلها شيء ــ أن يستحضر دائماً وأبداً أن فتنةَ النساء هي أضرُ فتنةً على الرجال بنص السنة الصحيحة ، فلا يتساهل في التعامل معهن أبدا، وتأمل في الحديثين الآتيين بعين البصيرة وأمْعِنِ النظر فيهما واجعل لهما من سمعك مسمعا وفي قلبك موقِعاً عسى الله أن ينفعك بما فيهما من غرر الفوائد ، ودرر الفرائد .

◆(حديث أسامة بن زيد الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : (ما تركتُ بعدي فتنةً أضرُ على الرجال من النساء)

◆(حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء .

﴿تنبيه﴾ : يجب على المرأة المسلمة أن لا تكلم رجلاً أجنبياً بغير إذن زوجها لأنها تكون قد خالفت أمر النبي ﷺ ، ثم إنها بذلك تفتح باب الفتنة على مصراعيه ،وتُلقي بنفسها في الهوة السحيقة ، لأن المرأة ناقصةُ عقلٍ ودين ، والكلمة تؤثر فيها وتقلبها رأساً على عقب وتعمل فيها عملَ السيف في نحور الرجال ، ولا ننسى أن الله تعالى يقول : (يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشّيْطَانِ وَمَن يَتّبِعْ خُطُوَاتِ الشّيْطَانِ فَإِنّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ) [سورة: النور : ٢١]

«وهذه الآية الكريمة أصلٌ في دفعِ كلِ المفاسدِ والمَضار ، وحمايةً لجناب النفوس الأطهار»

ما هي أصناف النساء في حفظهنَّ لغيبة زوجها :

[*] للنساء في حفظهنَّ لغيبة زوجها صنفان لا ثالث لها : (صنفٌ نفيس وآخر خسيس)

فأما الصنف الأول : صنفٌ نفيسٌ أنفسُ من الذهب الخالص وأعز من الكبريت الأحمر وأندر من الغراب الأعصم ، فإذا قَسَا عليها زوجُها ــ وهو حاصل من أي زوجٍ أحياناً ــ ألْجَمَتْ نفْسَها بِلِجَامِ الخشيةِ المُحْكَم ، وهرعت إلى زوجها تسترضيه وتقول له « هذه يدي في يدك لا أذوق غَمْضَاً حتى ترضى» امتثالاً لقول النبي ﷺ في الحديث الآتي :

◆(حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة ؟ الودود الولود العئود التي إذا ظُلِمَتْ قالت : هذه يدي في يدك لا أذوق غَمْضَاً حتى ترضى .

هذه المرأةُ «دُرَّةٌ مَصُونَةٌ وجَوهَرَةٌ مكنونة» «حَصَانٌ رَزَانٌ لا تُزَنُ بِرِيبَةٍ» فإذا قَسَا عليها زوجُها ــ وهو حاصل من أي زوجٍ أحياناً ــ حفظت غيبتة أيَّما حفظ ولم تلتفت إلى غَيْرِه ، ولم تمتد عينها إلى غير زوجها صيانةً لدينها وحفظاً لغيبة زوجها ، وذلك لأنها تخشى ربها قبل زوجها ، ولأن قلبَها عامرٌ بالإيمان ، قلبٌ يخشى الرحمن ويمتثل القرآن ، قلبٌ معمورٌ بالعِفةِ والعِرْفان ، قلبٌ يَمْلَؤُه الرِضْوان بما قَسَمَ الرحمن ، قلبٌ ذاق حلاوة الإيمَان ، ولذةَ العبودية للرحمن ، قلبٌ يخشى لَفَحَاتِ النِّيرَان ، قلبٌ لا يعرفُ العصيان والخذلان واستحواذ الشيطان .

وأما الصِنْف الثاني : صِنفٌ خَسِيْس ، أخسُّ من الخِنْزِير ، وأخسُّ من الجِعْلانِ (الخُنْفِساء) التي تَدْفَعُ بأنفِها النَتَنْ ، تَتْرُكُ الطهارةَ ولا تَجِدُ بُغْيَتَهَا إلا في القَذارةِ ومواطِنِ النَتَنْ ، هذا الصنف الحقِير إذا قَسا عليها زوجُها ــ وهو حاصل من أي زوجٍ أحياناً ــ خَلَعَتْ لِجَامَ الخشيةِ عن نفسِها ، وصارت مَفْلُوتَةَ الزِمامِ بلا خِطَام ، وذلك لأنها في الأساس عندها مَيْلٌ إلى الحرام كقوله ﷺ في صحيح مسلم (مائلاتٍ مميلات) ولا يظهر ذلك إلا في هذه المواطن، فلم تَحْفَظْ غيبةَ زوجها ، والتَفَتْ إلى غَيْرِه ، وامتدت عينها اللئيمةِ الخائنة الأثيمة إلى غير زوجها ، وتَشَوَفَتْ إلى الحرام ، وسَعَتْ إلى الفُجُور بكلِ طريق ، واستبدلت بالاستقامة روغانَ الثعالب ، ورَاحَت تبحثُ عن المثالب ، ولولا أنها ألانَت الجانب ما اقترب منها أحدٌ من الأجانب ، ولا أظهروا لها المخَالب ، والحاصلُ : أنهم لم يفترسوها إلا لأنها كانتْ ممن (إذا خلوْا بمحارِمِ اللهِ انتهكوها) ، ولو كانت غيرَ ذلك ما اقترب منها هالك ، فلما

قدَّمت اللين ، فعلوا بها الفعلَ المَشِين ، وخانت زوجَها الأمين ، فخَسِرت الدنيا والدين ، وتَعَرَضت إلى سخط الجبارِ ذِي القوةِ المتين ، صَبَّ الله عليها أشدَّ العذابِ في كلِ وقتٍ وحين ، وأذاقها ألواناً شَتى من العذاب المُهين * فلما خضعت بالقول أنشأت في نفس كلِ هالكٍ منها غَرَض وتناست بشؤمها أن الله تعالى يقول " فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ " وما ذلك إلا لِخِسةِ طَبْعِها ودناءةِ نفسها وسوادِ قلبِها ، ورداءةِ معدنها، فما أحْلَكَ سوادِ قَلبِها،

قلبٌ خَرِبٌ وبور، وما فيه من نور ، قلبٌ لم يؤثر القرآن فيه ولم يعي معانيه ، قلبٌ لم تدخل الخشيةُ فيه ولا التقوى تحتويه ، قلبٌ لم يُلَيِنْه القرآن ولم يخش الرحمن ، قلبٌ جحد معنى قوله تعالى " هل جزاء الإحسان إلا الإحسان" ، قلبٌ صار أسيرَ العصيان والخذلان واستحواذ الشيطان ، لعن الله كل خائنة لعنةً تلاحقها في كل أمرٍ من شأنها ، لعنةً تُدَمِرْها في نفسها وتدخل معها قبرها وتهلكها عند عرضها على ربه .

﴿تنبيه﴾ :<هذه الشقية التَعِسة ــ قاتلها الله ــ تناست أن الله تعالى أمرها بحفظ نفسها عن الحرام سواء كان لها زوج أم لا ، وإنما جُعلت عقوبة الزنى في المرأة المتزوجة أشنع عقوبة (الرجم) لحصول تمام النعمة على المرأة بالزواج والإحصان ، فمن التفتت بعد ذلك إلى الحرام دلَّ ذلك على أنها جبِلَةٌ نَكِدةٌ فيها عِوَجٌ لا يُرْجى اعتداله وفيها مَيلٌ إلى الحرام كقوله ﷺ في صحيح مسلم (مائلاتٍ مميلات) ، وكان ذلك دليلاً على دناءةِ نفسها وخِسة طبعِها وسوادِ قلبها ورداءة مَعْدَنِها وهوانها على ربِها فصارت أهون على الله من الجِعلان (الخُنْفِساء) التي تدفع بأنفها النَتَن لأنها كفرت بنعمةِ الله تعالى وجحدت منته عليها بزوجٍ صالحٍ يأوي إليها وتحتمي به دون من حوَاليها فبدلت الشكر الجزيل والعرفان بالجميل بالفعل الوبيل .

وأنْتَ إذا أمعنت النظر في حال هذه الشيطانة المَرِيدة ــ قاتلها الله ــ وجدت حالها أنها تناءت عن شرع الحميد المجيد وكأنها جاءت بشرعٍ جديد مصدره إبليس عليه لعنة الله فقد صيَّرت نفسها أحد جنوده تقول فيه لزوجها بلسان حالها : إذا عاملتني كما أريد صِرتُ مُخلِصةً لك وإلا قمت بالخيانة مع غيرك ، وكأنها قاتلها الله جعلت حفظها لنفسها عن الحرام مكافأةً لزوجها إذا عاملها كما تريد هي بتفكيرها المذموم وعقلها المشئوم ، فهي لا

تريد تقويماً ولا تفهيماً ولا تقبل تأديباً ولا تهذيبا ، تريد أن تكون مفلوتة الزمام بلا خِطام ، فإذا قَسَا عليها زوجها ــ وهو حاصلٌ من أي زوجٍ أحياناً ــ ذهبت إلى الحرام وكأنها تُعاقِبه أو تنتقم منه فتطعنه في أعز ما يملك وهو عِرْضه وشَرَفه ، وتناست هذه الشيطانة المريدة الشقية التَعِسة المحرومة من توفيق الله وعِصْمَته أنها لم تنتقم إلا من نفسها ولم تُفْسِدْ إلا قلبها ولم تُهْلِك إلا دينها ودنياها لأنها بِفُحْشِها قد أَوْرَطَتْ نفسها في ورطةٍ لا مخرج لها منها أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة على التفصيل الآتي :

[*] أما في الدنيا : فإن زوجها متى تبين من جنايتها وخيانتها تقرَّب إلى الله تعالى بطلاقها ، وطهَّر اسمَه من دَنَسِ الاقتران بها ، وتبرأ إلى ربه من فِعلها ، وصبَّ عليها الدعاء صبَّاً حتى ينفرِطَ عِقدُها ، جزاءاً لارتكابها لأشنعِ جنايةٍ في حقه .

وهي كذلك لابد أن ترى عقوبة خيانتها لزوجها في الدنيا قبل الآخرة إيماناً وتصديقاً بقول النبي ﷺ في الحديث الآتي :

(حديث أنس الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا : البغي و العقوق .

الشاهد :

قوله ﷺ (بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا) أي قبل موت فاعليها

(البغي) أي مجاوزة الحد والظلم وليس هناك ظلمٌ أفحش من خياتة الزوجة لزوجها .

[*] وفي الآخرة : يأخذ من حسناتها بقدر مظلمتها له ، فعند الله تجتمعُ الخُصوم ويُقْتَصُ من الظالمِ للمظلوم ، فيقتصُ لجُرْحِهِ المكلوم وحقِ كرامته المهضوم من فعلها المشئوم ، وليس هناك أبشع من مظلمةِ خيانةِ الزوجةِ لزوجها وهنا نذكر الحديث الآتي :

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : (من كانت له مظلمة لأخيه من عِرْضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لايكون ديناراً ولا درهما، إن كان له حسنات أُخِذَ منه بقدرِ مظلمته وإن لم تكن له حسنات أُخِذَ من سيئاته فَحُمِلت عليه).

➢ما هو منهج المرأة الفاسدة في تعاملها مع زوجها :

المرأةُ إذا كانت فاسدة ارتكبت في معاملتها مع زوجها ثلاث جنايات كلُ جنايةٍ منها كافيةٌ لإهلاكِ أمَّة ، وهذه الجنايات الثلاث هي ما يلي :

الجناية الأولى :

أنها تطيل لسانها على زوجها الذي هو أعظم الناس حقاً عليها ، ولعلي أقرع مسامعَها المشئومة ونفسَها المذمومة التي هي من توفيق الله وعصمته محرومة بِغَيْضٍ من فيض ونقطةٍ من بحر مما ورد في عِظَمِ حق الزوج من باب الذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد لعل سمعها يسمع أو قلبها يخشع لعلها تتعظ أو ترتدع :

قال الله تعالى: {وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ} [البقرة:٢٢٨].

[*] قال ابن كثير رحمه الله :

"أي: في الفضيلة في الخَلق والخُلق والمنزلة وطاعة الأمر والإنفاق والقيام بالمصالح، والفضل في الدنيا والآخرة .

[*] وقال الألوسي رحمه الله :

"زيادة في الحق؛ لأن حقوقهم في أنفسهن، فقد ورد أن النكاح كالرق. أو شرف فضيلة؛ لأنهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن في غرض الزواج من التلذذ، وانتظام مصالح المعاش، ويخَصُّون بشرفٍ يحصل لهم لأجل الرعاية والإنفاق عليهن" .

[*] وقال ابن سعدي رحمه الله :

"أي: رفعة ورياسة وزيادة حق عليهن" .

وتأمل في الأحاديث الآتية بعين البصيرة وأمْعِنِ النظر فيها واجعل لها من سمعك مسمعا وفي قلبك موقِعاً عسى الله أن ينفعك بما فيها من غرر الفوائد ، ودرر الفرائد .

(حديث أبي سعيد الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :حق الزوج على زوجته أن لو كانت به قرحة فلحستها ما أدت حقه .

(حديث أبي سعيد الثابت في صحيح الترغيب والترهيب) أن النبي ﷺ قال :حق الزوج على زوجته لو كانت به قرحة فلحستها أو انتثر منخراه صديدا أو دما ثم ابتلعته ما أدت حقه .

(فلحستها) : أي بلسانها غير متقذرة لذلك (ما أدت حقه)

(حديث معاذ الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :لو تعلم المرأة حق الزوج لم تقعد ما حضر غداؤه و عشاؤه حتى يفرغ منه .

(لم تقعد) أي تقف

(ما حضر غداؤه وعشاؤه) أي مدة دوام حضوره

(حتى يفرغ منه) لما له عليها من الحقوق وإذا كان هذا في حق نعمة الزوج وهي في الحقيقة من اللّه تعالى فكيف بمن ترك شكر نعمة اللّه .

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيحي الترمذي وابن ماجة) أن النبي ﷺ قال :«لَوْ كُنْتُ آمراً أحَداً أنْ يَسْجُدَ لأحَدٍ، لأمَرْتُ الْمَرْأَةَ أنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا».

(لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها) فيه تعليق الشرط بالمحال لأن : السجود لمخلوق لا يجوز وأخبر النبي ﷺ أن ذلك لا يكون ولو كان لجعل للمرأة في أداء حق الزوج، وفيه تأكد حق الزوج وحث على ما يجب من بره ووفاء عهده والقيام بحقه ولهن على الأزواج ما للرجال عليهن .

(حديث مُعَاذِ بن جَبَلٍ الثابت في صحيحي الترمذي وابن ماجة) أن النبي ﷺ قال :«لاَ تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدّنْيَا. إلاّ قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ: لاَ تُؤْذِيهِ، قَاتَلَكِ الله، فَإِنّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ يُوشِكَ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا».

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في السلسلة الصحيحة) أن النبي ﷺ قال : نساؤكم من أهل الجنة الودود الولود العؤود علي زوجها التي إذا غضب جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها وتقول لا أذوق غُمضاً حتى ترضى .

العؤود : التي تعود علي زوجها بالنفع .

لا أذوق غمضاً : لا أذوق نوماً حتى ترضى .

(حديث ابن عمررضي الله عنهما الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :اثنان لا تجاوز صلاتُهُما رءوسَهُما: عبد آبق من مواليه حتى يرجع و امرأة عصت زوجها حتى ترجع .

➢الجناية الثانية :

إذا أراد زوجها تقويمها أو تأديبها على ذلك استنكفت واستكبرت وذهبت إلى رجلٍ آخر تكلمه بغيرِ إذنه وقَبِلَتْ منه تخبيباً وإفسادا ، واستكبرت على شرع الحميد المجيد الذي يأمر بالصبر على الزوج وأتت بشرعٍ جديد مصدرُه إبليس لعنه الله ، ولسان حالها يقول :

أيها الزوج : اعلم علم اليقين أنك إذا عاملتني كما أريد أنا بدون تقويم ولا تفهيم ولا تأديبٍ ولا تهذيب كنتُ مخلصةً لك وإلا ذهبت إلى غيرك وكلمته بدون إذنك وتطلعت إليه وقبلت منه تخبيباً وإفسادا ، وكأن الصبر على الزوج ليس شرعاً يُدان به لله تعالى ، وذلك لأنها تريد أن تكون مفلوتةَ الزمام بلا خِطام .

وكأنها قاتلها الله جعلت حفظها لنفسها عن الحرام مكافأةً لزوجها إذا عاملها كما تريد هي بتفكيرها المذموم وعقلها المشئوم ، فهي لا تريد تقويماً ولا تفهيماً ولا تقبل تأديباً ولا تهذيبا ، تريد أن تكون مفلوتة الزمام بلا خِطام فإذا قَسَا عليها زوجها ــ وهو حاصلٌ من أي زوجٍ أحياناً ــ ذهبت إلى الحرام وكأنها تُعاقِبه أو تنتقم منه فتطعنه في أعز ما يملك وهو عِرْضه وشرَفه ، وتناست هذه الشيطانة المريدة الشقية التَعِسة المحرومة من توفيق الله وعِصمَتَه أنها لم تنتقم إلا من نفسها ولم تُفْسِدْ إلا قلبها ولم تُهْلِك إلا دينها ودنياها ، فانظر كيف سوَّت نفسها بالعشيقة التي لا تريد إلا كلاماً معسولاً أو أوقاتاً خلاَّبة ، أما الصبر على الزوج فهيهات هيهات أن تصبر على زوجها ، فالصبرَ على الزوج الذي هو أعظم الناس حقاً عليها لا يخطرُ لها على بال ، ولا يدور في الخيال ، وهذا والله من الخبال ، لأنه يجمع بين سوء الحال وقبح الفعال ، فانظر إليها كيف جعلت زوجها ليس له وزناً بين الرجال وخفضت مكانته بعد أن صانها ورفعها ،

ثم انظر إليها كيف أهدرت كرامة زوجها وصيرته ذليلاً بعد أن أعزها ، وألصقت به ذُلاً لا يزال محفوراً في ذاكرته حتى يموت ، وألهبت في صدره لهيباً لا ينطفئُ مادام حيا .

➢صيَّرت منزلتَه بين الناس ما بين مُشفقٍ عليه مُطْرِقِ الرأسِ صامت ، ومتغـامزٍ عليـه للخوضِ في عِرْضِه متهافت ، وثالثٍ حقيرٍ فيه متشامِت ، ورابعٍ لئيم يَدَّعِي لهـا المـروءةَ لأنه عن إخبار زوجها بفعلها ساكت ، ثم تراه يطلب منها المُقابِل ، لأنه لسكوته عن إخبار زوجها بفعلها قابل ، فصارت تنتقلُ من دمارٍ إلى دمار ، ومن خزيٍ إلى عار، ومن عارٍ إلى شنار * وصار زوجها أشقى الناس بِجُرمها لأنه لم تُكْسَرْ شوكتُه إلا بها ، كسر الله ظهرها ، وأعمى بصرها ، ودمّر أعضاءها ، وهتك سِتْرَها ، وَأَفْـرَطَ عِقْـدَها وَعَجَّـلَ حَتفَهَـا ، وأخرجها من الدنيا كلِّها ،

➢ فتعساً لها بشنيعِ فِعلها ، وسحقاً لها لشؤمِها ولؤمِها وخيانتِها لزوجها، وتَبًّا لها مـن امرأةً دنيئةٍ خسيسةٍ لم تخش ربها ولم تحفظ غَيبةَ زوجها * وتقشعرُ الفضيلةُ من فعلهـا ، واحتوتها الرزيلةُ لقبحها ،

➢لم تمتثل للفضيلة طاعة ، ولها في الرزيلة باعا * لمَّا تَخَلَّت عـن خشـيةِ الـرحمن وامتثال القرآن ، و لما جحدت معنى قوله تعالى (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)، وَكَلَهـا الملك الديَّان إلى العصيان والخذلان واستحواذِ الشيطان ، فصارت ممقوتةً عند ربها في كلِ زمان * قاتلها الله وصدَّع بنيانها ، وأتلفها وشَلَّ أركانها ، فلا تُؤتمنُ مثلُها ، ولا تُصـانُ من كانت على شاكِلَتِها ، لعن الله كل خائنة لعنةً تلاحقها في الدنيا والآخرة ، لعنةً تُـدَمِرْها في نفسها وتدخل معها قبرها وتهلكها يوم عرضها على ربها .

☜هل يخطرُ ببال امرأةٍ تربت في بيت أهلها تربيةً جادةً ــ وإن لم تكـن صـالحة ــ أن تتفق مع عدو زوجها لتقتل زوجها هماً وغماً ، أيحميـه النـاس وتُسْـلِمُه ؟!، أيُعزونـه وتُذِله؟!، أيرفعونه وتخفِضه؟! ، أيُعلون قَدْرَه وتجعله هي في ذِلةٍ وَصَـغَارَ كأنـه مّطْلـيٌ بالقار؟! ، هل هذه امرأةٌ تُقْتَنَى ؟! لا والله بل هي امرأةٌ لا تُؤتَمَنُ مِثْلُها ولا تُصانُ من كانت على شاكِلَتِها ، ولا يُشْغَلُ البالُ لحظةً بها ، فقد لبست ثِيَابَ أَهْلِ الإيمَانِ عَلَى قُلُـوبِ أَهْـلِ الزَّيْغِ وَالْخُسْرَانِ ، فما أَبْعَدَها عَنْ حَقِيقَةِ الإيمَانِ ! وَمَا أجحدها لقوله تعـالى (هَـلْ جَـزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)، ولبئس ما اختارت لنفسها مِنْ الْهَوَانِ ، وَالْخِزْيِ وَالْخُسْرَانِ ، قاتلها الله وصدّع بنيانها وأتلفها وشلَّ أركانها ، وجعل الدائرةَ عليها، وسلَّط عليها كلَ داءٍ عضال وكلَ مرضٍ قَتَّال تتمنى منه الخلاص ولات حين مناص .

الجناية الثالثة :

أنها بعد أن أهدرت كرامة زوجها ولم تجعل له وزناً بين الرجال وخفضت مكانتـه بعـد أن صانها ورفعها ، وأذلته بعد أن أعزها ، وبعد أن صدر منها خائنة الأعين بامتـداد عينهـا اللئيمة الخائنة الأثيمة إلى غير زوجها ، وحصل منها ذلك في شيءٍ معلـومٍ مـن الـدين بالضرورة فلا يحتاج إلى زيادة عِلم ، ويستوي في عِلمِه المتعلمـة والأُميَّـة ، والمَدَنيَّـة والقَروِيَّة ، والحَضَرِيَّة والبدويَّة ، فهو أمرٌ واضحُ البيان ولا يحتاجُ إلى برهـان ولا مزيـد عِرفان ،

تراها بعد ذلك تخلع جريمتها لتلبسها لزوجها المكلوم وتقول أنت الذي دفعتني إلى ذلـك لأنك أدبتني حين أطلت لساني عليك وليس لك حق في القوامة أو التأديب ، وهي في ذلـك تحاول عبثاً أن تخفي الحقيقة المُرْةَ المستقرة بين جنبيها والتي دفعتها إلى الفجور وهـي أنها امرأةٌ فاسدةٌ فيها ميلٌ إلى الحرام مصداقاً لقول النبي ﷺ كما في صحيح مسلم (مائلات مميلات) ، فليتها أحسنت الظن بربها كما أحسنت الظن بنفسها اللئيمة الخائنة الأثيمة إذ لو علم الله تعالى من قلبها خيراً لعصمها من الزلل ووفقها لصالح العمل والله تعالى يقول: (إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْرًا) [الأنفال / ٧٠]

ولو أحبها الله تعالى لصانَها بصيانتِه وحفَظَها بحفظه وكان سبحانه سمعها الذي تسمع بـه ويدها التي تبطش بها ورجلها التي تمشي بها مصداقاً لقول النبي ﷺ في الحديث الآتـي :

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح البخاري) أن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى من عاد لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىَّ عبدي بشيءٍ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسـمع بـه وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله الذي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنَّه،وما ترددتُ عن شيءٍ أنا فاعله ترددي عن نفـس المـؤمن يكـره الموت وأنا أكره مساءته .

ولكنه سبحانه لما اطَّلع على قلبها ووجده خربٌ وبور وما فيه من نور لِمَا أُشْرِبَ من فتنةِ خائنة الأعين ، ورأى فيه المَيلُ إلى الحرامِ سَقَطت من عين الملكِ العلاّم ، وتركَها فريسـةً

للرزايا والآثام ، ثم يُحَاسبها لا مَحالةَ على هذا الإجرام ، فسلب حفظه عنها ووَكَلَها إلى نفسها لأنها صارتِ بسواد قلبها أهون على الله من الجِعلان (الخُنْفِساء) التي تدفع بأنفها النَتَن والتي لا تجد بُغْيَتَها إلا في مواطن القذر والنَتَن ،

➢ولو علم الله تعالى من قلبها الصدق في النجاة من الزلل لنجَّاها من الزلل ، ووفقها لصالح العمل ، وعصَمها الملكُ العلاّم من الرزايا والآثام على مدى انصرامِ العمرِ ومرور الأيام فإن الصدق منجاة وإن العبد إذا صدق مع الله تعالى صدقه الله مصداقاً لقول النبي ﷺ في الحديث الآتي :

(حديث شداد بن أوس في صحيح النسائي) أن النبي ﷺ قال : إن تصدق الله يصدقك .

[*] كان الحسن البصري رحمه الله تعالى إذا ذكر أهل المعاصي يقول : هانوا على الله فعصوه ، ولو عزوا عليه لعصمهم .

➢فإذا اطّلع الله تعالى على قلوبهم ووجد فيه صدق النية في عدم الوقوع في الفاحشة لكتب الله تعالى لهم النجاة لا محالة ، وما يعلمُ جنود ربك إلا هو ، فلا يتوهم إنسان أن الله تعالى يعلمُ من عبده ِصدق النية في عدم الوقوع في الرذيلة ثم يتركه يقع فيها ، هذا أمرٌ مُحال عند ربنا الكبير المُتعال ، بل هو فوق ما يخطر ببال أو يدور في الخيال ، ومن فَكَّر في ذلك كان في عقله خَبَال ، ووالله الذي لا إله غيره ما وقع إنسانٌ في الحرام إلا كان عنده مَيلٌ إلى الحرام والعياذ بالله، ولا يظلمُ ربُك أحدا .

➢وسائل هدم البيوت :

هناك وسائل وطرق تقوم بها الزوجة من حيث لا تشعر فتهدم بيتها بمعولها.

المرأة بطبعها سهلة الانقياد ! لكن يتسلط عليها شياطين الأنس والجن فيغيرون تلك الصفات ويفسدون صفاء القلوب، من أولئك الشياطين :

➢أولاً وسائل الإعلام التي ما دأبت تحرض على الإفساد بين الزوج وزوجته، وتصور الرجل أنه ظالم مستبد فأفسدت الود وقطعت علائق المحبة!

ثم هي في الجانب الآخر تأتي بالحبيب والصديق والعشيق لتزين العلاقة المحرمة، وتجمل حديثه تلطف عباراته، وتهون العلاقة بين الرجل الأجنبي والمرأة ! فتصبح وقد تقلب قلبها وكرهت زوجها .

➢ثانيا : تهدم البيوت من جلسات فارغة من بعض الصديقات والزميلات في حصص الفراغ، أو الجيران في جلسات الضحى والعصر ! فالحديث استهزاء بالأزواج وتحريض عليهم وتمرد على عش الزوجية وكل مرأة تدعي أن زوجي فعل بي وقال لي، وأحضر لي، حتى تكون الزوجة المسكينة أُذُناً تسمع فيقع في قلبها كره زوجها البخيل وزوجها المشغول وزوجها الكسول!

➢ثالثا :مما يعين على هدم البيوت: عدم القرار في المنزل ٠ فالزوجة خرَّاجة ولاَّجة، لا يقر لها قرار.. أسواق وحفلات.. زيارات ! قائمة لا تنتهي وقد أشغلت قلبها وضيعت وقتها وفرطت في رعيتها!

➢رابعا : المعاصي والذنوب شؤم على البيوت فهي تجلب الهموم والغموم وتنزع السعادة نزعا !

➢قال بعض السلف : إني لأعصي الله فأرى ذلك في خلق امرأتي ودابتي !

◆وقال ابن القيم رحمه الله تعالى :

وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة، المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله.

والمعاصي في أوساط النساء كثيرة جدا ٠٠ منها تأخير الصلاة، والغيبة والنميمة والخروج إلى الأسواق متبرجة متعطرة وغيره كثير

خامسا : مما يهدم البيوت ويفرق الأسر الكبِر من قبل الزوجة ! وبواعث الكبر والعجب كثيرة: الجاه والمال والشهادة والجمال وغيرها ! مع قلة عقل وقصر نظر !

سادسا: مما يهدم البيوت استبداد الزوجة وتسلطها في ظل شخصية رجل ضعيفة متسامحة، فيقودها ذلك إلى التعنت والقفز على قوامة الرجل فتفسد نفسها وأسرتها.

سابعا: تُهدم البيوت من عدم مراعاة حق الزوج في التزين والتجمل له ٠ فلربما كانت النتيجة أن يقل نصيب الزوجة من ود زوجها، أو لربما قادته إلى طرق محرمة فتخرب الدور وتهدم الأسر!

ثامنا : المرأة العاقلة تنزل من أكرمها وجاورها في الفراش والمنزل منزلة عظيمة، «فلا تتسخط عليه، ولا تندم عشرته»، فإن مثل هذه المرأة الناكرة للمعروف المضيعة للعشرة

«حَرِيٌ أن يسلب الله نعمتها» ! وإن كان في الرجل خلة من النقص ففيه خلال مـن الخيـر كثيـرة !

وتأمل في الحديثين الآتيين بعين البصيرة وأمْعِنِ النظر فيهما واجعل لهما من سمعك مسمعا وفي قلبك موقِعاً عسى الله أن ينفعك بما فيهما من غرر الفوائد ، ودرر الفرائد .

◆(حديث ابن عمر رضي الله عنهما الثابت في السلسلة الصحيحة) أن النبي ﷺ قال : لا ينظر الله إلى امرأةٍ لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه.

◆(حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة ؟ الودود الولود العئود التي إذا ظُلِمَتْ قالت : هذه يدي في يدك لا أذوق غَمْضاً حتى ترضى .

تاسعا :تُهدم المرأة بيتها وتبدد سعادتها إذا سلكت طريقا وعرة ذا شوك، هاهي تطالب زوجها بالسفر وثانية بالقنوات الفضائية ! وما علمت المسكينة أن المعاصي والذنوب تجلب النقم وتبعد النعم! كم من امرأة سعيدة هانئة تحولت نعمتها إلى شقا بسبب معصية الله ـ عـز وجـل ـ .

عاشرا : المرأة الذكية الفطنة تراعي أحوال الزوج ومتطلباته، فهي تعلم موعد نومه وغذائه، وماذا يحب وماذا يكره، تسارع إليه حتى يسارع هو بقلبه إليها .

الحادي عشر : تهدم المرأة بيتها بلسانها ! إذا جلست مع زوجها خالفت أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وبدأت تذكر فلانه وصفتها و جمال شعرها وطولها، وتصفها لزوجها حتى يستعذب الحديث في النسا، فإن كان رجل صالحا لربما تزوجها وإن كان فاسدا لربما أفسدها أو أفسد غيرها، وهذا مما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، وتأمل في الحديث الآتي بعين البصيرة وأمْعِنِ النظر فيه واجعل له من سمعك مسمعا وفي قلبك موقِعاً عسى الله أن ينفعك بما فيه من غرر الفوائد ، ودرر الفرائد .

◆(حديث ابن مسعود الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : (لا تباشرُ المرأةُ المرأةَ فتنعتها لزوجها كأنه ينظرُ إليها)

وقد ترى المسكينة أن هذا الحديث عن النسا ووصفهن لزوجها يقرب زوجها إليها، وقد أضلت الطريق وتاهت في الدروب!

ذنوب الخلوات تكون سبباً في هتك الستر :

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

«ذنوب الخلوات أصل الانتكاسات، وعبادات الخفاء أعظم أسباب الثبات»

وقال أيضاً رحمه الله تعالى في كتابه الفوائد :

للعبد ستر بينه وبين الله، وستر بينه وبين الناس؛ فمن هتك الستر الذي بينه وبين الله هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس .

وقال ذو النون المصري: من خان الله في السرِ هتك الله ستره في العلانية .

اعلم أخي رحمك الله تعالى أن من خان الله سراً هتك سِتْرَه علانيةً لا مَحال ، فإنها سنةُ الكبيرِ المُتعال ، في هتكِ سِتْرِ المُحتال ، هتكاً بيناً لا يَخْطُرُ على بال ، هتكاً واضحاً يزول معه أي لَبْسٍ أو إشكال ، ولا ينفعُ معه حِيْلَةً أو جدال .

ومن أسوأ صور هتك الستر بين العبد وبين الله أن تضع المرأة ثيابها في غير بيت زوجها ، وتأمل في الحديث الآتي بعين البصيرة وأمْعِنِ النظر فيه واجعل له من سمعك مسمعا وفي قلبك موقِعاً عسى الله أن ينفعك بما فيه من غرر الفوائد ، ودرر الفرائد .

(حديث أَبِي الْمَلِيحِ الْهُذَلِيِّ الثابت في صحيح والترمذي) أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : مَا مِنْ امْرَأَةٍ تَضَعُ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِهَا إِلَّا هَتَكَتْ السِّتْرَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَبِّهَا .

(وضعت ثيابها في غير بيت زوجها) : كناية عن تكشفها للأجانب وعدم تسترها منهم ، فقد هتكت ستر ما بينها وبين اللّه عز وجل ، لأنه تعالى أنزل لباساً ليوارين به سوءاتهنّ وهو لباس التقوى وإذا لم يتقين اللّه وكشفن سوءاتهن هتكن الستر بينهن وبين اللّه تعالى وكما هتكت نفسها ولم تصن جسمها وخانت زوجها يهتك اللّه سترها والجزاء من جنس العمل ، والهتك خرق الستر عما وراءه والهتيكة الفضيحة.

ومن أسوأ صور هتك الستر بين العبد وبين الله ذنوب الخلوات ، وتأمل في الحديث الآتي بعين البصيرة وأمْعِنِ النظر فيه واجعل له من سمعك مسمعا وفي قلبك موقِعاً عسى الله أن ينفعك بما فيه من غرر الفوائد ، ودرر الفرائد .

(حديث ثوبان رضي الله عنه الثابت في صحيح ابن ماجه) أن النبي ﷺ قال :لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسناتٍ أمثال جبال تهامة بيضاً فيجعلها الله عز وجل

هباءاً منثوراً قال ثوبان يا رسول الله صفهم لنا جلِّهم لنا أن لا نكون منهم ونحـن لا نعلـم قال أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقـوام إذا خلـوا بمحارم الله انتهكوها .

ذنوب الخلوات :

جميل أن ترى ذلك الشاب وقد بدت عليه أمارات الخير والصلاح ، والعز والفلاح ، أطلـق لحيته ، ورفع ثوبه فوق كعبه ، وتمسك بسنة حبيبه صلى الله عليه وسلم فيما يرى الناس ، فعُرف بينهم بجميل أدبه وحُسن سمتِه ...اختار من الجلساء أحسنَهم ، وغشى مجـالس أفضلِهم ...إلخ ،

ولكن الأجمل من هذا كله أن يكون باطنه أجمل من ظاهره ، وخلواته أصدق مع الله تعـالى من علانيته ،

وجميـل أن ترى البنت الملتزمه العفيفه الطاهرة أمـام النـاس قـد تسـترت بحجابها وجالست الصالحات وقد تحفظ من القرآن ويذكُرهـا الناس بكـلامٍ طيـب فـي مجالسهم ، ولكن الأجمـل أن تُراعى الله في خلـوتِها وأن تستُر قلبها عن الذنوب فـي خلوتهـا كمـا سـترت جسمـها عـن الأجانـب.

«إياكم أن تجعلوا الله أهون الناظرين إليكم»

قد يبتعد الإنسان عن المعاصي والذنوب إذا كان يحضره الناس، وعلى مشهد منهم، لكنه إذا خلا بنفسه، وغاب عن أعين الناس، أطلق لنفسه العنـان، فـاقترف السـيئات، وارتكـب المنكرات، وينسى أو يتناسى أن الله تعالى يقول (وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِـيرا)[الإسراء:١٧]

وينسى أو يتناسى أن الله تعالى يقول : (أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) [البقرة: ٧٧]

وينسى أو يتناسى أن الله تعالى يقول :

(أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ سِـرَّهُمْ وَنَجْـوَاهُمْ وَأَنَّ اللّـهَ عَـلاَّمُ الْغُيُـوب) [التوبـة: ٧٨]

ويحك يا هذا، جرأتك على الله مع حِلْمِهِ عليك ، ولو شاء لأهلكك ومن حوالَيـك ، « فـإن

كنت تعتقد أن الله لا يراك فما أعظم كفرك » « وإن كنت تعلم باطِّلاعه عليك، فما أشد وقاحتك وأقل حياءك ، لأنك جعلت الله أهون الناظرين إليك»

قال تعالى :(يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً) [النساء: ١٠٨]

من أعجب الأشياء أن تعرف الله ثم تعصيه، وتعلم قدر غضبه ثم تعرض له، وتعرف شدة عقابه ثم لا تطلب السلامة منه، وتذوق ألم الوحشة في معصيته ثم لا تهرب منها ولا تطلب الأنس بطاعته .

وانظر بارك الله فيك في هذه الآيه ،، آيه تقشعِرُ لها الأبدان (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ) [فصلت]

➢ولله درُ من قال :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل *** خلوت ولكن قل عليّ رقيبُ

ولا تحسبنّ الله يغفل ساعةً *** ولا أن ما نخفيه عنه يغيبُ

يقول ابن رجب الحنبلي عليه رحمة الله : "خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس "

ويقول أيضاً: "أجمع العارفون بالله بأن ذنوب الخلوات هي أصل الانتكاسات، وأن عبادات الخفاء هي أعظم أسباب الثبات"

➢فتنة النساء وكيفية النجاة منها :

➢فتنة النساء أضرّ فتنة على الرجال :

لقد أشار القرآن الكريم إلى خطر الافتتان بالمرأة فقال سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران:١٤]

➢ فقدم سبحانه النساء لأن أكثر الرجال إنما دخل عليهم الخلل من قبل هذه الشهوة، فمن المعلوم شرعاً أن فتنة النساء هي أضرّ فتنة على الرجال بنص السنة الصحيحة وتأمل في

الأحاديث الآتية بعين البصيرة وأمْعِنِ النظر فيها واجعل لها من سمعك مسمعا وفي قلبك موقعاً عسى الله أن ينفعك بما فيها من غرر الفوائد ، ودرر الفرائد .

◆(حديث أسامة الثابت في الصحيحين) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ .

(ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) لأن المرأة لا تأمر زوجها إلا بشر ولا تحثه إلا على شر وأقل فسادها أن ترغبه في الدنيا ليتهالك فيها وأي فساد أضر من هذا مع ما هنالك من مظنة الميل بالعشق وغير ذلك من فتن وبلايا ومحن يضيق عنها نطاق الحصر ، قال الحبر رضي اللّه عنه : لم يكفر من كفر ممن مضى إلا من قبل النساء وكفر من بقي من قبل النساء ، وأرسل بعض الخلفاء إلى الفقهاء بجوائز فقبلوها وردها الفضيل فقالت له امرأته : ترد عشرة آلاف وما عندنا قوت يومنا؟ فقال : مثلي ومثلكم كقوم لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها وكذا أنتم أردتم ذبحي على كبر سني موتوا جوعاً قبل أن تذبحوا فضيلاً ، وكان سعيد بن المسيب يقول وقد أتت عليه ثمانون سنة منها خمسون يصلي فيها الصبح بوضوء العشاء وهو قائم على قدميه يصلي : ما شيء أخوف عندي عليَّ من النساء ، وقيل : إن إبليس لما خلقت المرأة قال : أنت نصف جندي وأنت موضع سري وأنت سهمي الذي أرمي بك فلا أخطئ أبداً ، وقال في الحديث بعدي لأن كونهن فتنة صار بعده أظهر وأشهر .

◆(حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ .

◆(حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه.

(إن المرأة تقبل في صورة شيطان) أي في صفته شبه المرأة الجميلة بالشيطان في صفة الوسوسة والإضلال يعني أن رؤيتها تثير الشهوة وتقيم الهمة ، فالمراد أنها تشبه الشيطان في دعائه إلى الشر ووسوسته وتزيينه قال الطيبي : جعل صورة الشيطان ظرفاً

لإقبالها مبالغة على سبيل التجريد لأن إقبالها داع للإنسان إلى استراق النظر إليها كالشيطان الداعي للشر (وتدبر في صورة شيطان) لأن الطرف رائد القلب فيتعلق بها عند الإدبار أيضاً بتأمل الخصر والردف وما هنالك خص إقبالها وإدبارها مع كون رؤيتها من جميع جهاتها داعية إلى الفساد لأن الإضلال فيهما أكثر وقدم الإقبال لكونه أشد فساداً لحصول المواجهة به

(فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته) أي استحسنها لأن غاية رؤية المتعجب منه استحسانه (فليأت أهله) أي فليجامع حليلته

(فإن ذلك) أي جماعها

(يردُّ ما في نفسه) أرشدهم إلى أن أحدهم إذا تحركت شهوته واقع حليلته تسكيناً لها وجمعاً لقلبه ودفعاً لوسوسة اللعين وهذا من الطب النبوي المبارك .

[*]أورد الخرائطي رحمه الله تعالى في اعتلال القلوب عن ابن عباس ، أنه قال : « لم يكن كفر من مضى إلا من قبل النساء ، وهو كائن كفر بمن بقي من قبل النساء »

[*]وأورد الخرائطي رحمه الله تعالى في اعتلال القلوب عن سعيد بن المسيب قال : « ما أيس الشيطان من نبي قط إلا أتاه من قبل النساء ، ثم قال وهو ابن تسع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يعشو بالأخرى : وما شيء أخوف عندي من النساء »

[*]وأورد الخرائطي رحمه الله تعالى في اعتلال القلوب عن معاذ بن جبل قال : « ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا ، وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ، وإن أكثر ما أخاف عليكم من ذلك من قبل النساء ، إذا تسورن الذهب ، ولبسن وباط الشام ، وعصب اليمن فأتعبن الغني ، وكلفن الفقير ما لا يجد »

[*]وأورد الخرائطي رحمه الله تعالى في اعتلال القلوب عن إبراهيم بن أدهم : « من أحب أفخاذ النساء لم يفلح »

☜فالنساء حبائل الشيطان وما خلا رجل بامرأة إلا وثالثهما الشيطان وأنهن من أضر ما على الرجل وأن لذة الرجل عندهن ولذاتهن عنده لا يخالف في ذَلِكَ أحد إلا معتوه أو نحوه فإذا رأت المرأة شابًا ولا ثالث لهما فلا يبعد أن تدعوه لذَلِكَ فما موقف هَذَا المغفل أمام بديع السماوات والأرض الَّذِي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

ولعل جواب هَذَا الجاهل أنه لا يدور في خلده أن امرأته تقدم على مثل هَذَا لأنها معصومة قولوا له أما سمعت بقصة امرأة العزيز اقرأها لعلك تأخذ حِذرك وتعلم أنه لا يسلم من فتنهن إلا عباد الله المخلصين .

قولوا له تأمل الْقِصَّة لعلك تفهم أن الله جلا وعلا لم يذكرها في القرآن إلا ليعتبر أولو الأبصار فيحترس الرِّجَال علي نسائهم من الخدم ونحوهم .

إن امرأة العزيز كانَتْ ذات مركز عَظِيم في مصر وكَانَ يوسف عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام في بيتها كخادم لها ومَعَ ذَلِكَ لم تسأل عن شرفها وكرامتها ولا شرف زوجها بل داستهما بنعل الشهوة دوسًا ولم تتوقف في بذل كُلّ ما تستطيع من قوة وحيلة لإخضاع يوسف عَلَيْهِ السَّلام ولولا أن الله عصمه وصرف عَنْهُ السُّوء والفحشاء لوصلت إلى ما تريد قال تعالى: (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السّوَءَ وَالْفَحْشَآءَ إِنّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) [يوسف / ٢٤]

﴿تنبيه﴾ :➢الافتتان بالنساء له ركنان متلازمان أحدهما من المرأة ولابد أن تكون هي البادئة والثاني من الرجل .

والجدير بالذكر أن هذين الركنين مجتمعين في قوله تعالى من سورة الأحزاب: (فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مّعْرُوفاً) [الأحزاب / ٣٢]

[*] فأما الركن الذي من المرأة : فهي أن تخضع بالقول _ والعياذ بالله _

والخضوع بالقول هو أن تلين الكلام وترقق الكلام مع الرجال الأجانب ، (ولولا أن المرأة ألانت الجانب ما اقترب منها أحدٌ من الأجانب ، ولا أظهروا لها المخالب) (ولو كانت غير ذلك ما كانت مطمعاً لكل هالك)

فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ : أي لا تلن في الكلام فيطمع الذي في قلبه فجور ،وإذا كانت الآية في حق أمهات المؤمنين رضي الله عنهن فغيرهن من باب أولى !

[*] قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٧/٤٠٩):

« ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم ، أي : لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها » ا.هـ.

[*] قال الإمام ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/١٤) :

« أَمَرَهُنَّ أن لا يلن كلامهن كما تلين المرأة المعطية الليان في منطقها فيطمع الذي في قلبه

مرض الشهوة » .

➢والمرأة ينبغي لها إذا خاطبت الأجانب أن تقوي كلامها ، فإن ذلك أبعد من الريبة والطمع فيها ،ولا تلينه وتكسره ، لأن ذلك يغري بها الرجال وتكون فتنة لهم [1] .

[*] وأما الركن الذي من الرجل : أن يكون الرجل مريض القلب _ والعياذ بالله _ ومرض القلب هنا هو التشوفُ للفجور ، _ والعياذ بالله تعالى من ذلك _ ، فلو كان الرجل تقياً نقياً لما تَهافَت على كل من ظهر منها اللين ، فلو كان عنده صلابةٌ في الدين لصان أعراض المسلمين ، ونأى بنفسه عن أي فعلٍ مَشِين ، وأصدق دليلٍ على ذلك قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز ، فهي امرأةٌ ذات منصب وجمال وقد راودته عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك ، لكنه عليه السلام من عباد الله المخلصين صادقاً النية في عدم الاقتراب من الرذيلة فضلاً عن الانغماس فيها فكان حقاً على الله تعالى أن يُنَجِّيْه ، فأنجاه بحوله وقوته وعصمه بعصمته قال تعالى: (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) [يوسف ٢٣، ٢٤]

➢أروع القصص للصادقين في العفاف :

﴿أصدق مثالٍ للعفاف﴾

تأمل في حال يوسف عليه السلام.. الذي أوتي من البهاء والحسن والجمال.. ما يفوق الخيال..

تراوده الملكة.. وهو عبد مملوك.. اشتراه زوجها بثمن بخس.. ليخدمها ..

(1) ينظر : مفتاح دار السعادة للإمام ابن القيم (١/٣٦٨) الكلام على مرض الشهوة .

وهو إلى ذلك غريب لا يخشى فضيحة .

شاب أعزب تشتاق نفسه إلى مثلها.. وهي ذات منصب وجمال..

وهي تتوعده بالسجن والصغار..

وتراوده.. وتبذل كلَّ ما عندها لإغرائه ..

أسرعت إلى أبوابها فغلقتها.. وإلى ثيابها فجملتها.. وإلى فرشها فزينتها ..

ثم قالت في تغنج ودلال : هيت لك..

فيصرخ بها العفيف عليه السلام.. (مَعَاذَ اللّهِ إِنّهُ رَبّيَ أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنّهُ لاَ يُفْلِحُ الظّالِمُونَ) [يوسف: ٢٣]

بل تأمل في حاله عليه السلام..

لما جمعت امرأة العزيز زوجات الكبراء.. وحليلات الأمراء.. ووضعت لهن أطايب الفاكهة.. آتت كل واحدة منهن سكيناً.. ثم جعلت يوسف يمرّ أمامهن .. فلما رأينه.. ما تحملن النظر إليه.. وغابت عقولهن من حسنه وبهائه.. فقطعن أيديهن بالسكاكين.. وقلن (حَاشَ للّهِ مَا هَـَذَا بَشَراً إِنْ هَـَذَآ إِلاّ مَلَكٌ كَرِيمٌ) [يوسف: ٣١]

فهل التفت يوسف إليهن ؟ أو اغترّ بشبابه وجماله ؟

..لا.. بل صاح بأعلى صوته وقال (رَبّ السّجْنُ أَحَبّ إِلَيّ مِمّا يَدْعُونَنِي إِلَيْـهِ وَإِلاّ تَصْـرِفْ عَنّي كَيْدَهُنّ أَصْبُ إِلَيْهِنّ وَأَكُن مّنَ الْجَاهِلِينَ) [يوسف: ٣٣]

قال تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنّ إِنّهُ هُوَ السّمِيعُ الْعَلِيمُ) [يوسف: ٣٤]

نعم السجن خير له من الفاحشة..

◆﴿ قصة الربيع بن خُثَيْم وامرأة بارعة الجمال ﴾◆

أمرَ قومٌ امرأةً ذات جمال بارع أن تتعرض للربيع ابن خيثم لعلها تفتنه ، وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم !

فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب ، وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه ، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده . فنظر إليها، فراعه أمرها، فأقبلت عليه وهي سافرة .

فقال لها الربيع : كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك ، فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك ؟

أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت ، فقطع منك حبل الوتين ؟

أم كيف بك لو سألك منكر ونكير؟

فصرخت المرأة صرخة، فخرت مغشيا عليها، فوالله لقد أفاقت ، وبلغت من عبادة ربها ما أنها كانت يوم ماتت كأنها جذع محترق .

فالمرأةُ خضعت بالقول لكن الربيع ابن خيثم لم يكن في قلبه مرض كحال الذين يسيل لعابهم وراء الشهوات والعياذ بالله فحصل له النجاة لذلك .

➢تفسير موقف المجرمين الذين أرادوا افتتان الربيع ابن خيثم :

{وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا} (سورة النساء/٢٧)

◆➢﴾ قصة عطاء بن يسار ﴿➢◆

خرج عطاء بن يسار وسليمان بن يسار حاجين من المدينة ، ومعهم أصحاب لهم، حتى إذا كانوا بالأبواء نزلوا منزلا لهم . فانطلق سليمان وأصحابه لبعض حاجتهم ، وبقي عطاء قائما يصلي . فدخلت عليه امرأة من الأعراب جميلة! فلما شعر بها عطاء ظن أن لها حاجة، فخفف صلاته ، فلما قض صلاته . قال لها : ألك حاجة؟

قالت : نعم .

فقال : ماهي ؟

قالت : قم . فأصب مني ، فإني قد ودقت (أي رغبت في الرجال) ولا بعل لي .

فقال : إليك عني . لا تحرقيني ونفسك بالنار .

ونظر إلى امرأة جميلة، فجعلت تراوده عن نفسه ،وتأبى إلا ما تريد ، فجعل عطاء يبكي ويقول : ويحك ! إليك عني . إليك عني .

واشتد بكاؤه ، فلما نظرت المرأة إليه وما دخله من البكاء والجزع بكت المرأة لبكائه ! !

فبينما هو كذلك إذ رجع سليمان بن يسار من حاجته ، فلما نظر إلى عطاء يبكي ، والمرأة بين يديه تبكي في ناحية البيت ، بكى لبكائهما، لا يدري ما أبكاهما .

وجعل أ صحابهما يأتون رجلا رجلا، كلما أتاهم رجل فرآهم يبكون جلس يبكي لبكائهم ، لا

يسألهم عن أمرهم حتى كثر البكاء، وعلا الصوت .
فلما رأت الأعرابية ذلك قامت فخرجت ، وقام القوم فدخلوا، فلبث سليمان بعد ذلك وهو لا يسأل أخاه عن قصة المرأة إجلالا له وهيبة .
ثم إنهما قدما مصر لبعض حاجتهما، فلبثا بها ما شاء الله ، فبينما عطاء ذات ليلة نائما استيقظ وهو يبكي : فقال سليمان : ما يبكيك يا أخي ؟
قال عطاء : رؤيا رأيتها الليلة .
قال سليمان : ما هي ؟
قال عطاء : بشرط أن لا تخبر بها أحدا مادمت حيا .
قال سليمان : لك ما شرطت .
قال عطاء: رأيت يوسف النبي عليه السلام في النوم ، فجئت أنظر إليه فيمن ينظر، فلما رأيت حسنه ، بكيت ، فنظر إلي في الناس .
فقال : ما يبكيك أيها الرجل ؟
قلت : بأبي أنت وأمي يا نبي الله ، ذكرتك وامرأة العزيز، وما ابتليت به من أمرها، وما لقيت من السجن ، وفرقة الشيخ يعقوب ، فبكيت من ذلك ، وجعلت أتعجب منه .
فقال يوسف عليه السلام : فهلا تعجب من صاحب المرأة البدوية بالأبواء؟ فعرفت الذي أراد، فبكيت واستيقظت باكيا .
فقال سليمان : أي أخي وما كان حال تلك المرأة ؟ فقص عليه عطاء القصة، فما أخبر بها سليمان أحدا حتى مات عطاء، فحدث بها امرأة من أهله .

﴿تنبيه﴾ : انظر رحمك الله كيف كان موقف عطاء بن يسار رحمه الله لم يجترئ على معصية الله في الخلوات لأنه رحمه الله لم يكن ممن (إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها) لعلمه بشناعة معصية الله في الخلوات ،
(حديث ثوبان رضي الله عنه الثابت في صحيح ابن ماجه) أن النبي ﷺ قال :لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاً فيجعلها الله عز وجل هباء منثورا قال ثوبان يا رسول الله صفهم لنا جلِّهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم قال أما

إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها .

[*] قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ : الحذر الحذر من المعاصي فإنها سيئة العواقب ، والحذر الحذر من الذُّنُوب خصوصًا ذنوب الخلوات فإن المبارزة لله تَعَالَى تسقط الْعَبْد من عينه سُبْحَانَهُ ولا ينال لذة المعاصي إلا دائم الغَفْلَة ، فأما المُؤْمِن اليقظان فإنه لا يلتذ بها ، لأنه عَنْدَ التذاذه يقف بإزائه علمه بتحريمها وحذره من عقوبتها ، فإن قويت معرفته رأى بعين علمه قرب الناهي وَهُوَ الله فيتنغص عيشه في حال التذاذه فإن غلبه سكر الهوى كَانَ الْقَلْب متنغصًا بهذه المراقبات وإن كَانَ الطبع في شهوته فما هِيَ إلا لحظة ثُمَّ خزي دائم وندم ملازم وبُكَاء متواصل وأسف على ما كَانَ مَعَ طول الزمان حتى إنه لو تيقن العفو وقف بإزائه حذار العتاب فأف للذنوب ما أقبح آثارها وأسوء وأخبارها . انتهى .

➢المكافأة في الآخرة لمن صان نفسه عن الحرام في الدنيا :

الذين صانوا أنفسهم عن الحرام رغم كثرة المغريات والصور والأفلام والتبرج الحادث في الشوارع والأسواق والطرقات وهذه الاتصالات وتطور وسائل الاتصالات، وما فيها من الجاذبية والإغراءات، ورغم ما في هذه المجلات والشاشات، ورغم ما في هذه السبل الكثيرة للحرام الموجودة، هؤلاء الذين صانوا أنفسهم عن الحرام، خشيةً من الملك العلاّم ، فلا بد أن يكون لهم مكافأة .

وعد الله الصالحين بالزوجات الجميلات، كما وعد الصالحات بأنه ليس منهن امرأة عازبة، ولا رجل أعزب، كلهم في الجنة كلهم ذوو أزواج، من النساء ومن الرجال، قال تعالى:(كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ) [سورة الدخان/٥٤]

والحور: جمع حوراء، وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة، نقية اللون والجلد لبياضها، شديدة بيضاء العين وسواد سوادها، شديدة بياض البياض، وشديدة سواد السواد، وقد شبههن تعالى بأنهن كأمثال اللؤلؤ المكنون، فقال تعالى :(وَحُورٌ عِينٌ) [سورة الواقعة/٢٢]

قال تعالى : (كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ) [سورة الواقعة/٢٣] ، واللؤلؤ المكنون هو المصون الذي لم يخرج من صدفه، وهو في غاية الحسن والجمال والبهاء، واسمع لهذا الحديث الشريف :

(حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الثابت في صحيح البخاري) أن النبي ﷺ قال :(ولو أن امرأةً من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها) وحسبك شهادة لجمالهن الباهر، وأنه بلغ الغاية في الحسن والمنتهى في الجمال أن الله شهد بهذا فقال: (فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ) [سورة الرحمن/٧٠] ، فيهن خيرات في الخلقة والأخلاق، جمعن بين جمال الظاهر وجمال الباطن.

﴿تنبيه﴾ :أما نساء الدنيا الصالحات القانتات الحافظات للغيب بما حفظ الله، نساء أهل الدنيا من الصائمات القانتات، الذاكرات لله كثيراً فهن أفضل من الحور العين جمالاً وجلالاً وقدراً وأخلاقاً، ومن كانت منهن ليست ذات زوجٍ في الدنيا فإنها تزوج يوم القيامة في الجنة إذا دخلت الجنة، فقد تزوج بمن لم يتزوج ومات وهو من أهل الجنة، أو بغير ذلك مما يريده الله تعالى.

➢صفات الحور العين الخَلْقية : 

➢أولاً: بياض البشرة وصفاؤها :

كما قال تعالى (عِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ) [سورة الصافات ٤٨،٤٩]

قال السدي: "بياض البيض حين ينزع قشره إذا نزعت القشرة كيف ترى هذه البيضة في صفائها ولينها ونعومتها وطراوتها؟ هي أعظم من ذلك، لكن يريد أن يقرب لك الصورة كي تحس أن هذا النعيم حقيقي، وليس نعيماً وهمياً، لا، (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ) [سورة الصافات ٤٩] ، واختاره ابن جرير لقوله: "مكنون" قال: "والقشرة العليا يمسها جناح الطائر، والعش وتنالها الأيدي بخلاف داخلها (تفسير ابن كثير)

وقيل: "إنه بيض النعام المكنون في الرمل، وهو عند العرب أحسن ألوان البياض وقيل:

"اللؤلؤ قبل أن يبرز من صدفته" هذا البيض المكنون، وقيل غير ذلك .

وقال الله تعالى أيضاً في وصفهن:(كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) [سورة الرحمن/٥٨] ، قال مجاهد والحسن والسدي وابن زيد: "في صفاء الياقوت، وبياض المرجان، فالحور العين، بشرتهن بيضاء صافية كالمرآة يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن ، ويستدل لذلك بالحديث الآتي :

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال :

قال في أهل الجنة:(ولكل واحدٍ منهم زوجتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن)

وقوله:(مخ سوقهما من وراء اللحم) المخ : ما في داخل العظم، والمراد وصفها بالصفاء البالغ، وأن ما في داخل العظم لا يستتر باللحم والعظم والجلد، من رقتها ونعومتها وصفائها ما في داخل العظم لا يستتر بالجلد. وهذا في الداخل في غاية الجمال، فيراه من خارج،

وقد فسر بعض المفسرين معنى الحور العين بالبياض وصفاء اللون، قال ابن عباس:"الحور في كلام العرب البيض" وكذا قال قتادة: "الحور البيض" وقال مقاتل: "الحور بيض الوجوه" وقال مجاهد: "الحور العين التي يحار فيهن الطرف بادياً مخ سوقهن من وراء ثيابهن من رقة الجلد.

➢ثانياً : جمال العيون واتساعها :

قال تعالى:(وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ) [سورة الصافات /٤٨] ، جمع عيناء وهي الواسعة العين، وجمعت أعينهن مع السعة صفات الحسن والملاحة، قال ابن القيم عند شرحه لمعنى الحور العين: "والصحيح أن الحور مأخوذ من الحور في العين، وهو شدة بياضها مع قوة سوادها، فهو يتضمن الأمرين، والحور في العين معنىً يلتئم من حسن البياض والسواد، وتناسبهما" – هذا البؤبؤ شديد السواد في هذه العين شديدة البياض واكتساب كل واحدٍ منهما الحسن من الآخر، هذا شدة السواد يكتسب حسن من شدة البياض، وشدة البياض يكتسب حسن من شدة السواد، هذا الحسن المركب بعضه من بعض هو بذاته جميل جداً، وإذا اجتمع مع غيره أجمل وأجمل – قال: "وعين حوراء إذا اشتد

بياض أبيضها وسواد أسودها، ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون الجسد، والعين جمع عيناء وهي عظيمة العين من النساء، ورجل أعين إذا كان ضخم العين، وامرأة عيناء والجمع عين، والصحيح أن العين اللاتي جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة، قال مقاتل: العين حسان الأعين ومن محاسن المرأة اتساع عينها في طول، طول شق العين، وضيق العين في المرأة من العيوب .

➢ثالثاً في صفات الحور العين أنهن مطهرات من الأنجاس والأقذار :

قال تعالى:(وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [سورة البقرة/٢٥]

قال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس" :مطهرة من القذر والأذى، فلا يحضن، ولا يحدثن، ولا يتنخمن"

قال مجاهد: "لا يَبُلْنَ ولا يتغوّطنَ ولا يحضْنَ ولا يلدن ولا يُمْنِين ولا يبزُقنَ"

وقال قتادة: "طهرهن الله من كل بولٍ وغائطٍ وقذرٍ ومن كل مأثم "

➢رابعاً: أتراب في السن :

قال تعالى :(وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ) [سورة ص/٥٢] ، وقال سبحانه:(إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا) [الواقعة/ ٣٥-٣٧]

قال ابن عباس وسائر المفسرين: "مستويات على سنٍ واحد، وميلادٍ واحد، بنات ثلاث وثلاثين سنة" وقال مجاهد: "أتراب: أمثال" قال إسحاق: "هن في غاية الشباب والحسن .

وقال أبو عبيدة وأبو إسحاق: "أقران، أسنانهن واحدة والمعنى من الإخبار باستواء أسنانهن أنهن ليس فيهن عجائز، قد فات حسنهن، ولا ولائد لا يطقن الوطأة

➢خامساً : أبكار :

قال تعالى: (إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا) [سورة الواقعة/ ٣٥ - ٣٦]، وقال تعالى :(لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ)[سورة الرحمن/٥٦]

قال المفسرون: "لم يطأهن ولم يمسهن ولم يجامعهن أحد" وقال أبو الهيثم: "يقال للمرأة طمثت إذا أدميت بالافتضاض

والبكر أفضل من الثيب، وعندما يطأ الرجل حوريته في الجنة ترجع بكراً مرة ثانية، هذا

مـــــــــــــــــن أعجـــــــــــــــــب العجـــــــــــــــــب،

➢سادساً: كواعب :

قال تعالى :(إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا)[سورة النبأ/ ٣١-٣٣] الكواعب: جمع كاعب، وهي المرأة التي تكعب ثديها، وأصل اللفظة من الاستدارة، والمراد أن ثديهن نواهد كالرمان، ليست متدلية إلى أسفل، ويسمين نواهد وكواعب، هذا بالنسبة للخلقة،

➢صفات الحور العين الخُلُقية :

➢أولاً: قاصرات الطرف:

وصفهن الله تعالى بقصر الطرف في ثلاثة مواضع،

قال تعالى:(فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ) [سورة الرحمن /٥٦] ، وقال تعالى :(وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ) [سورة الصافات /٤٨] وقال تعالى :(وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ) [سورة ص/٥٢] والمفسرون كلهم على أن المعنى: قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم، ولا يردن غيرهم، فلا يرين شيئاً أحسن في الجنة من أزواجهن ، قاله ابن عباس وقتادة وعطاء الخرساني وابن زيد . وأنت تعلم يا أيها الرجل أن من أعظم النعيم في الحياة الزوجية أن المرأة لا ترى رجلاً أحسن من زوجها، وأن تكون مقتنعة به تمام الاقتناع ، هذا متحقق تماماً في الجنة إلى أقصى درجة، وقد ورد أن الواحدة منهن تقول لبعلها" :والله ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك، ولا في الجنة شيء أحب إليّ منك، فالحمد لله الذي جعلك لي، وجعلني لك" وقيل: قصرن طرف أزواجهن كلهن فلا يدعهم حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن ، فهي قصرت طرف زوجها عليها من شدة جمالها .

➢ثانياً: أنهن عرباً :

قال تعالى : (عُرُبًا أَتْرَابًا) [سورة الواقعة /٣٧] ، والعروب هي المرأة المتحببة إلى بعلها بحسن لفظها، وحسن هيأتها ودلالها وجمالها ومحبتها، فهي إن تكلمت سلبت العقول، وود السامع أن كلامها لا ينقضي ، خصوصاً عند غنائهن بتلك الأصوات الرخيمة،

والنغمات المطربة، وإن نظر إلى أدبها وصمتها ودلها ملأت قلب بعلها فرحاً وسروراً، وإن برزت من محلٍ إلى آخر امتلأ ذلك الموضع منها ريحاً طيباً ونوراً، ويدخل في ذلك الغنجة عند الجماع.

قال صاحب تاج العروس: "العربة: هي الغُنِجة، والغنج في الجارية تكسرٌ وتدللٌ وقال في أبجد العلوم: "هي الأصوات التي تصدر عن العذارى والنساء الجميلات المهيجة للشوق، وهذا الغنج إن وقع أثناء المباشرة وحال المخالطة والتقبيل وغير ذلك كان محركاً أقوى لقوة الوقاع " إذاً الآن هو لو قال :الآن في نساء يتصلن بالهاتف ، ونساء وصوت الواحدة يسبي العقل ، وهذا خضوع بالقول، وهذا يفسد القلب، وهذا يجعل الإنسان كالأسير فنقول: اصبر، اصبر عنه، فإنك ستسمع ما هو ألذ من هذا بكثير، وإنما الدنيا ساعة فاجعلها طاعة، وبعد ذلك فإنما في الجنة سينسي كل ما في الدنيا من الصبر عن المحرمات وعلى الطاعات.

➢ثالثاً: طاهرة من جميع الأخلاق السيئة :

قال تعالى: (وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [سورة البقرة/٢٥] مطهرات من الأنجاس والأقذار هذه طهارة حسية، لكن أيضاً مطهرات من الأخلاق السيئة .
قال ابن القيم – رحمه الله – : "وكذلك طهر باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، وطهر طرفها من أن تطمح به إلى غير زوجها، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ" حتى الثياب.

➢ما جاء في التمتع بالحور العين :

ثم ماذا جاء من التمتع بالحور العين، لا شك أنه يكون بالحواس المختلفة، في البصر لا يقع على أجمل منها، ولا يطمح إلى غيرها من جمالها، والكلام يلتذ بسماعه والغناء، وهذا الغناء من أعظم النعيم من الحور العين، قال تعالى: (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ) [سورة الزخرف /٧٠]، هذا الدليل على أن الجنة فيها غناء، وأنهن يسمعن غناء الحور العين لأن قوله:(تُحْبَرُونَ) الحبر: اللذة والسماع ، قال مجاهد وقتادة: ينعمون لذة الأذن بالسماع هذا الحبور، وهذا النعيم، حبرة ، وقد أخبرنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

أن العين في الجنان يغنين بأصواتٍ جميلة عذبة، كما رواه ابن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:(إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصواتٍ ما سمعها أحد قط، إن مما يغنين: نحن الخيرات الحسان، أزواج قومٍ كرام، ينظرن بقُرّة أعيان، وإن مما يغنين به: نحن الخالدات فلا يمتنه، نحن الآمنات فلا يخفنه، نحن المقيمات فلا يضعنه.)

فيا لذة الأبصار إن هي أقبلت ويا لذة الأسماع حين تكلمِ

➢أما الشم:

فأطيب ريحٍ يشم منهن، (لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه الثابت في صحيح البخاري) أن النبي ﷺ قال :(ولو أن امرأةً من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها)

➢أما الملامسة فبجميع معانيها:

قال تعالى: (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ) [سورة يس /٥٥]

ما هو الشغل؟ ما معنى فاكهون؟ (هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِؤُونَ) [سورة يس /٥٦] ، قال ابن عباس وغيره: "شغلهم افتضاض الأبكار ويعطى الرجل في الجنة قوة مائة،

(حديث أَنَسٍ رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال :

: «يُعْطَى المُؤمِنُ في الْجَنّةِ قُوّةَ كذَا وكذَا مِنَ الْجِمَاعِ، قيلَ يَا رَسُولَ الله أَوَ يُطِيقُ ذَلِكَ؟ قَالَ: يُعْطَى قُوّةَ مِائَةٍ».

هذه الحوراء إذا كانت لزوجٍ صالحٍ له زوجة في الدنيا تؤذيه فإنها تغار عليه من المؤذية هذه وتقول : تُؤْذِيه، قَاتَلَكِ الله، فَإِنّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا.

(حديث مُعَاذِ بن جَبَلٍ الثابت في صحيحي الترمذي وابن ماجة) أن النبي ﷺ قال :«لاَ تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدّنْيَا. إلاّ قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ: لا تُؤْذِيه، قَاتَلَكِ الله، فَإِنّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا».

➢وحديثها السحر الحلال إن طال لم يمل:

وود المتحدث أنها لا توجز، وإن غنت فيا لذة الأبصار والأسماع، وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك المآنسة والإمتاع :

فيا خاطب الحسناء إن كنت باغياً		فهذا زمان المهر فهو المقدمُ
وكن مبغضاً للخائنات لحبها		فتحظى بها من دونهن وتنعمُ
وصم يومك الأدنى لعلّك في غدٍ		تفوز بعيد الفطر والناس صومُ

➢وسائل حماية المجتمع من خطر فتنة النساء :

➢جاء الشرع بغلق منافذ الفتنة وسدِّ الذرائع التي توصل إلى الفساد مهما كان مصدرها أو حجمها ، وحفلت الشريعة الإسلامية بالعديد من وسائل حماية المجتمع من خطر هذه الفتنة، تمنع وقوعها، وتسد المنافذ الموصلة إليها، متى ما رعاها المجتمع المسلم بقي محافظاً على نظافته الخلقية وطهارته الحسية والمعنوية فعليه أن يتبعها وألا يتساهل في أي خطوة لأنها ستجر الخطوة التي بعدها كما قال تعالى : (يأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ لاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَاء وَٱلْمُنْكَرِ) [النور:٢١]

➢وإليه وسائل الحماية من فتنة النساء جملةً وتفصيلا :

وسائل الحماية من فتنة النساء جملةً :

(أولاً) شرع الله تعالى الحجاب ونهى عن التبرج والسفور :

(ثانياً) جعل قرار المرأة في بيتها هو الأصل :

(ثالثاً) أمر الله تعالى بالاستئذان على النساء وبَيَّن أن الاستئذان من أجل البصر :

(رابعاً) النهي عن إطلاق البصر في المحرمات، والأمر بغض البصر:

(خامساً) نهى عن الخلوة بالمرأة الأجنبية :

(سادساً) نهى عن سفر المرأة لوحدها بلا محرم :

(سابعاً) عدم اختلاط المرأة بالرجال :

(ثامناً) لا تُكلَّم النساء إلا بإذن أزواجهن :

(تاسعاً) النهي عن مصافحة النساء :

(عاشراً) نهى المرأة عن الخروج من منزلها متعطرة :

(الحادي عشر) نهي المرأة عن الخضوع في القول في مخاطبة الرجال الأجانب:

وسائل الحماية من فتنة النساء تفصيلا :

(أولاً) شرع الله تعالى الحجاب ونهى عن التبرج والسفور :

(حديث عائشة رضي الله عنها الثابت في صحيح أبي داوود) :أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يري منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه .

➢فَرْضِيَّةُ الحجاب على نساء المؤمنين أمرٌ يعلمه كلُّ من نوَّر الله بصيرته وأراد هدايته ، بأدلة ظاهرة الدلالة من الوحيين الشريفين الكتاب والسنة الصحيحة، وبدلالة القياس الصحيح، والاعتبار الرجيح للقواعد الشرعية العامة، ولذا جرى على موجبه عمل نساء المؤمنين من عصر النبي ﷺ إلى يومنا هذا في جزيرة العرب وغيرها من بلاد المسلمين ، ولقد تعبَّد اللهُ تعالى نساء المؤمنين بفرض الحجاب عليهن، الساتر لجميع أبدانهن وزينتهن، أمام الرجال الأجانب عنهن، تعبداً يثاب على فعله ويعاقب على تركه، ولهذا كان هتكه من الكبائر الموبقات، ويجر إلى الوقوع في كبائر أخرى، مثل: تعمّد إبداء شيء من البدن، وتعمّد إبداء شيء من الزينة المكتسبة، والاختلاط، وفتنة الآخرين، إلى غير ذلك من آفات هتك الحجاب .

فعلى نساء المؤمنين الاستجابة إلى الالتزام بما افترضه الله عليهن من الحجاب والستر والعفة والحياء طاعةً لله تعالى، وطاعة لرسوله ﷺ، قال الله عز شأنه: ﴿وَمَا كانَ لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضَى اللهُ ورسولُهُ أمراً أن يُّكون لهم الخيرَةُ من أمرهمْ ومن يَّعصِ اللهَ ورسوله فقدْ ضلَّ ضلالاً مبيناً﴾ [الأحزاب: ٣٦] .

ويجب على المؤمنين الذي مسَّ نساءهم طائف من السفور أو الحسور أو التكشف أن يتقوا الله ، فيحجبوا نساءهم بما أمر الله به بالجلباب –العباءة- والخمار، وأن يأخذوا

بالأسباب اللازمة لأطرهنَّ وتثبيتهن عليه، لما أوجبه الله على أوليائهن من القيـام الـذي أساسه: الغيرة الإسلامية، والحميَّة الدينية، ويجب على نساء المؤمنين الاستجابة للحجـاب –العباءة– والخمار، طواعية لله ولرسوله ﷺ وتأسياً بأمهات المؤمنين ونسائه، والله ولـي الصالحين من عباده وإمائه .

وإليك بعض فضائل الحجاب الشرعي :

(١) الحجاب طاعةٌ لله تعالى ولرسوله ﷺ ، وقد أوجب الله تعالى طاعته وطاعة رسوله ﷺ :

قال تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلّ ضَلاَلاً مّبِيناً) [سورة: الأحزاب – الآية: ٣٦]
الشاهد قوله تعالى [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ]
فأعلم الله تعالى أنه لا اختيار على ما قضاه الله ورسوله .
وقد أمر الله تعالى بالحجاب فقال تعالى: (وَقُل لّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إِلاّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنّ عَلَىَ جُيُوبِهِنّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إِلاّ لِبُعُولَتِهِنّ أَوْ آبَآئِهِنّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنّ أَوْ أَبْنَآئِهِنّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنّ أَوْ إِخْوَانِهِنّ أَوْ بَنِيَ إِخْوَانِهِنّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنّ أَوْ نِسَآئِهِنّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنّ أَوِ التّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرّجَالِ أَوِ الطّفْلِ الّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىَ عَوْرَاتِ النّسَآءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنّ وَتُوبُوَاْ إِلَى اللّهِ جَمِيعاً أَيّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ) [النـور / ٣١]
الشاهد قوله تعالى [وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنّ عَلَىَ جُيُوبِهِنّ]
(وليضربن بخمرهن على جيوبهن) أي يسترن الرؤوس والأعناق والصدور بالمقانع ، والخُمُر جمع خمار، وهو ما تغطي به المرأة رأسها، ومنه اختمرت المرأة ، والجيوب: جمع جيب، وهو موضع القطع من الدرع والقميص،

قال المفسرون: إن نساء الجاهلية كن يسدلن خمرهن من خلفهن، وكانت جيوبهن من قدام واسعة.

وقال تعالى: (يَأَيّهَا النّبِيّ قُل لأزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنّ مِن جَلاَبِيبِهِنّ ذَلِكَ أَدْنَىَ أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رّحِيماً) [سورة: الأحزاب - الآية: ٥٩]

(يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) يقول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم تسليما أن يأمر النساء المؤمنات المسلمات - خاصة أزواجه وبناته لشرفهن - بأن يدنين عليهم من جلابيبهن ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الإماء والجلباب هو الملاءة التي تشتمل بها المرأة أي يرخين بعضها على الوجوه إذا خرجن لحاجتهن إلا عينا واحدة (ذلك أدنى) أقرب إلى (أن يعرفن) بأنهن حرائر (فلا يؤذين) بالتعرض لهن بخلاف الإماء فلا يغطين وجوههن فكان المنافقون يتعرضون لهن (وكان الله غفورا) لما سلف منهن لترك الستر (رحيما) بهن إذ سترهن

(٢) الحجاب إيمان :

لأن الله تعالى لم يخاطب به إلا المؤمنات لقوله تعالى (وَقُل لّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إِلاّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنّ عَلَىَ جُيُوبِهِنّ) [سورة: النور - الآية: ٣١]

وقال تعالى: (يَأَيّهَا النّبِيّ قُل لأزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنّ مِن جَلاَبِيبِهِنّ ذَلِكَ أَدْنَىَ أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رّحِيماً) [سورة: الأحزاب - الآية: ٥٩]

(٣) الحجاب طهارة :

قال تعالى: (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنّ ً) [سورة: الأحزاب - الآية: ٥٣]

الشاهد قوله تعالى : (ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنّ ً) [الأحزاب / ٥٣]

فبين الله تعالى أن الحجاب طهارةٌ لقلوب المؤمنين والمؤمنات .

و آية الحجاب هذه مما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما ⇦ثبت ذلك في الصحيحين عنه أنه قال وافق ربي عز وجل في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله تعالى "واتخذوا من مقام إبراهيم مصلي "وقلت يا رسول الله

إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو حجبتهن فأنزل الله آية الحجاب وقلت لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم لما تمالأن عليه في الغيرة "عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن "فنزلت كذلك .

(٤) الحجاب عفة :

لقوله تعالى يَأَيّهَا النّبِيّ قُل لأزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنّ مِن جَلاَبِيبِهِنّ ذَلِكَ أَدْنَىَ أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رّحِيماً) [سورة: الأحزاب - الآية: ٥٩]

الشاهد قوله تعالى : (ذَلَكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ) أي ذلك أحرى أن يعرفن بأنهن عفيفات بلبسهن الحجاب ، (فَلاَ يُؤْذَيْنَ) أي لا يتعرضُ لهن الفساق بأذى من قولٍ أو فعل .

(٥) الحجاب ستر :

قال تعالى: (يَابَنِيَ آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلّهُمْ يَذّكّرُونَ) [سورة: الأعراف - الآية: ٢٦]

[*] قال عبد الرحمن بن أسلم : يتقي فيواري عورته ، فذاك لباس التقوى ، ولذلك تجد وظيفة اللباس عند من لا يتقون الله تعالى ولا يستحون منه كعامة الغربيين مثلاً لا يتجاوز غاية الزينة والرياش ، وأما المؤمنون المتقون فإنهم يحرصون على اللباس أولاً لستر العورة التي يستحي من إظهارها ثم بعد ذلك لهم سعة في إظهار الزينة والتجمل .

(حديث يعلى بن أمية في صحيحي أبي داوود والنسائي) أن النبي ﷺ قال : إن الله حييٌ سِتِّير يحب الحياء والستر ، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر .

(٦) الحجاب حِرَاسةٌ شرعية لحفظ الأعراض، ودفع أسباب الرِّيبة والفتنة والفساد .

(٧) الحجاب داعية إلى توفير مكارم الأخلاق من العفة والاحتشام والحياء والغيرة، والحجب لمساويها من الـتَلَوُّث بالشَّائنات كالتبذل والتهتك والسُّفالة والفساد .

(٨) الحجاب علامة على العفيفات : الحجاب علامة شرعية على الحرائر العفيفات في عفتهن وشرفهن، وبعدهن عن دنس الريبة والشك : ﴿ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾، وصلاح الظاهر دليل على صلاح الباطن، وإن العفاف تاج المرأة، وما رفرفت العفة على دارٍ إلا أكسبتها الهناء .

(٩) الحجاب وقاية اجتماعية من الأذى، وأمراض قلوب الرجال والنساء، فيقطع الأطماع الفاجرة، ويكف الأعين الخائنة، ويدفع أذى الرجل في عرضه، وأذى المرأة في عرضها ومحارمها، ووقاية من رمي المحصنات بالفواحش، وَإِدباب قالة السوء، ودَنَس الريبة والشك، وغيرها من الخطرات الشيطانية .

ولله درُّ من قال :

حُورٌ حرائر ما هَمَمْنَ بريبةٍ كَظِبَاء مَكَّة صيدهنَّ حرامُ

(١٠) الحجاب وسيلة فعالة لحفظ الحياء: وهو مأخوذ من الحياة، فلا حياة بدونه، وهو خلُق يودعه الله في النفوس التي أراد سبحانه تكريمها، فيبعث على الفضائل، ويدفع في وجوه الرذائل، وهو من خصائص الإنسان، وخصال الفطرة، وخلق الإسلام، والحياء شعبة من شعب الإيمان، وهو من محمود خصال العرب التي أقرها الإسلام ودعا إليها،

قال عنترة العبسي :

وأغضُّ طَرفي إن بَدَت لي جارتي	حتى يُواري جارتي مأواها

فآل مفعول الحياء إلى التحلي بالفضائل، وإلى سياج رادع، يصد النفس ويزجرها عن تطورها في الرذائل .

وما الحجاب إلا وسيلة فعالة لحفظ الحياء، وخلع الحجاب خلع للحياء .

(١١) الحجاب يمنع نفوذ التبرج والسفور والاختلاط إلى مجتمعات أهل الإسلام .

(١٢) الحجاب حصانة ضد الزنا والإباحية، فلا تكون المرأة إناءً لكل والغ.

(١٣) المرأة عورة، والحجاب ساتر لها، وهذا من التقوى، قال الله تعالى : ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير﴾ [الأعراف: ٢٦]،

[*] قال عبد الرحمن بن أسلم رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: ((يتقي الله فيواري عورته، فذاك لباس التقوى)) .

[*]➢شروط الحجاب الشرعي :

➢للحجاب الشرعي شروطٌ ثمانية هي :

(١) استيعاب جميع البدن حتى الوجه على الراجح

(٢) أن لا يكون زينةً في نفسه

(٣) أن يكون صفيقاً لا يشف

(٤) أن يكون فضفاضاً لا يصف .

(٥) أن لا يكون مُبخراً مطيباً

(٦) أن لا يشبه لباس الرجال

(٧) أن لا يشبه لباس الكافرات

(٨) أن لا يكون لباس شهرة

وإليك تفصيل ذلك :

[الشرط الأول] استيعاب جميع البدن حتى الوجه على الراجح

قال تعالى: (يَأَيّهَا النّبِيّ قُل لأزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنّ مِن جَلاَبِيبِهِنّ ذَلِكَ أَدْنَىَ أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رّحِيماً) [سورة: الأحزاب - الآية: ٥٩]

الشاهد قوله تعالى [يَأَيّهَا النّبِيّ قُل لأزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنّ مِن جَلاَبِيبِهِنّ]

والجلباب : ثوبٌ أكبر من الخمار تستر به جميع بدنها حتى وجهها إلا ما ترى به الطريق .

{تنبيه} : ممن قال أن المقصود بقوله تعالى [يُدْنِينَ عَلَيْهِنّ مِن جَلاَبِيبِهِنّ] هو ستر جميع البدن حتى الوجه إلا ما ترى به الطريق جملةٌ من الأئمة منهم الإمام الطبري والقرطبي وابن كثير والرازي والزمخشري والنسفي وابن حبان ، وجلال الدين المحليّ وجلال الدين السيوطي والشنقيطي وعبد الرحمن بن ناصر السعدي وغيرهم .

و قال تعالى: (وَقُل لّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إِلاّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنّ عَلَىَ جُيُوبِهِنّ)

الشاهد قوله تعالى[وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنّ عَلَىَ جُيُوبِهِنّ]

[*] قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى :

[الخُمُر] التي تغطي الرأس والوجه والعنق ،والجلابيب التي تسدل من فوق الرؤوس حتى لا يظهر من لا بسها إلا العينان .

(حديث ابن مسعود في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال : المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان .

الشاهد قوله ﷺ [المرأة عورة] وهو قول عام يشمل جميع البدن حتى وجهها .

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : كل شيءٍ منها عورة حتى ظفرها .

(حديث ابن عمر في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : ولا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القُفازين)

الشاهد قوله ﷺ [ولا تنتقب المرأة المحرمة] هذا دليلٌ واضح على لبس النقاب في غير الإحرام لأنه من محظورات الإحرام .

(حديث ابن عمر في صحيحي أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ قال : من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة فقالت أم سلمة : يا رسول اللّه فكيف تصنع النساء بذيولهن قال : يرخين شبراً قالت : إذن تنكشف أقدامهن قال : فترخيه ذراعاً لا يزدن عليه .

قال الشيخ ابن عثيمين حفظه الله تعالى : في الحديث دليل على وجوب ستر قدم المرأة وأنه معلوم عند نساء الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، والقدم أقل فتنة من الوجه والكفين إتفاقاً ، وعليه فيجب ستر الوجه من باب أولى .

[الشرط الثاني] أن لا يكون زينةً في نفسه

لقوله تعالى: (وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إِلاّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنّ عَلَىَ جُيُوبِهِنّ) [النور /٣١]

قال العلامة الألباني حفظه الله تعالى : المقصود من الأمر بالجلباب سترُ زينة المرأة فلا يعقل حينئذٍ أن يكون الجلباب نفسه زينة .

[*] قال الذهبي رحمه الله تعالى : ومن الأفعال التي لعنت المرأة عليها أظهار زينتها كذهب أو لؤلؤ من تحت نقابها وتطيبها بطيب كمسك إذا خرجت وكذا لبسها عند خروجها كل ما يؤدي إلى التبرج كمصوغ براق وإزار حرير وتوسعة كم وتطويله. وكل ذلك من التبرج الذي يمقت الله عليه فاعله في الدنيا والآخرة ولتجرأ النساء في فعل هذه الأمور وغيرها من الأمور المحرمة أعلمنا النبي ﷺ كما عند البخاري:

" أطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء."

[الشرط الثالث] : أن يكون صفيقاً لا يشف :

وذلك لأن الستر لا يتحقق إلا بالصفيق ، أما الشفاف فإنه يزيد المرأة فتنةً وزينة

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : صنفان من أهل النار لم أرهما: رجالٌ معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، و نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ مميلاتٌ رءوسهُن كأسنمةِ البُخت المائلة لا يدخلن الجنة و لا يجدن ريحها و إن ريحها ليوجد من مسيرة كذا و كذا .

الشاهد قوله ﷺ [و نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ مميلاتٌ رءوسهُن كأسنمةِ البُخت المائلة لا يدخلن الجنة و لا يجدن ريحها و إن ريحها ليوجد من مسيرة كذا و كذا]

(ونساء كاسيات) في الحقيقة (عاريات) في المعنى لأنهن يلبسن ثياباً رقاقاً يصف البشرة ، يسترن بعض بدنهن ويكشفن بعضه إظهاراً للجمال

(مائلاتٌ مميلاتٌ) مائلات متبخترات في مشيتهن مميلات أكتافهن وأكفالهن ،أو مائلات للرجال مميلات قلوبهم إلى الفساد بهم بما يبدين من زينتهن .

(رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة) أي يُعَظِّمْنَ رؤوسهن بالخُمُرِ والعمائم التي يلففنها على رؤوسهن حتى تشبه أسنمة الإبل

(لا يدخلن الجنة) مع الفائزين السابقين أو مطلقاً إن استحللن .

[الشرط الرابع] : أن يكون فضفاضاً لا يصف .

أي غير ضيق حتى لا يصف شيئاً من جسمها أو يظهر أماكن الفتنه من الجسم ، وذلك لأن الغرض من الثياب رفع الفتنة ، واللباسُ الضيقة يحصل بها الفتنة لأنها وإن كانت تستر لون البشرة إلا أنها تصف حجم الجسم أو بعضه .

(حديث أسامة بن زيد في المسند) قال : كساني رسول الله ﷺ قُبطيةً كثيفةً مما أهداها له دحيةُ الكلبي فكسوتها امرأتي فقال : ما لك لم تلبس القُبطية ؟ قلت كسوتها امرأتي . فقال : مُرْها فلتجعل تحتها غِلالة فإني أخافُ أن تصف حجم عِظامها .

﴿تنبيه﴾: من أسوء ما ابتلي به كثير من النساء – هداهن الله – لبس المرأة البنطلون فهو وإن كان يتستر العورة إلا أنه يصفها وصفاً مهيجاً للغرائز ومثيراً للشهوات

[*]هذا وقد وجه سؤال إلي اللجة الدائمة للإفتاء برئاسة سماحة الشيخ / عبد العزيز بن باز رحمه الله: هل يجوز للمرأة أن ترتدي بنطلون كالرجال
فكانت الإجابة كما يلي :
ليس للمرأة أن تلبس الثياب الضيقة لما في ذلك من تحديد جسمها وذلك مثار الفتنة والغالب في البنطلون انه ضيق يحدد أجزاء البدن التي يحيط بها ويسترها
كما انه قد يكون في لبس المرأة للبنطلون تشبه من النساء بالرجال وقد لعن النبي ﷺ المتشبهات بالرجال.
[*]وقد سئل فضيلة الشيخ ابن جبرين في كتاب النخبة من الفتاوى النسائية:
ما حكم لبس البنطلون للنساء عند غير أزواجهم؟
فقال الشيخ وأجاب:
لا يجوز للمرأة عند غير زوجها مثل هذه اللباس لأنه يبين تفاصيل جسمها والمرأة مأمورة أن تلبس ما يستر جميع بدنها لأنها فتنة وكل شيء يبين من جسمها يحرم لبسه عند الرجال أو النساء أو المحارم أو غيرهم إلا الزوج الذي يحل له النظر إلى جميع بدن زوجته فلا بأس أن تلبس عنده الرقيق أو الضيق ونحوه – والله أعلم
[الشرط الخامس أن لا يكون مبخراً] :
(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة .
(أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة) فيه حرمة التطيب على مريدة الخروج إلى المسجد لما فيه من تحريك داعية شهوة الرجال .
(حديث أبي موسى في صحيح النسائي) أن النبي ﷺ قال : أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية و كل عين زانية .
(أيما امرأة استعطرت) أي استعملت العطر أي الطيب يعني ما يظهر ريحه منه (ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها) أي بقصد ذلك
(فهي زانية) أي كالزانية في حصول الإثم وإن تفاوت لأن فاعل السبب كفاعل المسبب قال الطيبي : شبه خروجها من بيتها متطيبة مهيجة لشهوات الرجال التي هي

بمنزلة رائد الزنا بالزنا مبالغة وتهديداً وتشديداً عليها (وكل عين زانية) أي كل عين نظرت إلى محرم من امرأة أو رجل فقد حصل لها حظها من الزنا إذ هو حظها منه وأخذ بعض المالكية من الحديث حرمة التلذذ بشم طيب أجنبية لأن اللّه إذا حرم شيئاً زجرت الشريعة عما يضارعه مضارعة قريبة وقد بالغ بعض السلف في ذلك حتى كان ابن عمر رضي اللّه عنه ينهى عن القعود بمحل امرأة قامت عنه حتى يبرد .

[الشرط السادس أن لا يشبه لبس الرجل] :

(حديث ابن عباس في صحيح البخاري) قال لعن رسول الله ﷺالمتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال .

[*] قال الحافظ في الفتح (١٠ / ٣٤٥)

قال الطبري رحمه الله تعالى : المعنى لا يجوز للرجال التشبه بالنساء في اللباس والزينة التي تختص بالنساء ولا العكس. ، ثم قال الحافظ وكذا في الكلام والمشي .

[*] وقال شيخ الإسلام في الفتاوى (٢٢/١٥٤) :

« والمرأة المتشبهة بالرجال تكتسب من أخلاقهم حتى يصير فيها من التبرج والبروز ومشابهة الرجال ما قد يفضي ببعضهن إلى أن تظهر بدنها كما يظهره الرجال ، وتطلب أن تعلو على الرجال كما يعلو الرجال على النساء ، وتفعل من الأفعال ما ينافي الحياء والخفر المشروع للنساء وهذا القدر قد يحصل بمجرد المشابهة.وإذا تبين أنه لا بد من أن يكون بين لباس الرجال والنساء فرق يميز بين الرجال والنساء ، وأن يكون لباس النساء فيه من الاستتار والاحتجاب ما يحصل مقصود ذلك ظهر أصل هذا الباب » .

➢وقال أيضاً في الاختيارات الفقهية (١١٧) عن تشبه النساء بالرجال :

« والصحيح : أنه محرم . وحكى بعض أصحابنا التحريم رواية. وما كان من لبس الرجال ، مثل العمامة والخف والقباء الذي للرجال، والثياب التي تبدي مقاطع خلقها ، والثوب الرقيق الذي لا يستر البشرة وغير ذلك ، فإن المرأة تنهى عنه ، وعلى وليها كأبيها وزوجها : أن ينهاها عن ذلك .وهذه العمائم التي تلبسها النساء على رءوسهن حرام بلا ريب » .

[*] قال الإمام الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص١٣٤) :

« فإذا لبست المرأة زي الرجال من المقالب والفرج والأكمام الضيقة ، فقد شابهت الرجال في لبسهم ، فتلحقها لعنة الله ورسوله ، ولزوجها إذا أمكنها من ذلك ، أو رضي به ولم ينهها ، لأنه مأمور بتقويمها على طاعة الله ، ونهيها عن المعصية ، لقول الله تعالى : ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ﴾ ، ولقول النبي ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، الرجل راع في أهله ومسؤول عنهم يوم القيامة » متفق عليه » ا.هـ. [٢]

﴿تنبيه﴾: هناك من النساء من تخرج عن فطرتها وتتمرد على أنوثتها وتتشبه بالرجال فهذه المرأة ملعونة.

[الشرط السابع أن لا يشبه لبس الكافرات] :

مثل أن يكون قصيراً أو سافراً

(حديث عبد الله بن عمرو في صحيح مسلم) قال : رأى رسول الله ﷺ عليَّ ثوبين مُعَصْفَرين فقال :إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها ، قلت أغسلها ؟ قال : لا أحرقها .

(حديث ابن عمر في صحيح أبي داود) أن النبي ﷺ قال : من تشبه بقوم فهو منهم .

(من تشبه بقوم) أي تزيا في ظاهره بزيهم وفي تعرفه بفعلهم وفي تخلقه بخلقهم وسار بسيرتهم وهديهم في ملبسهم وبعض أفعالهم أي وكان التشبه بحق قد طابق فيه الظاهر الباطن

(فهو منهم) قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : هذا الحديث أقل أحواله التحريم

[*] قال الإمام ابن القيم في « إغاثة اللهفان » (١/٣٦٤) :

« ونهى عن التشبه بأهل الكتاب وغيرهم من الكفار في مواضع كثيرة ؛ لأن المشابهة الظاهرة ذريعة إلى الموافقة الباطنة فإنه إذا أشبه الهدي الهدي أشبه القلب القلب » ا.هـ.

➢ وقد وقع في ذلك بعض الفتيات – وللأسف – محاكاة لنساء الغرب من الكافرات في الملابس ، وتسريحات الشعر ، وأدوات التجميل والزينة !! والمحاكاة والتقليد دليل على الانهزامية والتبعية !

[الشرط الثامن أن لا يكون لبس شهرة] :

---

(٢) ينظر كتاب جلباب المرأة المسلمة ، للعلامة الألباني رحمه الله (ص١٤١) .

فكم من النساء حرصت على مثل هذه الثياب الملفتة للنظر تحت مسمى الأزياء والموضة !

(حديث ابن عمر في صحيحي أبي داوود وابن ماجة) أن النبي ﷺ قال : من لبس ثوبَ شُهْرَة ألبسه الله يوم القيامة ثوب مَذَلَةٍ ثم يُلْهِبُ فيه النار . (من لبس ثوب شهرة) الشهرة ظهور الشيء في شنعة بحيث يشتهر به

(ألبسه اللّه يوم القيامة ثوب مذلة) ثوب مذلة أي يشمله بالذل كما يشمل الثوب البدن في ذلك الجمع الأعظم بأن يصغره في العيون ويحقره في القلوب لأنه لبس شهوة الدنيا ليفتخر بها على غيره .

(ثم يلهب فيه النار) عقوبة له بنقيض فعله والجزاء من جنس العمل فأذله اللّه كما عاقب من أطال ثوبه خيلاء بأن خسف به فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة .

[*] قال الإمام ابن تيمية في الفتاوى (١٣٨/٢٢) :

« وتكره الشهرة من الثياب وهو المترفع الخارج عن العادة والمنخفض الخارج عن العادة فإن السلف كانوا يكرهون الشهرتين المرتفع والمنخفض . وفي الحديث « من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة » وخيار الأمور أوساطها » .

[*] وقال الإمام ابن القيم في « زاد المعاد » (١٣٧/١) :

« قال بعض السلف : كانوا يكرهون الشهرتين من الثياب العالي والمنخفض . وفي السنن عن ابن عمر يرفعه إلى النبي ﷺ : « من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة ثم تلهب فيه النار » وهذا لأنه قصد به الاختيال والفخر فعاقبه الله بنقيض ذلك فأذله » .

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣١٠/١٠) : « وقد ورد النهي عن الشهرة في اللباس فكل شيء صير صاحبه شهرة فحقه أن يجتنب » .

[*] قال الشوكاني في نيل الأوطار (٢ /١١١) مختصراً :

« والحديث يدل على تحريم لبس ثوب الشهرة وإذا كان اللبس لقصد الاشتهار في الناس فلا فرق بين رفيع الثياب ووضيعها والموافق لملبوس الناس والمخالف لأن التحريم يدور مع الاشتهار والمعتبر القصد وإن لم يطابق الواقع » .

مسألة : ما هو لبس الشهرة ؟

قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث (٢/٥١٥) : « الشهرة ظهور الشيء ، والمراد أن ثوبه يشتهر بين الناس لمخالفة لونه لألوان ثيابهم فيرفع الناس إليه أبصارهم ، ويختال عليهم بالعجب والتكبر ».

[*]⮘ وقد وجه سؤال لفضية الشيخ عبد الله الفوزان:

ما حكم لبس ثوب الشهرة؟

الجواب :

لا يجوز لامرأة مسلمة أن تختار من ألوان الثياب ما ترضي به رغبة الدعابة ولا يتعلق بضرورة اللباس أو حسنة وجماله في حدود المباح وإنما لأجل أن يرفع الرجال إليها أبصارهم وتفتن تلك النظرات الجائعة

(حديث ابن عمر في صحيحي أبي داوود وابن ماجة) أن النبي ﷺ قال : من لبس ثوبَ شُهْرَة ألبسه الله يوم القيامة ثوب مَذَلَةٍ ثم يُلْهبُ فيه النار .

[*] قال ابن الأثير رحمه الله تعالى : ثوب الشهرة: "هو الذي إذا لبسه الإنسان افتضح به وأشتهر بين الناس"

[*]⮘من مشاهد الضياع في ارتداء الحجاب

⮘ومن مشاهد الضياع في ارتداء الحجاب، ما يفعله بعض النساء من وضع العباءة على كتفها ولف الطرحة على رأسها ليبدوا قوامها ويمتشق قدها، ولا شك أيها الإخوة أن هذا الفعل فتنة للمرأة وفتنة للرجل،

[*] وقد أفتى الشيخ عبد الله بن جبرين بحرمة هذا الفعل، سئل ـ حفظه الله ـ: إنه انتشر بين نساء المسلمين ظاهرة خطيرة وهي لبس بعض النساء العباءة على الكتفين وتغطية الرأس بالطرحة والتي تكون زينة في نفسها، وهذه العباءة تلتصق بالجسم وتصف الصدر وحجم العظام ويلبسن هذا اللباس موضة أو شهرة، ما حكم هذا اللباس وهل هو حجاب

شرعي؟ وهل ينطبق عليهن حديث النبي ﷺ : ((صنفان من أمتي من أهل النار لم أرهما..))؟

قال ــ حفظه الله ــ: قد أمر الله النساء المؤمنات بالتستر والتحجب الكامل قال ــ تعالى ــ: ﴿يٰأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِأَزْوٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ﴾. والجلباب: هو الرداء الذي تلتف به المرأة ويستر رأسها وجميع بدنها، فلبس المرأة للعباءة هو من باب التستر والاحتجاب الذي يقصد منه منع الغير من التطلع ومد النظر قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾، ولا شك أن بروز رأسها ومنكبيها مما يلفت الأنظار نحوها، فإذا لبست العباءة على الكتفين كان ذلك تشبها بالرجال، وكان منه إبراز رأسها وعنقها وحجم المنكبين، وبيان بعض تفاصيل الجسم كالصدر والظهر ونحوه، مما يكون سبباً للفتنة وامتداد الأعين نحوها وقرب أهل الأذى منها ولو كانت عفيفة، وعلى هذا فلا يجوز للمرأة لبس العباءة فوق المنكبين لما فيه من المحذور ويخاف دخولها في الحديث المذكور السابق ذكره، انتهى كلامه ــ حفظه الله ــ.

➢ومن مظاهر الحجاب العصري الفاسدة المنتشرة بين كثير من الفساد بداعي التقليد والإثارة أو الجهل، ما يفعله كثير منهن من إظهار العينين وجزء من الوجه وربما اكتحلت إحداهن أو وضعت الأصباغ على وجهها لتبدوا بشكل لافت ومثير.

أيها الاخوة الكرام، إن إطلاق المرأة لبصرها تنظر في الرجال وينظرون إليها، لهو فتنة لها ولقلبها، والنساء ضعيفات سريعات التأثر، فينتج عن ذلك فتنة وفساد كبير ــ أعاذنا الله وإياكم ــ.

[*] وقد سئل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين عن ما يسمى بالنقاب وطريقة لبسه، ففي بداية الأمر كان لا يظهر إلا العينان فقط، ثم بدأ النقاب بالاتساع شيئا فشيئا فأصبح يظهر مع العينين جزء من الوجه مما يجلب الفتنة، ولا سيما أن كثيرا من النساء يكتحلن عند لبسه.

➢ فأجاب فضيلته: في وقتنا هذا لا نفتي بجوازه بل نرى منعه وذلك لأنه ذريعة إلى التوسع فيما لا يجوز، ولهذا لم نفت امرأة من النساء لا قريبة ولا بعيدة بجواز النقاب أو البرقع في أوقاتنا هذه، بل نرى أنه يمنع منعا باتا، وأن على المرأة أن تتقي ربها في هذا

الأمر وأن لا تنتقب، لأن ذلك يفتح باب شر لا يمكن إغلاقه، فيما بعد الأسواق والحدائق الأماكن العامة.

➢ومن مظاهر التناقض في لبس الحجاب، أن ترى المرأة المسلمة بلبس حجابها ولكن فوق ثوب مشقوق الجانبين أو فوق تنورة مفتوحة من الخلف، وربما تلبس عباءتها فوق بنطلون يكون في بعض الأحيان ضيقا، أو تسير بين الرجال ورائحة الطيب تفوح منها، وربما تجد امرأة قد أكملت حجابها ولمت عباءتها ولكنها تتحدث مع صاحب المحل بصوت متكسر يطمع الرجال فيها.

﴿تنبيه﴾: إن أول فتيلٍ أشعله [أدعياء تحرير المرأة] هو الحجاب والسخرية منه والنيل من لابِسَتِه بالسب والشتم أو بالسخرية والذمّ.

تقول إحدى الهالكات: إنني ضد الحجاب ، لأن البنات المحجّبات يُخِفْن الأطفال بمظهرهن الشاذ، وقد قررت بصفتي مدرسة بالجامعة، أن أطرد أي طالبة محجبة في محاضرتي، فسوف آخذها من يدها وأقول لها: مكانك في الخارج.

أيها الأخوة ، إن مسالة الحجاب ما هي إلا بوابةٌ يدلُف منها هؤلاء إلى الانحلال من الإسلام بالكلية، فهم لا يكتفون أبدًا بأن تلبس المرأة زيًّا فاضحًا دونما حجاب؛ بل لا يكتفون حتى يعلموا أنهم مسخوا بحق حقيقة الإسلام من قلب المرأة المسلمة.

➢أيها الأخوة : وإن المرأة متى تخلَّت عن حجابها ، فإنها قد فتحت بابًا من الشر لا يقفل أبدًا، ولذلك لما علم رسول الله ضرر النساء على الرجال كما في الحديث الآتي :

(حديث أسامة الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال :ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء .

➢فإن المسلمة إن تبرجت بلباسها وألقت حجابها، إنها إن فعلت ذلك، فقد فاز الأعداء في مخططاتهم، وكسبوا مكسبًا عظيمًا. وإن المرأة متى ما تبرجت فقد هدمت المجتمع ونشرت الرذيلة، وأشاعت الفاحشة.

[*] يقول سماحة الوالد الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى : في رسالة له اسمها [التبرج] ، أنصح الجميع بقراءتها، فقد بين فيها الشيخ رحمه الله البيان الشافي في حكم الحجاب وحرمة السفور، يقول رحمه الله:

➢"فلا يخفى على كل من له معرفةٌ ما عمت به البلوى في كثير من البلدان من تبرج الكثير من النساء وسفورهن، وعدم تحجبهم من الرجال، وإبداء الكثير من زينتهن التي حرم الله عليهن إبداءها، ولا شك أن ذلك من المنكرات العظيمة والمعاصي الظاهرة، ومن أسباب حلول العقوبات ونزول النقمات، لما يترتب على التبرج والسفور من ظهور الفواحش وارتكاب الجرائم وقلة الحياء وعموم الفساد".

ثم يقول رحمه الله: "فاتقوا الله أيها المسلمون، وخذوا على أيدي سفهائكم وامنعوا نساءكم مما حرم الله عليهن، وألزموهن التحجب والتستر واحذروا غضب الله سبحانه، وعظيم عقوبته،

(حديث أبي بكر الصديق في صحيحي أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ قال : إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه .

➢ويقول رحمه الله رادًّا على دعاة الاختلاط ونزع الحجاب: "إن ثمرات الاختلاط مُرة ، وعواقبه وخيمة، رغم مصادمته للنصوص الشرعية التي تأمر المرأة بالقرار في بيتها، والقيام بالأعمال التي تخصها في بيتها ونحوه، ومن أراد أن يعرف عن كثب ما جناه الاختلاط من المفاسد التي لا تحصى ؛ فلينظر إلى تلك المجتمعات التي وقعت في هذا البلاء العظيم بإنصافٍ من نفسه وتجرد للحق عما عداه، فسيجد التحسر على انفلات المرأة من بيتها وتفكك الأسر" ا.هـ

➢ونحن نقول لهؤلاء الناعقين: أي حريّة للمرأة تريدون؟!

أتريدونها أن تكون ألعوبة في يد القاصي والداني؟!

أم تريدونها أن تكون ورقةً مبذولةً تطؤها الأقدام وتمزقها الأيدي، بعد أن كانت جوهرةً مصونةً لا يكاد يرى أحد منها شيئًا من غير محرمها إلا بعقد صحيح؟

أيّ حرية في أن تكون المرأة مع الرجل جنبًا إلى جنب في كل شيء ؟!

عجبًا! ثم عجبًا!

➢لقد عرف أعداءُ الإسلام ما يحمله هذا الدين للمرأة من سموّ كرامةٍ وعظيم صيانة، علموا في مقرراته المأصلّة أن الأصلَ قرارُ المرأة في مملكة منزلها، في ظل سكينة وطمأنينة، ومحيط بيوتٍ مستقرةٍ، وجوِّ أسرة حانية. رأوا حقوقَ المرأة مقرونةً

بمسؤوليتها في رعاية الأسرة، وخروجها في الإسلام من منزلها يؤخَذ ويمارَس من خلال الحشمة والأدب، ويُحاط بسياج الإيمان والكرامة وصيانة العرض، كما قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣]، وبينت السنة الصحيحة أن بيوت النساء خيرٌ لهن من الخروج حتى للمسجد كما في الحديث الآتي :

(حديث ابن عمر رضي الله عنهما الثابت في صحيح أبي داود) أن النبي ﷺ قال : لا تمنعوا نساءكم المساجد و بيوتهن خير لهن .

➢ حينذاك ضاقوا من ذلك ذرعاً، فراحوا بكلِّ وسيلة وسعوا بكل طريقة ليخرجوا المرأةَ من بيتها وقرارِها المكين وظلِّها الأمين، لتطلق لنفسها حينئذ العنانَ لكل شاردةٍ وواردة، ولهثوا لهثاً حثيثاً ليحرّروها من تعاليم دينها وقيم أخلاقها، تارةً باسم تحرير المرأة، وتارةً باسم الحرية والمساواة، وتارةً باسم الرقي والتقدم الكاذب. مصطلحاتٌ ظاهرها الرحمة والخير، وباطنُها شرٌّ يُبنى على قلبِ القيم، وعكس المفاهيم، والانعتاق من كل الضوابط والقيم والمسؤوليات الأسَرية والحقوق الاجتماعية، وبالتالي تُقام امرأةٌ تؤول إلى سلعةٍ تُدار في أسواق الملذَّات والشهوات.

فالمرأةُ في نظر هؤلاء هي المتحرِّرةُ من شؤون منزلها وتربية أولادها، هي الراكضةُ اللاهثة في هموم العيش والكسب ونصب العمل ولفْت الأنظار وإعجاب الآخرين، ولو كان ذلك على حساب تدمير الفضيلة والأخلاق ، وتدمير الأسرة والقيم، فلا هي حينئذ بطاعة ربٍّ ملتزمةٌ، ولا بحقوق زوجٍ وافية، ولا في إقامة مجتمع فاضلٍ مُسهِمة، ولا بتربية نشءٍ قائمةٌ.

فدعواتهم تهدف لتحرير المسلمة من دينها والمروق من إسلامها، مبادئُ تصادم الفطرة وتنابذ القيمَ الإيمانية. دعواتٌ من أولئك تنبثق من مبادئَ مُهلكةٍ ومقاييسَ فاسدة وحضاراتٍ منتنة، تزيِّن الشرورَ والفساد بأسماء برّاقة ومصطلحات خادعة. وللأسف تجد من أبناء المسلمين من في فكره عِوَجٌ وفي نظره خلل ينادي بأعلى صوتٍ بتلك الدعوات، ويتحمّس لتلك الأفكار المضلِّلة والتوجُّهات المنحرفة، بل ويلهج سعياً لتحقيقها وتفعيلها. لذا تجد أقلامَهم تُفرز مقتاً للأصيل من أصولهم والمجيد من تراثهم.

➢وقد قال أحد اليهود قديماً من الذين تخصصوا وتفننوا في إفساد الشعوب الإسلامية ماذا قال: إن مكسبنا في الشرق لا يمكن أن يتحقق إلا إذا خلعت الفتاة المسلمة حجابهـا، فـإذا خلعت الفتاة المسلمة حجابها كسبنا القضية واستطعنا أن نستولي على الشرق .

➢وقال أحد قادة الماسون قال: كأس وغانية يفعلان بالأمة المحمدية ما لا يفعله ألف مدفع ودبابة فأغرقوها، أي أمة محمد أغرقوها في حب المادة والشهوات.

﴿تنبيه﴾:وجدير بنا هنا أن نلفت النظر إلى تعريف التبرج ثم ذكر مسـاوئ التبـرج حتـى تجتنبه المؤمنات وتحترز منه وتفرُ منه فرارها من الأسد فإنه من قبائح الذنوب وفـواحش العيوب ، ومن صفات الجاهلية الأولى التي أتى الإسلام لتطهير النفوس من دنسها .

➢التبرج : هو إظهار الزينة وإبراز المرأة لمحاسنها و ما يجب أن تستره مما تستدعي به شهوة الرجال.

➢تحريم التبرج

وقد دلَّ الكتاب والسنة والإجماع على تحريم تبرج المرأة، وهو إظهارها شيئاً من بدنها أو زينتها المكتسبة التي حرَّم الله عليها إبداءها أمام الرجال الأجانب عنها.

فهو محرّم بوازع الإيمان، ونفوذ سلطانه على قلوب أهـل الإسـلام طواعيـة لله تعـالى ولرسوله ﷺ، وتحلياً بالعفة والفضيلة، وبعداً عن الرذيلة، وانكفافاً عن الإثـم، واحتسـاباً للأجر والثواب، وخوفاً من أليم العقاب، فَعَلى نساء المسلمين أن يتقين الله، فينتهين عمـا نهى الله عنه ورسوله ﷺ، حتى لا يُسهمن في إدبـاب الفسـاد فـي المسـلمين، بشـيوع الفواحش، وهدم الأسر والبيوت، وحلول الزنا، وحتى لا يكنَّ سبباً في اسـتجلاب العيـون الخائنة، والقلوب المريضة إليهن، فيَـأْثمن ويُؤثِّمن غيرهن .

➢والأدلة على تحريم التبرج آيات من كتاب الله، منها آيتان نصٌّ في النهي عـن التبـرج، وهما:

قول الله تعالى : ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ [الأحزاب: ٣٣] .

وقول الله تعالى : ﴿والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس علـيهن جنـاح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم﴾ [النور: ٦٠] .

وآيات ضرب الحجاب وفرضه على أمهات المؤمنين ونساء المؤمنين ونهيهن عن إبداء الزينة، نصوص قاطعة على تحريم التبرج والسفور .

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : صنفان من أهل النار لم أرهما: رجالٌ معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، و نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ مميلاتٌ رءوسهُن كأسنمةِ البُخت المائلة لا يدخلن الجنة و لا يجدن ريحها و إن ريحها ليوجد من مسيرة كذا و كذا .

الشاهد قوله ﷺ [و نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ مميلاتٌ رءوسهُن كأسنمةِ البُخت المائلة لا يدخلن الجنة و لا يجدن ريحها و إن ريحها ليوجد من مسيرة كذا و كذا]

(ونساء كاسيات) في الحقيقة (عاريات) في المعنى لأنهن يلبسن ثياباً رقاقاً يصف البشرة ، يسترن بعض بدنهن ويكشفن بعضه إظهاراً للجمال

(مائلاتٌ مميلاتٌ) مائلات متبخترات في مشيتهن مميلات أكتافهن وأكفالهن ،أو مائلات للرجال مميلات قلوبهم إلى الفساد بهم بما يبدين من زينتهن .

(رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة) أي يُعَظِّمْنَ رؤوسهن بالخُمُرِ والعمائم التي يلففنها على رؤوسهن حتى تشبه أسنمة الإبل

(لا يدخلن الجنة) مع الفائزين السابقين أو مطلقاً إن استحللن .

وهذا نص فيه وعيد شديد، يدل على أن التبرج من الكبائر؛ لأن الكبيرة: كل ذنب توعد الله عليه بنار أو غضب أو لعنةٍ أو عذابٍ أو حِرمانٍ من الجنة.

➢وقد أجمع المسلمون على تحريم التبرج،

وكما حكاه العلامة الصنعاني في حاشيته [منحة الغفار على ضوء النهار: ٤/ ٢٠١١ـ٢٠١٢] .

➢وبالإجماع العملي على عدم تبرج نساء المؤمنين في عصر النبي ﷺ، وعلى ستر أبدانهن وزينتهن، حتى انحلال الدولة العثمانية في عام ١٣٤٢هـ وتوزع العالم الإسلامي وحلول الاستعمار فيه .

➢وليحذر المسلم من بدايات التبرج في محارمه، وذلك بالتساهل في لباس بناته الصغيرات بأزياء لو كانت على بالغات لكانت فسقاً وفجوراً، مثل: إلباسها القصير، والضيق، والبنطال

، والشفاف الواصف لبشرتها، إلى غير ذلك من ألبسة أهل النار، كما تقدم في الحديث الصحيح، وفي هذا من الإلف للتبرج والسفور، وكسر حاجز النفرة، وزوال الحياء، ما لا يخفى، فليتق الله من ولاّه الله الأمر .

وهاك بعض مساوئ التبرج والعياذ بالله :

(١) التبرج من صفات أهل النار :

قد بين لنا رسول الله ﷺ مآل وعاقبة المتبرجة السافرة كما في الحديث الآتي :

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : صنفان من أهل النار لم أرهما: رجالٌ معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، و نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ مميلاتٌ رءوسهُن كأسنمةِ البُخت المائلة لا يدخلن الجنة و لا يجدن ريحها و إن ريحها ليوجد من مسيرة كذا و كذا .

الشاهد قوله ﷺ [و نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ مميلاتٌ رءوسهُن كأسنمةِ البُخت المائلة لا يدخلن الجنة و لا يجدن ريحها و إن ريحها ليوجد من مسيرة كذا و كذا]

(ونساء كاسيات) في الحقيقة (عاريات) في المعنى لأنهن يلبسن ثياباً رقاقاً يصف البشرة ، يسترن بعض بدنهن ويكشفن بعضه إظهاراً للجمال

(مائلاتٌ مميلاتٌ) مائلات متبخترات في مشيتهن مميلات أكتافهن وأكفالهن ،أو مائلات للرجال مميلات قلوبهم إلى الفساد بهم بما يبدين من زينتهن .

(رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة) أي يُعَظِّمْنَ رؤوسهن بالخُمُرِ والعمائم التي يلففنها على رؤوسهن حتى تشبه أسنمة الإبل

(لا يدخلن الجنة) مع الفائزين السابقين أو مطلقاً إن استحللن .

(ولا يجدن ريحها) أي الجنة (وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) كناية عن خمسمائة عام أي يوجد من مسيرة خمسمائة عام كما جاء مفسراً في رواية أخرى .

أختاه يا من خلعت حجابك ولم تستحي من ربك ألست حفيدة خديجة وعائشة وفاطمة ؟

ألست من نساء المؤمنين ؟

إذا قلت نعم فعليك أن تنصاعي لقول رب العالمين:

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} (الأحزاب ٥٩)

➢من خلعت حجابها خلعت معه حيائها ومن خلعت حياءها خلعت معه إيمانها

(حديث ابن عمر في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : إن الحياء و الإيمان قرنا جميعا فإذا رُفِعَ أحدهما رفع الآخر .

﴿تنبيه﴾:الحياءُ خُلُقٌ يبعث على اجتناب القبيح ولذا قال النبي ﷺ إذا لم تستح فاصنع ما شئت كما في الحديث الاتي :

(حديث أبي مسعودٍ الأنصاري في صحيح البخاري) أن النبي ﷺ قال : إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت .

➢وأفضلُ الحياء أن تستحي من الله :

(حديث ابن مسعود في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال : استحيوا من الله تعالى حق الحياء ، قلنا يا نبي الله إنا لنستحي والحمد لله ، قال : ليس ذاك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس و ما وعى والبطن و ما حوى وتذكر الموت و البِلى و من أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء .

➢وهل المرأة إذا كانت متبرجةً تكون قد استحت من الله تعالى

أختاه: اسمعي هذا الحديث وعيه جيدا وانظري أين أنت من هذا:

(حديث ابن عمر في صحيحي أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ قال : من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة فقالت أم سلمة: يا رسول اللّه فكيف تصنع النساء بذيولهن قال : يرخين شبراً قالت : إذن تنكشف أقدامهن قال : فترخيه ذراعاً لا يزدن عليه .

﴿تنبيه﴾:(الذراع يقاس من منتصف الساق)

ولعل بعض النساء تتسأل وتقول لو فعلت ذلك سيصيب ثوبي النجاسة كما قالت أم سلمه للنبي ﷺ فما الجواب ؟

الجواب هو ما قاله النبي ﷺ { يطهره ما بعده }

(حديث أم ولد لإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الثابت في صحيحي أبي داوود والترمذي) أنها سألت أم سلمة فقالت إني امرأة أَطيل ذيلي وأمشي في المكان القذر ، فقالت أم سلمة : قال النبي ﷺ { يطهره ما بعده }

[*]⮘يا سبحان الله ! الرسول ﷺ يقول لأم سلمه يرخينه شبراً ولكنها تقول أن النساء لا يطيقن هذا لأن أقدامهن ستنكشف عند المشي فلم ترضي أن يرخي الثوب شبراً يجرجر في الأرض ولكن فتيات هذا الزمان رضين بهذا الشبر ولكنه ليس شبراً يجرجر في الأرض ولكنه شبراً فوق الركبتين

لحد الركبتين تشمرين	بربك أي نهر تعبرين
كأن الثوب ظل في صباح	يزيد تقلصا حيناً فحيناً
تظنين الرجال بلا شعور	أم لأنك ربما لا تشعرين

وانظري أختاه إلى هذه المرأة السوداء. امرأة من أهل الجنة. تعالي لنري قصتها لنعلم شدة حيائها

(حديث عطاء ابن أبي رباح الثابت في الصحيحين) قال : قال لي ابن عباس رضيَ الله عنهما ألا أُريك امرأةً من أهل الجنة ؟ قلتُ بلى ، قال هذه المرأةُ السوداء ، أتت النبي ﷺ فقالت إني أُصرع وإني أتكشف فادعُ الله لي . قال إن شئتِ صبرتِ ولكِ الجنة وإن شئتِ دعوتُ الله أن يُعافيكِ فقالت أصبر ، فقالت إني أتكشف فادعُ الله لي ألا أتكشف فدعا لها .

⮘[*] سبحان الله تخاف أن يظهر شيء وجسدها وهى تعاني من مرض الصرع وهى معذورة ولكنها تقيةٍ نقية ، عفيفةً حييّة ، حرةً أبيَّة ، فطلبت من النبي ﷺ أن يدعو الله ألا تتكشف فهي تصبر على المرض و آلامه ولكنها لا تصبر على التكشف فما بال الذين يكشفون عن أجسادهم بلا مرض و لا صرع .

⮘لله درها كان همها والذي أقلقها أن تتكشف فيخرج شيئاً من جسدها مع أنها معذورة بالمرض ويصيبها الصرع !

هل رأيتم مثل حرص هذه المرأة على ستر جسدها وحفظ نفسها ؟!

واليوم وللأسف كم من فتاة تقوم وهى في كامل صحتها وعافيتها بمخالفة أمر ربها ورسوله ؟!

فتكشف عن شيء من جسدها ،وتبرز مفاتنها ، وتعصي الله جل وعلا بنعمه عليها !
أو ليس الذي وهبها هذه النعم قادرا على أن يسلبها منها؟!
﴿تنبيه﴾ : ➤فتذكري أختيتي دائما أن هناك جنة ونار ، وجزاء وحساب ، فهذا مما يبعث على العمل والزهد في الدنيا ، وترك الذنوب والمعاصي..

[*] قال الإمام ابن القيم في « مدارج السالكين » (٢/٧٩) :
« وإذا خلا القلب من ملاحظة الجنة والنار ورجاء هذه والهروب من هذه فترت عزائمه وضعفت همته ووهن باعثه، وكلما كان أشد طلبا للجنة وعملا لها كان الباعث للطاعة أقوى، والهمة أشد، والسعي أتم » .

(٢) التبرج فعل الجاهلية الأولي والتي نهي الله عنه:
قال تعالى: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنّ وَلاَ تَبَرّجْنَ تَبَرّجَ الْجَاهِلِيّةِ الاُولَىَ) [الأحزاب / ٣٣]
الشاهد قوله تعالى : [وَلاَ تَبَرّجْنَ تَبَرّجَ الْجَاهِلِيّةِ الاُولَىَ]
(ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) أي ما قبل الإسلام من إظهار النساء محاسنهن للرجال .

(حديث ابن عباس في صحيح البخاري) أن النبي ﷺ قال : أبغض الناس إلى الله ثلاثة : مُلْحِدٌ في الحرم ومبتغٍ في الإسلام سنة الجاهلية ومُطَّلِبٌ دمَ امرئٍ بغير حق ليهريق دمه .
الشاهد قوله ﷺ [ومبتغٍ في الإسلام سنة الجاهلية]
(مبتغ) طالب (في الإسلام) أي في دينه (سنة الجاهلية) أي إحياء طريقة الجاهلية ، ومنها التبرج والعياذ بالله .
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى :
[سنة الجاهلية] : اسم جنس يعم جميع ما كان أهل الجاهلية يعتمدونه .

(٣) التبرج معصيةٌ لله ورسوله :
(حديث أبي هريرة في صحيح البخاري) أن النبي ﷺ قال : كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ، قيل: ومن يأبى يا رسول اللّه؟ من أطاعني دخل الجنة و من عصاني فقد أبى .

(كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى) بفتح الهمزة والموحدة بامتناعه عن قبول الدعوى أو بتركه الطاعة التي هي سبب لدخولها لأن من ترك ما هو سبب شيء لا يوجد بغيره فقد أبى أي امتنع .

قال : (من أطاعني) أي انقاد وأذعن لما جئت به (دخل الجنة) وفاز بنعيمها الأبدي ، بين أن إسناد الامتناع عن الدخول إليهم مجاز عن الامتناع لسببه وهو عصيانه بقوله (ومن عصاني) بعدم التصديق أو بفعل المنهي (فقد أبى) فله سوء المنقلب بإبائه والموصوف بالإباء إن كان كافرا لا يدخل الجنة أصلا أو مسلماً لم يدخلها مع السابقين الأولين .

والمعنى : من أطاعني وتمسك بالكتاب والسنة دخل الجنة ومن اتبع هواه وزل عن الصواب وخل عن الطريق المستقيم دخل النار .

(٤) التبرج هلاكٌ مُحَقق بنص السنة الصحيحة :

(حديث فضالة بن عبيد في صحيح الأدب المفرد) أن النبي ﷺ قال : ثلاثةٌ لا تسأل عنهم : رجلٌ فارق الجماعة وعصى إمامه فمات عاصياً ، وأمةٌ أوعبدٌ أبق فمات ، وامرأةٌ غاب عنها زوجها فتبرجَّت بعده ، فلا تسأل عنهم .

معنى [لا تسأل عنهم : أي لا تسأل عن هلكتهم] أي هلاكهم محقق ، ومن بينهم المرأة المتبرجة.

[*] وقد سئل فضيلة الشيخ محمد ابن عثيمين عن اللباس الضيق والمفتوح للمرأة فقال:

هذا اللباس لباس أهل النار، كما قال النبي ﷺ : ((صنفان من أهل النار لم أرهما..) ، وذكر الحديث السابق، فهذه المرأة التي تلبس هذا اللباس كاسية عارية، لأن اللباس إذا كان ضيقا فإنه يصف حجم البدن ويبين مقاطعه، وكذلك إذا كان مفتوحا، فإنه يبين ما تحته، لأنه ينفتح، فلا يجوز مثل هذا اللباس، وقال ـ حفظه الله ـ في موضع آخر: أرى انسياق المسلمين وراء هذه الموضة من أنواع الألبسة التي ترد علينا من هنا وهناك، وكثير منها لا يتلاءم مع الزي الإسلامي الذي يكون فيه الستر الكامل للمرأة، مثل الألبسة القصيرة أو الضيقة جدا أو الخفيفة، ومن ذلك لبس البنطلون فإنه يصف حجم رِجل المرأة، وكذلك بطنها وخاصرتها وغير ذلك، فلابسته تدخل تحت الحديث الصحيح السابق، فنصيحتي

لنساء المؤمنين ولرجالهن أن يتقوا الله ــ عز وجل ــ، وأن يحرصوا على الزي الإسلامي الساتر وألا يضيعوا أموالهم في اقتناء مثل هذه الألبسة، أما عن حكم لبس مثل هذه الملابس عند المحارم والنساء فقال: وأما بين المرأة والمحارم فإنه يجب عليها أن تستر عورتها، والضيق لا يجوز لا عند المحارم ولا عند النساء إذا كان الضيق شديدا يبين مفاتن المرأة انتهى كلامه ــ حفظه الله ــ.

[*][*][*][*]

(ثانياً) جعل قرار المرأة في بيتها هو الأصل :

➢قرار المرأة في بيتها عزيمةُ شرعية، وخروجها منه رخصةٌ تُقَدَّر بقدرها

فالأصل لزوم النساء البيوت، لقول الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ في بيُوتِكنَّ﴾ [الأحزاب:٣٣].

فهو عزيمة شرعية في حقهن، وخروجهن من البيوت رخصة لا تكون إلا لضرورة أو حاجة.

ولهذا جاء بعدها: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ أي: لا تكثرن الخروج متجملات أو متطيبات كعادة أهل الجاهلية .

والأمر بالقرار في البيوت حجاب لهن بالجُدر والخُدُور عن البروز أمام الأجانب، وعن الاختلاط، فإذا برزن أمام الأجانب، وجب عليهن الحجاب باشتمال اللباس الساتر لجميع البدن، والزينة المكتسبة .

➢ومَن نظر في آيات القرآن الكريم، وجد أن البيوت مضافة إلى النساء في ثلاث آيات من كتاب الله تعالى، مع أن البيوت للأزواج أو لأوليائهن، وإنما حصلت هذه الإضافة –والله أعلم– مراعاة لاستمرار لزوم النساء للبيوت، فهي إضافة إسكان ولزوم للمسكن والتصاق به، لا إضافة تمليك .

قال الله تعالى : ﴿وقرن في بيوتكن﴾ [الأحزاب: ٣٣] ، وقال سبحانه: ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكم من آيات الله والحكمة﴾ [الأحزاب: ٣٤]، وقال عز شأنه: ﴿لا تخرجوهن من بيوتهن﴾ [الطلاق: ١] .

فمن أعظم صفات المرأة الصالحة أن تكون قارَّةً في بيتها امتثالاً لقوله تعالى :

﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣]

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[الأحزاب:٣٣]:

[*] قال ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، أي الزمن بيوتكن، فلا تخرجن لغير حاجة، ومن الحوائج الشرعية الصلاة في المسجد بشرطين متلازمين هما :

(١) أن يتجنبن ما يثير الشهوة ويدعو إلى الفتنة من الزينة والطيب

(٢) أن يخرجن وهن تفلات ، كما في الأحاديث الآتية

(حديث ابن عمر رضي الله عنهما الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : لا تمنعوا إماء الله مساجد الله .

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال :أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة .

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح أبي داود) أن النبي ﷺ قال : لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن وهن تفلات .

(حديث ابن عمر رضي الله عنهما الثابت في صحيح أبي داود) أن النبي ﷺ قال : لا تمنعوا نساءكم المساجد و بيوتهن خير لهن .

[*] قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: {وقرن}، قرأ الجمهور {وقِرن}، وقرأ عاصم ونافع بفتحها. فأما القراءة الأولى فتحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون من الوقار ، تقول: وقَرَ يَقِر وقارًا أي سكن، والأمر قِرْ، وللنساء قِرْن(٣).

والوجه الثاني: أن يكون من القرار.

ثم قال رحمه الله: معنى هذه الآية، الأمر بلزوم البيت، وإن كان الخطاب لنساء النبي ﷺ، فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى ، هذا لو لم يرد دليل يخص جميع النساء، كيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن، والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة. فأمر الله تعالى نساء النبي ﷺ بملازمة بيوتهن، وخاطبهن بذلك تشريفًا لهن، ونهاهن عن التبرج.

ثم قال رحمه الله أيضًا: ذكر الثعلبي وغيره عن عائشة رضي الله عنها، كانت إذا قرأت

---

(٣) يقول الشيخ المودودي رحمه الله: فمعنى الآية إذًا: عشن في بيوتكن بالسكينة والوقار. الحجاب ص٣٠٧.

هذه الآية تبكي حتى تبل خمارها.

وذكر أن سودة قيل لها: لم لا تحجين وتعتمرين كما يفعل أخواتك؟ فقالت: قد حججت واعتمرت، وأمرني الله أن أقر في بيتي. قال الراوي: فو الله ما خرجت من باب حجرتها، حتى أخرجت جنازتها، رضوان الله عليها.

ثم قال رحمه الله: ليس المراد بحكم ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، أن لا تتخطى النساء عتبة بيتهن أبدًا، بل الأمر أن قد أُذن لهن أن يخرجن لحوائجهن.

ولكن هذا الإذن ليس بمطلق غير محدود، ولا هو غير مقيد بشروط، فليس جائزًا للنساء أن يطفن خارج بيوتهن كما شئن، ويخالطن الرجال بحرية في المجالس والنوادي، وإنما مراد الشرع بالحوائج: هو الحاجات الحقيقية التي لابد معها للنساء من أن يخرجن من البيوت ويعملن خارجها.

ومن الظاهر أنه لا يمكن استيعاب جميع الصور الممكنة لخروج النساء وعدم خروجهن، في جميع الأزمان، ولا من الممكن وضع الضوابط والحدود لكل مناسبة من تلك المناسبات، غير أن المرء يستطيع أن يتفطن لروح القانون الإسلامي ورجحانه، إذا نظر فيما قرره النبي ﷺ، من الضوابط لخروج المرأة من البيت في عامة أحوال الحياة، وما تناول به حدود الحجاب من الزيادة والنقص بين آونة وأخرى، وأن يستخرج بنفسه حدود الحجاب للأحوال الفردية والشئون الجزئية، وقواعد الزيادة فيها والنقص منها تبعًا للحالات والملابسات.

ومن ذلك، الإذن في حضور المساجد وحدوده، وخروج النساء في الحج والجمعة والعيدين، وكذلك في زيارة القبور واتباع الجنائز، وكذلك شهودهن الحرب، ففي كل ذلك ضوابط وحدود، وفي أخرى موانع.

ومما يستدل به على جواز خروج النساء لحاجتهن، ما رواه مسلم عن عائشة قالت: خرجت سودة بعدما ضُرب الحجاب ــ لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تَخفى على من يعرفُها ــ فرآها عمر بن الخطاب، فقال: يا سودة، أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين. قالت: فانكفأت راجعة، ورسول الله ﷺ في بيتي، وإنه ليتعشى وفي يده عَرقٌ، فَدخلت، فقالت: يا رسول الله، إني خرجت لبعض حاجتي، فقال لي عمر كذا وكذا، قالت: فأوحى الله

إليه ثم رُفع عنه وإنَّ العَرْقَ في يده ما وضَعه فقال: "إنه قد أُذن لكن أن تخرجن لحاجتكن" .

➢والمرأة المسلمة المستقيمة على شرع الله إذا خرجت لحاجة التزمت بالضوابط الآتية:

(١) خرجت لحاجة، لا للهو ولا لإضاعة الأوقات، انطلاقًا من قوله ﷺ: "أذن لكن في الخروج لحاجتكن" .

(٢) وتستأذن زوجها أو وليها قبل الخروج، أما المرأة التي تدخل بيتها وتخرج في أي وقت دون مبالاة بأمر الزوج، فهي امرأة شقية تجلب لنفسها المشاكل والخراب.

(٣) وتستتر بحجابها الشرعي الكامل، فلا تكون من الكاسيات العاريات، اللائي يرتدين من الملابس الشفاف أو الضيق أو المزركش، ولا تتعطر عند خروجها، أو تلبس ملابس الرجال، فالمرأة الصالحة المتدينة في منأى عن هذه الصورة السيئة.

(٤) تغض من نظرها في سيرها فلا تنظر هنا أو هناك لغير حاجة، فضلاً عن النظر للرجل الأجنبي لغير حاجة، وإذا احتاجت إلى محادثته، تتحدث إليه بما تحتاجه فقط، ولا تلين بصوتها ولا تخضع به لئلا يطمع فيها من في قلبه مرض.

(٥) تمشي متواضعة في أدب وحياء وسكينة، ولا تتخذ خلاخل ولا حذاء يضرب على الأرض بقوة، فيُسمع قرع حذائها فربما وقعت الفتنة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

(٦) ولا تسافر سفر يوم وليلة إلا مع ذي محرم لها امتثالاً لقول النبي ﷺ في الأحاديث الآتية :

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : (لا يحلُ لامرأةٍ تؤمن بالله و اليوم الآخر تسافر مسيرة يومٍ وليلة إلا مع ذي محرمٍ لها)

(حديث ابن عمر رضي الله عنهما الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : (لا تسافر المرأةُ ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم)

[*] قال ابن العربي: لقد دخلت نيفًا على ألف قرية، فما رأيت نساء أصون عيالاً، ولا أعف نساء من نساء نابلس، التي رُمي الخليل ﷺ بالنار فها، فإني أقمت فيها فما رأيت امرأة في طريق نهارًا إلا يوم الجمعة، فإنهن يخرجن إليها حتى يمتلئ المسجد منهن، فإذا

قضيت الصلاة وانقلبن إلى منازلهن لم تقع عيني على واحدة منهن إلا الجمعة الأخرى(٤).

[*] ويقول الشيخ أبو الأعلى المودودي رحمه الله: ويقول التابعي والمفسر الشهير قتادة بن دعامة: إن مقامة المرأة ومستقرها في البيت، وما وضعت عنهن واجبات خارج البيت إلا ليلازمن البيوت بالسكينة والوقار، ويقمن بواجبات الحياة العائلية، أما إن كان بهن حاجة على الخروج، فيجوز لهن أن يخرجن من البيت، بشرط أن يراعين جانب العفة والحياء، فلا يكون في لباسهن بريق أو زخرفة أو جاذبية، تجذب إليهن الأنظار، ولا في نفوسهن من حرص على إظهار زينتهن، فيكشفن تارة عن وجوههن، وأخرى عن أيديهن، ولا في مشيتهن شيء يستهوي القلوب، ولا يلبسن كذلك من الحلي ما يحلو وسواسه في المسامع، ولا يرفعن أصواتهن بقصد أن يسمعها الناس. نعم، يجوز لهن التكلم في حاجتهن، ولكنه يجب أن لا يكون في كلامهن لين وخضوع، ولا في لهجتهن عذوبة وتشويق.

كل هذه الضوابط والحدود إن راعتها النساء، جاز لهن أن يخرجن لحوائجهن.

[*]⮘وبحفظ هذا الأصل تتحقق المقاصد الشرعية الآتية :

---

(١) مراعاة ما قضت به الفطرة، وحال الوجود الإنساني، وشرعة رب العالمين، من القسمة العادلة بين عباده من أن عمل المرأة داخل البيت، وعمل الرجل خارجه.

(٢) مراعاة ما قضت به الشريعة من أن المجتمع الإسلامي مجتمع فردي -أي غير مختلط- فللمرأة مجتمعها الخاص بها، وهو داخل البيت، وللرجل مجتمعه الخاص به، وهو خارج البيت .

(٣) قرار المرأة في عرين وظيفتها الحياتية -البيت- يكسبها الوقت والشعور بأداء وظيفتها المتعددة الجوانب في البيت: زوجة، وأمًّا، وراعية لبيت زوجها، ووفاء بحقوقه من سكن إليها، وتهيئة مطعم ومشرب وملبس، ومربية جيل.

وقد ثبت من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((المرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها)) متفق على صحته.

---

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٤٥٠/٨)، ط. دار الغد العربي.

(٤) قرارها في بيتها فيه وفاء بما أوجب الله عليها من الصلوات المفروضات وغيرها، ولهذا فليس على المرأة واجب خارج بيتها، فأسقط عنها التكليف بحضور الجمعة والجماعة في الصلوات، وصار فرض الحج عليها مشروطاً بوجود محرم لها.

(حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه الثابت في صحيح أبي داوود) أن النبي ﷺ قال لأزواجه في حجة الوداع: ((هذه ثم ظهور الحصر)) .

[*] قال ابن كثير رحمه الله تعالى في التفسير : (يعني: ثم الْزَمن ظهور الحصر ولا تخرجن من البيوت) انتهى .

[*] وقال الشيخ أحْمد شاكر رحمه الله تعالى معلقاً على هذا الحديث في [عمدة التفسير: ٣/١١] :

((فإذا كان هذا في النهي عن الحج بعد حجة الفريضة –على أن الحج من أعلى القربات عند الله– فما بالك بما يصنع النساء المنتسبات للإسلام في هذا العصر من التنقل في البلاد، حتى ليخرجن سافرات عاصيات ماجنات إلى بلاد الكفر، وحدهن دون محرم، أو مع زوج أو محرم كأنه لا وجود له، فأين الرجال؟! أين الرجال؟!!)) انتهى .

وأسقط عنها فريضة الجهاد، ولهذا فإن النبي ﷺ لم يعقد راية لامرأة قط في الجهاد، وكذلك الخلفاء بعده، ولا انتدبت امرأة لقتال ولا لمهمة حربية، بل إن الاستنصار بالنساء والتكثر بهن في الحروب دال على ضعف الأمة واختلال تصوراتها.

(حديث أم سلمة رضي الله عنها الثابت في صحيح الترمذي) أنها قالت: يا رسول الله! تغزو الرجال ولا نغزو، ولنا نصف الميراث؟ فأنزل الله : ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ .

[*] قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى تعليقاً على هذا الحديث في [عمدة التفسير: ٣/ ١٥٧] : ((وهذا الحديث يرد على الكذابين المفترين –في عصرنا– الذين يحرصون على أن تشيع الفاحشة بين المؤمنين، فيخرجون المرأة عن خدرها، وعن صونها وسترها الذي أمر الله به، فيدخلونها في نظام الجند، عارية الأذرع والأفخاذ، بارزة المقدمة والمؤخرة، متهتكة فاجرة، يرمون بذلك في الحقيقة إلى الترفيه الملعون عن الجنود الشبان المحرومين

من النساء في الجندية، تشبهاً بفجور اليهود والإفرنج، عليهن لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة)) انتهى .

(٥) تحقيق ما أحاطها به الشرع المطهر من العمل على حفظ كرامة المرأة وعفتها وصيانتها، وتقدير أدائها لعملها في وظائفها المنزلية .

وبه يُعلم أن عمل المرأة خارج البيت مشاركة للرجل في اختصاصه، يقضي على هذه المقاصد أو يخل بها، وفيه منازعة للرجل في وظيفته، وتعطيل لقيامه على المرأة، وهضم لحقوقه؛ إذ لا بد للرجل من العيش في عالمين:

عالم الطلب والاكتساب للرزق المباح، والجهاد والكفاح في طلب المعاش وبناء الحياة، وهذا خارج البيت.

وعالم السكينة والراحة والاطمئنان، وهذا داخل البيت، وبقدر خروج المرأة عن بيتها يحصل الخلل في عالم الرجل الداخلي، ويفقد من الراحة والسكون ما يخل بعمله الخارجي، بل يثير من المشاكل بينهما ما ينتج عنه تفكك البيوت، ولهذا جاء في المثل : (الرجل يَجْنِي والمرأة تَبْنِي) .

ومن وراء هذا ما يحصل للمرأة من المؤثرات عليها نتيجة الاختلاط بالآخرين.

إن الإسلام دين الفطرة، وإن المصلحة العامة تلتقي مع الفطرة الإنسانية وسعادتها؛ إذاً فلا يباح للمرأة من الأعمال إلا ما يلتقي مع فطرتها وطبيعتها وأنوثتها؛ لأنها زوجة تحمل وتلد وتُرضع، وربَّة بيت، وحاضنة أطفال، ومربية أجيال في مدرستهم الأولى المنزل .

وإذا ثبت هذا الأصل من أمر النساء بالقرار في البيوت، فإن الله سبحانه وتعالى حفظ لهذه البيوت حرمتها، وصانها عن وصول شك أو ريبة إليها، ومنع أي حالة تكشف عن عوراتها، وذلك بمشروعية الاستئذان لدخول البيوت من أجل البصر، فقال سبحانه : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم . ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاعٌ لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ [النور: ٢٧ــ٢٩] .

حتى تستأنسوا : أي تستأذنوا، وتسلموا، فيؤذن لكم ويرد عليكم السلام .

وقد تواردت السنن الصحيحة بإهدار عين من اطلع في دار قوم بغير إذنهم، وأن من الأدب للمستأذن أن لا يقف أمام الباب، ولكن عن يمينه أو شماله، وأن يطرق الباب طرقاً خفيفاً من غير مبالغة، وأن يقول: السلام عليكم، وله تكرار الاستئذان ثلاثاً .

كل هذا لحفظ عورات المسلمين وهن في البيوت، فكيف بمن ينادي بإخراجهن من البيوت متبرجات سافرات مختلطات مع الرجال؟ فالتزموا عباد الله بما أمركم الله به .

وإذا بدت ظاهرة خروج النساء من بيوتهن من غير ضرورة أو حاجة، فهو من ضعف القيام على النساء، أو فقده، وننصح الراغب في الزواج، بحسن الاختيار، وأن يتقي الخرَّاجة الولاّجة، التي تنتهز فرصة غيابه في أشغاله، للتجول في الطرقات، ويعرف ذلك بطبيعة نسائها، ونشأة أهل بيتها .

[*][*][*][*]

(ثالثاً) أمر الله تعالى بالاستئذان على النساء وبَيَّن أن الاستئذان من أجل البصر :

(حديث عبد الله بن بسر في صحيح أبي داود) أن النبي ﷺ كان إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه و لكن من ركنه الأيمن أو الأيسر و يقول : السلام عليكم السلام عليكم .

(حديث سهل بن سعد في الصحيحين) قال : اطَّلع رجلٌ من جحرٍ في حجرِ النبي ﷺ ومع النبي ﷺ مِدْرى يحكُ به رأسه فقال : لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك إنما جعل الاستئذان من أجل البصر .

[*][*][*][*]

(رابعاً) النهى عن إطلاق البصر في المحرمات، والأمر بغض البصر:

أمر الله تعالى ونبيه ﷺ المؤمنين بغض البصر في آيات وأحاديث كثيرة منها :

قال تعالى ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ إن الله خبير بما يصنعون ﴾ [النور/٣٠]

وقال تعالى﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ [النور/٣١]﴾

هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه وأن يغمضوا أبصارهم عن المحارم

[*] قال القرطبي رحمه الله : البصر هو الباب الأكبر إلى القلب وأعمر طرق الحواس إليه وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته ووجب التحذير منه وغضه واجب عن جميع المحرمات وكل ما يخشى الفتنة من أجله وفي صحيح مسلم عن جرير عن عبد الله قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري وهذا يقوي قول من يقول إن من للتبعيض لأن النظرة الأولى لاتملك فلا تدخل تحت خطاب تكليف .

[وقال:] وبدأ بالغض قبل الفرج لأن البصر رائد للقلب كما أن الحمى رائدة الموت وأخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال: ألم تر أن العين للقلب رائد فما تألف العينان فالقلب آلف

ا.هـ تفسير القرطبي ١٢ /٢٢٢

[*] ويقول ابن القيم كذلك كما في كتابه الجواب الكافي عندما تكلم عن الزنا فقال:

ولما كان مبدأ ذلك من قبل البصر جعل الأمر بغضه مقدمًا على حفظ الفرج فإن كل الحوادث مبدؤها من النظر تكون نظرة – ثم تكون خطرة – ثم خطوة – ثم خطيئة فإما اللحظات فهي رائدة الشهوة ورسولها وحفظها أصل حفظ الفرج فمن أطلق نظرة أورد نفسه موارد الهلاك والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان ومن آفاته. أنه يورث الحسرات والزفرات والحرقات فيرى الإنسان ما ليس قادرًا عليه ولا صابرًا عنه وهذا من أعظم العذاب.

(حديث ابن عباس في الصحيحين) قال كان الفضلُ رَدِيْفَ رسول الله ﷺ ، فقدمت امرأةٌ من خثعم ، فجعل الفضلُ ينظرُ إليها وتنظرُ إليه ، وجعل رسول الله يصرفُ وجه الفضل إلى الشق الآخر ، فقالت يا رسول الله : إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت شيخاً كبيراً لا يثبتُ على الراحلة ، أفأحجُ عنه ؟ قال نعم . وذلك في حجة الوداع .

(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا ، فهو مدرك ذلك لا محالة فالعينان زناهما النظر و الأذنان زناهما الاستماع و اللسان زناه الكلام و اليد زناها البطش و الرجل زناها الخطا و القلب يهوى و يتمنى و يصدق ذلك الفرج أو يكذبه .

الشاهد : قوله ﷺ [فالعينان زناهما النظر] فبدا الرسول ﷺ بزنى العين لأنه اصل زنى اليد والرجل والقلب والفرج وهذا الحديث من أبين الأشياء على أن العين تعصى بالنظر وان ذلك زناها .

[*] قال الغزالي رحمه الله تعالى : ونبه به على أنه لا يصل إلى حفظ الفرج إلا بحفظ العين عن النظر وحفظ القلب عن الفكرة وحفظ البطن عن الشبهة وعن الشبع فإن هذه محركات للشهوة ومغارسها قال عيسى عليه السلام : إياكم والنظر فإنه يزرع في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة ثم قال الغزالي : وزنا العين من كبار الصغائر وهو يؤدي إلى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه .

[فيض القدير ج: ٤ ص: ٦٥]

(حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها الثابت في صحيح أبي داوود) أن النبي ﷺ قال : من كان منكن يؤمن بالله واليوم الآخر فلا ترفع رأسها حتى يرفع الرجال رءوسهم كراهة أن يرين من عورات الرجال .

➢بل جعل الرسول غض البصر من حقوق الطريق التي تلزم كل جالس فيها حتى لا تتخذ الطرقات ذرائع للترفه بمحاسن النساء وتأمل مفاتن الغاديات والرائحات.

(حديث أبي سعيد في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : إياكم و الجلوس في الطرقات ، قالوا يا رسول الله مل لنا منها بدٌ إنها مجالسنا نتحدثُ فيها ، قال فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقه ، قالوا وما هو حقُ الطريق ؟ قال : غض البصر و كف الأذى و رد السلام و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

[*] قال النووي رحمه الله تعالى :

وقد أشار النبي ﷺ إلى علة النهي من التعرض من الفتنة و الإثم بمرور النساء وغيرهن وقد يمتد النظر إليهن أو فكر فيهن .

﴿تنبيه﴾: وفي الحديث مشروعية سد الذرائع التي بنيت عليها فروع كثير فقهية ، فهذه الخصال من حقوق الطريق التي يُلزم بها الجالس عليها ومنها غض البصر وكفه عن النظر إلى النساء وذلك في الأماكن العامة التي هي مظنة مرور العرايا والمتبرجات فان الجلوس في مثل هذه الأماكن جريمة ومنكر ولاسيما إذا اعتاده الإنسان فانه يفسق بذلك

وهذه صرخة إنذار لمن يعتادون الجلوس على الطرقات ويتخذون مــن المقــاهي مجــالس للتسلية والنظر لما حرم عليه.

وللهِ درٌّ من قال :

كل الحوادث مبدأها من النظـــــــــر	ومعظم النار من مستصـــغر الشرر
كم نظرة بلغت في قلب صاحبـــــــها	كمبلغ الســـهم بين القوس والوتر
والعبد ما دام ذا طــــــــــرفٍ يقلبــه	في أعين الغيد موقوف على الخطر
يســـــرُ مُقْلَتَه ما ضَـــــــر مُهْجَتَــه	لا مرحبـــا بسرور عـــاد بالضرر

وقد كان السلف الصالح أشد إيمانا وأكثر عملا ومع هذا فإنهم لا يأمنون على أنفســهم فتنة النساء.

فكان انس يقول: إذا مرت بك امرأة فغض عينك حتى تجاوزك

وكان الربيع ابن خثيم:

يمشي فمر به نسوه فغض بصره وأطرق حتى ظن النسوة انه أعمى فتعوذن بـــالله مــن العمى.

وقال وكيع خرجنا مع الثوري في يوم عيد فقال: إن أول ما نبدأ به في يومنـــا غــض أبصارنا

وخرج حسان بن أبي سنان يوم عيد : فلما عاد فقالت له امرأته كم من امرأة حسناء قد رأيت؟ فقال: والله ما نظرت إلا في إبهامي منذ خرجت من عندك إلى أن رجعت إليك.

الله اكبر إنها قلوب غفت عن الحرام فعوضها الله خيرا وأذاقها حلاوة الإيمان.

أين هؤلاء ممن يطلقون البصر ليل نهار.

أين هؤلاء ممن يتابع مشاهد الفجور في التلفاز والفضائيات.

أين هؤلاء ممن يجلسون على المقاهي والطرقات ينظرون إلى الغاديات والرائحات.

أين هؤلاء ممن يجلسون في الأندية ينظرون إلى كل رائحة وغادية.

قال الأصمعي : رأيت جارية في الطواف كأنها مهاة فجعلت أنظر إليها وأملأ عيني مــن محاسنها فقالت لي :يا هذا ما شأنك قلت :وما عليك من النظر فأنشأت تقول :

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

➢نظر رجل إلى امرأة عفيفة فقالت : يا هذا غض بصرك عما ليس لك تنفتح بصيرتك فترى ما هو لك . نفح الطيب للتلمساني ٥ / ٣١٤

➢والنظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرمية فإن لم تقتله جرحته وهي بمنزلة الشرارة من النار ترمى في الحشيش اليابس فإن لم يحرقه كله أحرقت بعضه كما قيل :

كل الحوادث مبدأها من النظر		ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة بلغت في قلب صاحبها		كمبلغ السهم بين القوس والوتر
والعبد ما دام ذا طرفٍ يقلبه		في أعين الغيد موقوف على الخطر
يسرُ مُقْلَتَه ما ضَر مُهْجَتَه		لا مرحبا بسرور عاد بالضرر

➢والناظر يرمي من نظره بسهام غرضها قلبه وهو لا يشعر فهو إنما يرمي قلبه ولي من أبيات :

يا راميا بسهام اللحظ مجتهدا أنت القتيل بما ترمي فلا تصب
وباعث الطرف يرتاد الشفاء له توقه إنه يأتيك بالعطب .
روضة المحبين ج: ١ ص: ٩

مسألة : ماذا يصنع الإنسان إذا وقع نظره فجأة على ما لا يحلُ له دون قصدٍ منه ؟

الجواب : أنه يجب عليه أن يصرف بصره مباشرة بنص السنة الصحيحة

(حديث جرير بن عبد الله البجلي في صحيح مسلم) قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة فأمرني أن أصرف بصري.

(حديث بُريدة في صحيحي أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ قال لعلي يا علي لا تتبع النظرةَ النظرة فإن لك الأولى وليس لك الآخرة .

﴿تنبيه﴾: ويجب على المسلم أن يغض بصره عن بيوت الناس :

[*] قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن النظر الحرام النظر إلى العورات وهي قسمان: عورة وراء الثياب ،وعورة وراء الأبواب. ا.هـ مدارج السالكين ج: ١ ص: ١١٧

[*] وقال ابن تيمية : وكما يتناول غض البصر عن عورة الغير وما اشبهها من النظر إلى المحرمات فإنه يتناول الغض عن بيوت الناس فبيت الرجل يستر بدنه كما تستره ثيابه وقد ذكر سبحانه غض البصر وحفظ الفرج بعد آية الاستئذان ، وذلك أن البيوت سترة كالثياب التي على البدن ، كما جمع بين اللباسين فى قوله تعالى ﴿ والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم ﴾ فكل منهما وقاية من الأذى الذى يكون سموما مؤذيا كالحر والشمس والبرد وما يكون من بنى آدم من النظر بالعين واليد وغير ذلك . ا.هـ مجموع الفتاوى ١٥/ ٣٧٩

وقد بين النبي ﷺ في سنته الصحيحة أنما جعل الاستئذان من أجل البصر .

(حديث سهل بن سعد في الصحيحين) قال : اطَّلع رجلٌ من جحرٍ في حجرِ النبي ﷺ ومع النبي ﷺ مِدْرى يحكُ به رأسه فقال : لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك إنما جعل الاستئذان من أجل البصر .

(حديث عبد الله بن بسر في صحيح أبي داود) أن النبي ﷺ كان إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه و لكن من ركنه الأيمن أو الأيسر و يقول : السلام عليكم السلام عليكم .

كلمة إلى الذين يُطْلِقون أبصارهم ولا يغضونها :

إلى كل رجل أو امرأة نظرا إلى الحرام فليعلم الجميع :

أن هذه النظرة ما هي إلا سهم مسموم فان أصابك سهم قتلك فكيف وان هذا السهم مسموم.

لا تظن أن هذه النظرة ستروى ظمئك فما أنت بذلك إلا كالذي يشرب ن ماء البحر فكلما ازداد شربا ازداد عطشا ويظل هكذا حتى يقتله.

ولخطورة الأمر انظر إلى هذا الرجل الذي نظر إلى امرأة نصرانية فأعجبته ووقع حُبُها في قلبه فراودها عن نفسها فطلبت منه أن يتنصر فتنصر ومات على النصرانية ولو غض الطرف ما كان هذا.

ألم تسمع قوله تعالي: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} [غافر/١٩]

[*] قال ابن عباس في هذه الآية: هو الرجل يكون في القوم فتمر به المـرأة فيـريهم أنـه يغض بصره عنها فان رأى منهم غفلة نظر إليها فان خاف أن يفطنوا إليه غض بصره وقـد اطلع الله عز وجل من قلبه انه يود لو نظر إلى عورتها.

[*] سئل الجنيد بما يستعان على غض البصر؟

قال بعلمك أن نظر الله إليك اسبق إلى ما تنظر إليه.

[*] قال الإمام احمد :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقـــــل		خلوت ولكن قل على رقيـــــب
ولا تحسبن الله يغفل ساعـــــــة		ولا أن ما تخفي عليـــــه يغيب

[*] وصدق أبو الأعلى المودودي حيث قال :

من الذي يكابر في أن كل ما يحدث في الدنيا إلى هذا اليوم ولا يزال يحدث فيها من الفحشاء والفجور باعثه الأول والأعظم هو فتنة النظر.

[*]➢غض البصر للنساء :

[*] قال النووي رحمه الله في شرحه على مسلم (١٠/٩٦): «الصحيح الذي عليه جمهور العلماء وأكثر الصحابة أنه يحرم على المرأة النظر إلى الأجنبي كما يحرم عليه النظر إليهـا لقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم وقل للمؤمنات يغضضن من أبصـارهن ولأن الفتنة مشتركة » .

[*] قال ابن الجوزي في أحكام النساء (٦٠):

« وينبغي للمرأة أن تغض طرفها عن الرجال ، كما يؤمر الرجال بالغض عنها ، وقد اختلفت الرواية عن أحمد بن حنبل – رحمه الله – فيما يجوز للمرأة أن ترى من الرجل الأجنبـي ، فروى عنه ، أنه يجوز لها أن ترى منه ما ليس بعورة ، وروي عنه أنه يحـرم عليهـا أن تنظر منه ما يحرم عليه أن ينظر منها. واعلم أن أصل العشق إطلاق البصر ، وكما يخـاف على الرجل من ذلك يخاف على المرأة ، وقد ذهب دين خلق كثير مـن المتعبـدين بـإطلاق البصر وما جلبه ، فليحذر من ذلك » .

وقال أيضاً في (٤٣) : « ومن المنكرات اطلاع النســاء علــى الشــباب إذا اجتمعـوا فـي

الدعوات لأنه لا يؤمن الفتنة » [٥] .

[*][*][*][*]

(خامساً) نهى عن الخلوة بالمرأة الأجنبية :

مسألة : ما هي الخلوة المحرمة ؟

الخلوة المحرمة : هي أن ينفرد رجل بامرأة أجنبية عنه ، في غيبة عن أعين الناس ، وهي من أفعال الجاهلية وكبائر الذنوب .

مسألة : ما هو الدليل على تحريمها ؟

(حديث ابن عباس الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : (لا يخلون رجلٌ بامرأةٍ إلا مع ذي محرم ، فقام رجل فقال يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة فاكتتبت في غزوة كذا وكذا قال : ارجع فحج مع امرأتك)

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيحي الترمذي وابن ماجة) أن النبي ﷺ قال : «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان» ، وهذا يدل على أن تحريمه مؤكد.

فقوله ﷺ « إلا كان ثالثهما الشيطان » يشمل أتقى الناس ، وأفجر الناس ، والشريعة لا تستثني من مثل هذه النصوص أحداً .

فلا يحل للمرأة أن تخلو برجل أجنبي عنها سواء في بيت أو سيارة أو غير ذلك .

وهذا يعم جميع الرجال ، ولو كانوا صالحين أو مسنين ، وجميع النساء ، ولو كنَّ صالحات أو عجائز .

(حديث عقبة بن عامر في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : إياكم و الدخول على النساء قالوا : يا رسول اللّه أرأيت الحمو قال : الحمو الموت .

[*] قال الإمام المناوي رحمه الله تعالى في فيض القدير :

(إياكم والدخول على النساء) بالنصب على التحذير وهو تنبيه المخاطب على محذور ليتحرز منه أي اتقوا الدخول النساء ،وتضمن منع الدخول منع الخلوة بأجنبية بالأولى والنهي ظاهر العلة والقصد به غير ذوات المحارم ، ذكر الغزالي أن راهباً من بني إسرائيل أتاه أناس بجارية بها علة ليداويها فأبى قبولها فما زالوا به حتى قبلها يعالجها

(٥) ينظر لزاماً : أحكام النظر وغائلته وما يجني على صاحبه ، وفوائد غض البصر في فتاوى ابن تيمية (١٥/١٤٠) تفسير سورة النور ، وكتاب روضة المحبين ونزهة المشتاقين للإمام ابن القيم (ص٨٣) .

فأتاه الشيطان فوسوس له مقاربتها فوقع عليها فحملت فوسوس له الآن تفتضح فاقتلها وقل لأهلها ماتت فقتلها وألقى الشيطان في قلب أهلها أنه قتلها فأخذوه وحصروه فقال له الشيطان : اسجد لي تنج فسجد له ، فانظر إلى حيله كيف اضطره إلى الكفر بطاعته له في قبوله للجارية وجعلها عنده

(قال : الحمو الموت) والحمو أخو الزوج وقريبه ، الحمو الموت : أي دخوله على زوجة أخيه يشبه الموت في الاستقباح والمفسدة فهو محرم شديد التحريم وإنما بالغ في الزجر بتشبيهه الموت لتسامح الناس في ذلك حتى كأنه غير أجنبي من المرأة وخرج هذا مخرج قولهم الأسد الموت أي لقاؤه يقضي إليه وكذا دخول الحمو عليها يفضي إلى موت الدين أو إلى موتها بطلاقها عند غيرة الزوج أو برجمها إن زنت معه وقد بالغ مالك في هذا الباب حتى منع ما يجر إلى التهم كخلوة امرأة بابن زوجها وإن كانت جائزة لأن موقع امتناع الرجل من النظر بشهوة لامرأة أبيه ليس كموقعه منه لأمه هذا قد استحكمت عليه النفرة العادية وذاك أنست به النفس الشهوانية.

[*] قال النووي في شرحه على مسلم (١٤/١٥٤) :

« الحمو الموت » معناه أن الخوف منه أكثر من غيره والشر يتوقع منه والفتنة أكثر لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة من غير أن ينكر عليه بخلاف الأجنبي ».

وقوله الحمو الموت له عدة معان منها :

أن الخلوة بالحمو قد تؤدي إلى هلاك الدين إن وقعت المعصية .

أو تؤدي إلى الموت إن وقعت الفاحشة ، ووجب حد الرجم .

أو إلى هلاك المرأة بفراق زوجها لها إذا حملته الغيرة على تطليقها .

أو المقصود احذروا الخلوة بالأجنبية كما تحذرون الموت .

أو أن الخلوة مكروهة كالموت .

وقيل أي فليمت الحمو ولا يخلو بالأجنبية .

وكل هذا من حرص الشريعة على حفظ البيوت ، ومنع معاول التخريب من الوصول إليها .

مسألة : بعض الناس يتذرعون بمسألة الثقة ، ويقولون أنا أثق بزوجتي ، وأثق بأخي ، وابن عمي فما الجواب ؟

الجواب أن نقول : لا ترفعوا ثقتكم ولا ترتابوا فيمن لا ريبة فيه ، ولكن اعلموا أنه من المعلوم شرعاً أنه لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما بنص السنة الصحيحة كما في الحديث الآتي :

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيحي الترمذي وابن ماجة) أن النبي ﷺ قال : «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان» ، وهذا يدل على أن تحريمه مؤكد.

فقوله ﷺ « إلا كان ثالثهما الشيطان » يشمل أتقى الناس ، وأفجر الناس ، والشريعة لا تستثني من مثل هذه النصوص أحداً .

فلا يحل للمرأة أن تخلو برجل أجنبي عنها سواء في بيت أو سيارة أو غير ذلك .

[*] قال شيخ الإسلام في الاختيارات الفقهية (٢٩١) :

« وتحرم الخلوة بغير محرم ، ولو بحيوان يشتهي المرأة ، أو تشتهيه ، كالقرد » [٦] !

فإذا كان أهل العلم ينهون عن خلوة المرأة بحيوان يشتهيها، فكيف بخلوتها بالخادم والسائق؟!

وقد صرح الإمام القرطبي في تفسير سورة الممتحنة أن الخلوة بغير محرم من الكبائر ومن أفعال الجاهلية [٧] .

والحكمة من تحريم الخلوة هي: سد الذّريعة إلى الفاحشة أو الاقتراب منها ، حتى يظل المرء واقفاً على مسافة بعيدة قبل أن يفضي إلى حدود الجريمة الأصلية ، {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا} [البقرة: ١٨٧] .

[*][*][*][*]

(سادساً) نهى عن سفر المرأة لوحدها بلا محرم :

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : (لا يحلُ لامرأةٍ تؤمن بالله و اليوم الآخر تسافر مسيرة يومٍ وليلة إلا مع ذي محرمٍ لها)

(حديث ابن عمر رضي الله عنهما الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : (لا تسافر المرأةُ ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم)

---

(٦)ينظر كتاب أحكام النساء لابن الجوزي (٣٣)

(٧) انظر كتاب تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين (ص ٢٢٧) للإمام ابن النحاس رحمه الله .

(حديث ابن عباس الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : (لا يخلون رجلٌ بامرأةٍ إلا مع ذي محرم ، فقام رجل فقال يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة فاكتتبت في غزوة كذا وكذا قال : ارجع فحج مع امرأتك)

(حديث ابن عباس الثابت في صحيح مسلم) سمعتُ النبي ﷺ يخطب يقول لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم فقام رجل فقال يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة وأني اكتتبت في غزوة كذا وكذا قال انطلق فحج مع امرأتك)

[*][*][*][*]

(سابعاً) عدم اختلاط المرأة بالرجال :

➢الاختلاط أمره خطير، وشره مستطير ، بل هو أصل كل بلية ومنبع كلِ رذية :

وإليك فصلُ الخِطاب في موضوع الاختلاط تعريفاً وحُكماً لعلك تجد فيه ما يَبِلُ الصدى ويروي الغليل :

➢تعريف الاختلاط

[*] قال بعض العلماء:

الاختلاط هو اجتماع الرجال بالنساء غير المحارم في مكان واحد يمكنهم منه الاتصال فيما بينهم بالنظر والإشارة أو الكلام أو البدن من غير حائل أو مانعاً يدفع الريبة والفساد.

[*]➢خطورة الاختلاط :

➢الاختلاط باب من أبواب الزنا والعياذ بالله يلج الإنسان من خلاله إلى هذه الفاحشة ، والعفة حجاب يمزقه الاختلاط والذي هو بمثابة غدة سرطانية تسرى في كيان المجتمع فتوهنه وتضعفه.

➢جاء في بروتوكولات زعماء صهيون قولهم :

يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا- وأن فرويد منا نحن اليهود- وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى- عند الإنسان- شيء مقدس ويصبح همه الأكبر إرواء غرائزه الجنسية وعندئذ تنهدَّ الأخلاق".

[*]➢نظرية فرويد الخبيثة تقول:

إن الاختلاط يُهَذِّبُ المشاعر ويقلل من فرصة الفتنة والاستثارة .

ولكن: رداً على هذه النظرية نقول :

وهل تهذيب المشاعر وتقليل الفتنة والاستثارة في دول الغرب والتي تشجع على الاختلاط المفتوح قد هذبت! وهل الاختلاط قَلَّلَ من فرصة الفتنة والاستثارة كما يزعمون .. الحقيقة تثبت عكس ذلك. والشاهد والإحصائيات على جرائم الزنا خير دليل على أن الخلاص هو عدم الاختلاط.

ومن المعلوم شرعاً وعقلاً وبداهةً أن أشد الفتن على الرجال هي فتنة النساء ولذا حذر منها النبي ﷺ .

(حديث أسامة الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال :ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء .

ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء

[*] قال مجاهد : إذا أقبلت المرأة جلس الشيطان على رأسها فزينها لمن ينظر فإذا أدبرت جلس على عجزها فزينها لمن ينظر . ا.هـ تفسير القرطبي ج: ١٢ ص: ٢٢٧

[*] وقال المناوي :ما يثق [أي الشيطان]في صيده الأتقياء بشيء من آلات الصيد وثوقه بالنساء .

(حديث أبي سعيد الخدري الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال :إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء .

(حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال :إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه.

ولهذا شرع لنا الدين التفريق والمباعدة بين المرأة والرجل الأجنبي عنها لكن هناك من يحاول تحطيم هذه الموانع والفواصل بين المرأة والرجل بدعوى التقدم والحضارة أو تأثراً بالغرب ودعاة الإباحة مثل فرويد ، ونجح القوم في غياب الوعي الديني أن يخترقوا هذه الحواجز ويزيلوا هذه الموانع فكان الاختلاط والذي يبدأ في رياض الأطفال مروراً بالمدارس والكليات وانتهاء بالاختلاط في العمل. فضلاً عن الاختلاط في وسائل المواصلات

وشتى نواحي الحياة. فأصبح الاختلاط ظاهرة اجتماعية مألوفة وأن الدعوة إلى عدم الاختلاط يعُد تخلف ورجعية.

أمَا عَلِمَ دُعَاةُ الاختلاط أن الله ﷻ جبل الرجل للميل إلى النساء وجبل النساء للميل إلى الرجال مع وجود في كلاً من الجنسين ضعف ولين ومع وجود النفس الأمارة بالسوء ومع وجود الهوى الذي يعمى ويصم ومع وجود الشيطان الذي يأمر بالفحشاء والمنكر ، وأن الشرع الحنيف أمرنا باجتناب الفتن وأن ننأى بنفسنا عنها وليس أن ننغمس فيها

(حديث عمران بن حصين رضي الله عنه الثابت في صحيح أبي داوود) أن النبي ﷺ قال :من سمع بالدجال فلينأ عنه ، فو الله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات

وعلى هذا فإنه يجب علينا أن نجتنب الفتن لأن من زرع الشوك لا يجني عنباً وأن من ألقى بنفسه في النار أحرقته وليس له أن يقول للنار كوني برداً وسلاماً كما كنت على إبراهيم .

ولا شك أن الرجل الذي يأذن بخروج امرأته من غير ضرورة يكون فاقد الغيرة ذاهب الحياء.

ومن المعلوم شرعا إن الحياء الإيمان فإذا فقد المرء الحياء يوشك أن يتبعه الإيمان

(حديث ابن عمر في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : إن الحياء و الإيمان قرنا جميعا فإذا رُفِعَ أحدهما رفع الآخر .

فالحذر الحذر يا أولياء الأمور من السماح للنساء بالخروج من غير ضرورة متبرجات متعطرات حتى ننأى بأنفسنا من الدخول فيمن حذر منهم النبي وحرم عليهم الجنة ،

واعلموا أنكم موقوفون بين يدي الله تعالى غداً ، ومسئولون عنهن ،

(حديث بن عمر رضي الله عنهما الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : (كلكم راع مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية، وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته).

(حديث أنس الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيعه ؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته .

➢احذروا: " الخلوة ، والاختلاط ، والتبرج " فإنها والزنى رفيقان لا يفترقان ، وصنوان لا ينفصمان غالباً .

➢واعلموا: أن الستر والصيانة هما أعظم عون على العفاف والحصانة ، وأن احترام القيود التي شرعها الإسلام في علاقة الجنسين هو صمام الأمن من الفتنة والعار ، والفضيحة والخزي .

➢احذروا: أجهزة الفساد السمعية منها والبصرية التي تغزوكم في عقر داركم ، وهي تدعو نسائكم وأبناءكم إلى الافتتان ، وتُضعفُ منهم الإيمان ، وقد قيل: حسبك من شرٍّ سماعُه ، فكيف رؤيته؟! صونوا بناتكم وزوجاتكم ولا تتهاونوا فتعرضوهن للأجانب .

[*] قال ابن القيم رحمه الله عليه.

أن ولي الأمر يجب عليه أن يمنع اختلاط الرجال بالنساء في الأسواق والفُرَج.

[*]ولله در القائل

إن الرجال الناظرين إلى النساء ... مثل السباع تطوف باللحمانِ
إن لم تصن تلك اللحوم أسودها ... أكلت بلا عِوض ولا أثمان

فيا أيها الرجال أنتم المسئولون بين يدي رب العلمين عن نساءكم وما يفعلن فقد جعل الله لكم القوامة عليهن وجعل أمر تأديبهن وتهذبين في أيديكم وأوجب عليكم إرشادهن والمحافظة عليهن فكل وزر يقع منهن واقع على رءوسكم وانتم مؤاخذون به يوم القيامة وأذكركم بقوله تعالي : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (التحريم ١٠)

[*]➢من صور الاختلاط المحرم :

[*]➢ومن صور الاختلاط المحرم والتي انتشرت في المجتمع الإسلامي ما يلي :

(١) اختلاط الأولاد الذكور والإناث بعد التمييز – ولو كانوا أخوه – في المضاجع فقد أمر النبي ﷺ بالتفريق بينهم في المضاجع.

(حديث عبد الله بن عمرو الثابت في صحيحي أبي داوود و الترمذي) أن النبي ﷺ قال : مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع .

(٢) اتخاذ الخدم الرجال واختلاطهم بالنساء والعكس.

(٣) استقبال المرأة أقارب زوجها الأجانب أو أصدقائه في حال غيابه ومجالستهم والكلام معهم بلْ وممازحتهم (ولو كان صاحب أو صديق لأصبحت خلوه).

(٤) الاختلاط في دور التعليم كالمدارس والجامعات والمعاهد والدروس الخصوصية.

(٥) الاختلاط في وسائل المواصلات.

(٦) الاختلاط في الوظائف والأندية والأسواق والمستشفيات.

(٧) الاختلاط بين الجيران وفي الزيارات العائلية.

الاختلاط في الأعراس (الأفراح) والحفلات.

[*]⮜أدلة تحريم الاختلاط ⮞[*]

ثبت تحريم الاختلاط بالكتاب والسنة الصحيحة بما يقطع ألسنة الذين في قلوبهم مرض والداعين إلى الاختلاط ، وهاك فصل الخطاب في الأدلة من الوحيين الشريفيين الكتاب والسنة الصحيحة :

أولاً الأدلة من كتاب الله تعالى :

الدليل الأول :

قوله تعالي (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) [الأحزاب/ ٥٣]

⮜تقرر هذه الآية أن الحجاب أطهر لقلوب الجميع "ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن" فلا يقل أحد غير ما قال الله .

لا يقل أحد إن الاختلاط وإزالة الحجب والترخص في الحديث والنقاش والجلوس والمشاركة بين الجنسين أطهر للقلوب وأعف للضمائر وأعون على تصريف الغريزة المكبوتة، وعلي

إشعار الجنسين بالأدب وترقيق المشاعر والسلوك إلى آخر ما يقوله نفر من خلق الله الضعاف الهزيل الجهال المحجوبين ، لا يقل أحد شيئا من هذا والله يقول:

(وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) (الأحزاب ٥٣)

➢فإن الله تعالى يقول هذا عن نساء النبي ﷺ الطاهرات أمهات المؤمنين وعن رجال الصدر الأول من صحابة رسول الله ﷺ ممن لا تتطاول إليهن وإليهم الأعناق .

➢وحين يقول الله قولاً ويقول خلق من خلقه قولاً فالقول لله سبحانه وكل قول آخر هراء لا يردده إلا من يجرؤ علي القول بأن العبيد الفانين أعلم بالنفس البشرية من الخالق الباقي الذي خلق هؤلاء العبيد. والواقع العملي الملموس يهتف بصدق الله وكذب المدعين .

[*] قال ابن جرير في تفسير هذه الآية:

وإذا سألتم أزواج النبي ﷺ ونساء المؤمنين اللواتي لسن لكم بأزواج متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ، يقول : من وراء ستر بينكم وبينهن .

[*]الدليل الثاني :

قوله تعالى :{وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [النور/٣١]

➢وجه الدلالة:

أنه تعالي منع النساء من الضرب بالأرجل – وإن كان جائزا في نفسه – لئلا يكون سببا إلى فتنة الرجال وذلك بسماع صوت الخلخال فيثير دواعي الشهوة عندهم فكيف برؤية وسماع المرأة.

[*]الدليل الثالث :

قوله تعالى {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) [يوسف/٢٣])

➢وجه الدلالة:

أنه لمل حصل اختلاط بين امرأة عزيز مصر وبين يوسف عليه السلام ظهر منها ما كان كامنا فطلبت منه أن يوافقها ولكن أدركه الله برحمته فعصمه منها وذلك في قوله تعالي:

{فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ } (يوسف)

[*] الدليل الرابع: قوله تعالي:

{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ }(النور ٣٠ ، ٣١)

وجه الدلالة:

أنه أمر المؤمنين والمؤمنات بغض البصر وأمره يقتضي الوجوب ثم بين تعالي أن هذا أزكي وأطهر ولم يَقْفُ الشارع إلا عن نظر الفجأة.

(حديث جرير بن عبد الله البجلي في صحيح مسلم) قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة فأمرني أن أصرف بصري.

(حديث بُريدة في صحيحي أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ قال لعلي يا علي لا تتبع النظرةَ النظرة فإن لك الأولى وليس لك الآخرة .

وما أمر الله بغض البصر إلا لأن النظر إلى من يحرم النظر إليها زنا

(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا ، فهو مدرك ذلك لا محالة فالعينان زناهما النظر و الأذنان زناهما الاستماع و اللسان زناه الكلام و اليد زناها البطش و الرجل زناها الخطا و القلب يهوى و يتمنى و يصدق ذلك الفرج أو يكذبه .

الشاهد : قوله ﷺ [فالعينان زناهما النظر]

(حديث أبي سعيد في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : إياكم و الجلوس في الطرقات ، قالوا يا رسول الله مل لنا منها بدٌ إنها مجالسنا نتحدثُ فيها ، قال فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقه ، قالوا وما هو حقُ الطريق؟ قال : غض البصر و كف الأذى و رد السلام و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر .

الشاهد : قوله ﷺ [فأعطوا الطريق حقه ، قالوا وما هو حقُ الطريق ؟ قال : غض البصر]

(حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها الثابت في صحيح أبي داوود) أن النبي ﷺ قال : من كان منكن يؤمن بالله واليوم الآخر فلا ترفع رأسها حتى يرفع الرجال رءوسهم كراهة أن يرين من عورات الرجال .

وإنما كان زنا لأنه تمتع بالنظر إلى محاسن المرأة ومؤد إلى دخولها في قلب ناظرها فتعلق في قلبه فيسعى إلى إيقاع الفاحشة بها.

﴿تنبيه﴾: فإذا نهي الشارع عن النظر إليهن لما يؤدى إليه من المفسدة وهو حاصل في الاختلاط فكذلك الاختلاط ينهي عنه لأنه وسيلة إلى مالا تحمد عقباه من التمتع بالنظر والسعي إلى ما هو أسوأ منه.

ومن المعروف أن المرأة عورة ويجب عليها ستر جميع بدنها لأن كشف شيء منه يؤدى إلى النظر إليها والنظر إليها يؤدى إلى تعلق القلب بها ثم تُبذل الأسباب للحصول عليها .

[*] الدليل الخامس: قوله تعالي:

{ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} (غافر /١٩)

[*] فسرها ابن عباس ﷺ فقال :

هو الرجل يدخل علي أهل البيت بينهم المرأة الحسناء وتمر به فإذا غفلوا لحظها فإذا فطنوا غض بصره عنها فإذا غفلوا لحظها فإذا فطنوا غض وقد علم الله من قلبه أنه لو اطلع علي فرجها وأنه لو قدر عليها لزنى بها؛ ومن المعلوم أن عزل الرجال عن النساء يمنع ذلك كله.

وجه الدلالة:

أنه تعالي وصف العين التي تسرق النظر إلى ما لا يحل النظر إليه من النساء بأنها خائنة فكيف بالاختلاط ؟!

ثانياً الأدلة من السنة الصحيحة :

الدليل الأول:

(حديث أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي رضي الله عنهما الثابت في صحيح ابن خزيمة): أنها جاءت النبي ﷺ فقالت يا رسول الله إني أحب الصلاة معك قال قد علمت أنك تحبين الصلاة معي وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك و صلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك و صلاتك في

مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي. قال: فأمرت فبني لها مسجد في أقصي بيت من بيوتها وأظلمه فكانت تصلي فيه حتى ماتت ".

(حديث بن مسعود رضي الله عنه الثابت في صحيح ابن خزيمة): أن النبي ﷺ قال: " إن أحب صلاه المرأة إلى الله في أشد مكان من بيتها ظلمه ".

وجه الدلالة من الحديث :

أنه إذا شرع في حقها أن تصلي في بيتها وأنه أفضل حتى من الصلاة في مسجد الرسول ﷺ بل ومع الرسول ، فلئن يُمنع الاختلاط من باب أولي .

فانظر أيها المسلم إلى ما يرشد إليه الحبيب الناصح نساء أمته وماذا يختار لهن فيقول بيوتهن خير لهن، وخير مساجد النساء مقر بيوتهن، وصلاتها في مخدعها خير من صلاتها في مقر بيتها.

ونحن بالرغم من هذا نترك هذه التوجيهات السامية ونأذن لهن في الخروج لا إلي الصلاة في المساجد ولكن للشارع والإدارة والمحكمة والجامعة والى الشواطئ والمنتزهات.

فهل يعقل أن تمنع المرأة من الذهاب لعبادة الله تعالى في المسجد مع تحجبها ثم يؤذن لها بالخروج عروسة عارية تخالط الرجال وتضاحكهم.

إننا والله انقلبت أوضاعنا رأسا على عقب وذلك بإتباع أهواء النساء وطاعتهن وبعدنا عن منهج ربنا وإرشادات رسولنا ﷺ .

الدليل الثاني :

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال خير صفوف الرجال أولها و شرها آخرها و خير صفوف النساء آخرها و شرها أولها .

ووجه الدلالة من الحديث علي منع الاختلاط :

أن رسول الله ﷺ شرع للنساء إذا أتين إلى المسجد فإنهن ينفصلن عن الجماعة علي حده. ثم وصف أول صفوفهن بالشر والمؤخر منهن بالخير وما ذلك إلا لبعد المتأخرات عن الرجال عن مخالطتهم ورؤيتهم وتعلق القلب بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم وذم أول صفوفهن لحصول عكس ذلك.

ووصف آخر صفوف الرجال بالشر إذا كان معهم نساء في المسجد لفوات التقدم والقرب من الإمام وقربه من النساء اللاتي يشغله البال وربما أفسدت صلاته وأذهبت بالخشوع.

فإذا كان في العبادة قد يحدث ففي غيرها أكبر وحاصل فمنع لذلك الاختلاط والحمد لله ففي هذا الزمان النساء بمنأى عن الرجال.

فان الصلاة هي العروج الروحي للعبد فيلزمه أثناءها تمام الخشوع والتنصل من الشواغل وكل ما يصرفه عن هذا العروج الروحي من مفاتن وملذات الحياة.

ووجود المرأة بجنب الرجل في الصلاة أعظم المفاتن وأخطر الشواغل ولهذا أمر الشرع بتأخر صفوف النساء تحقيقا للغاية المُرادة من الصلاة ومنعا للخطرات والشهوات أن تنبعث لتشغل المصلي وهو في أعظم المواطن .

[*] قال النووي رحمه الله:

أما صفوف الرجال فهي علي عمومها فخيرها أولها أبدا وشرها آخرها أبدا، أما صفوف النساء فالمراد بالحديث صفوف النساء اللواتي يصلين مع الرجال وإما إذا صلين متميزات لا مع الرجال فهن كالرجال خير صفوفهن أولها وشرها آخرها. وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن من مخالطة الرجال ورؤيتهم وتعلق القلب بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم...... ونحو ذلك. وذم أول صفوفهن لعكس ذلك أي لكونها قريبة من الرجال وفي ذلك من الفتن ما لا يخفي (شرح مسلم ٤/١٥٩)

[*] قال الإمام المناوي رحمه الله تعالى في فيض القدير:

(وخير صفوف النساء آخرها) لبعده عن مخالطة الرجال وقربهم وتعلق القلب بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم ونحو ذلك

(وشرها أولها) لكونها بعكس ذلك قال النووي : وهذا على عمومه إن صلين مع الرجال فإن تميزن فهن كالرجال خيرها أولها وشرها آخرها .

بل ولو أجتمع أطفال ونساء يجعل النساء خلف الأطفال لان الأطفال ليسوا في الشعور الجنسي كالرجال وفتنة النساء لهم ضعيفة أو منعدمة.

– فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أنس رضي الله عنه – قال:

" صليت أنا ويتم في بيتنا خلف النبي ﷺ وأم سليم خلفنا ."

(حديث أنس الثابت في الصحيحين) قال : صلى رسول الله ﷺ فقمتُ أن ويتيم خلفه وأم سُليم خلفنا .

➢الدليل الثالث :

(حديث أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه الثابت في صحيح أبي داوود) أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو خارج من المسجد وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق : « استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق ، عليكن بحافات الطريق » فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به ! .

تحققن الطريق : أي تمشين وسط الطريق.

[*] وقال ابن القيم رحمه الله في الطرق الحكمية (ص٤٠٦) : « ولي الأمر يجب عليه أن يمنع من اختلاط الرجال بالنساء في الأسواق ، ومجامع الرجال. فالإمام مسؤول عن ذلك ، والفتنة به عظيمة وقد منع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه النساء من المشي في طريق الرجال ، والاختلاط بهم في الطريق . فعلى ولي الأمر أن يقتدي به في ذلك.

[*] قيل للإمام أحمد رحمه الله :

« الرجل يكون في السوق ، يبيع ويشتري ، فتأتيه المرأة تشتري منه ، فيرى كفها ونحو ذلك ، فكره ذلك ، وقال: كل شيء من المرأة عورة ، قيل له : فالوجه ؟ قال : إذا كانت شابة تُشتهى فإني أكره ذلك ، وإن كانت عجوزاً رجوت » [(٨)] .

(ولفظ الكراهة عند المتقدمين يطلق على المحرم) [(٩)] .

[*] وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله في أحكام النساء (٤٢): « ينبغي للمرأة أن تحذر من الخروج مهما أمكنها ، فإنها إن سلمت في نفسها لم يسلم الناس منها. فإذا اضطرت إلى الخروج خرجت بإذن زوجها في هيئة رثة ، وجعلت طريقها في المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق ، واحترزت من سماع صوتها ، ومشت في جانب الطريق لا في وسطه » ا.هـ.

---

(٨)ينظر كتاب أحكام النساء (١٠) للإمام أحمد .

(٩)ينظر إعلام الموقعين(٢/٧٥) .

[*]فالمرأة لا يليق بها الاحتكاك بالرجال والدنو منهم ولو في دور العبادة لأنها تشوش عليهم وتفسد قلوبهم. فما بالك لو كان هذا الاختلاط في غير دور العبادة وفي أماكن اللهو والفجور.

[*]تقريع إلى الناعقين بدعوى الاختلاط أقول لهم هذا كتاب الله يدمغهم وسنة نبيه تصفعهم .

فالله يقول : (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهم) (الأحزاب٥٣).

وهم يقولون: لا بأس. ولا ضير.

والله يقول : (ذلك أزكى لهم إنه خبير بما يصنعون) (النور ٣٠)

وهم يقولون : لا مانع ولا حرج

والنبي ﷺ يقول :

" إن الشيطان يجرى من أبن آدم مجرى الدم من العروق ".

وهم يقولون: لا خطر للشيطان ولا وجود للفتنة.

والنبي ﷺ يقول :

" إياكم ومجالس الطريق إلا بحقها " – خوفا من التعرض إلى النساء.

وهم يقولون : لا بأس بمجالس البيوت بين الرجال والنساء.

والنبي ﷺ يقول :

" ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء " دون تقيد بين امرأة وأخري

وهم يقولون : لا وجود للضرر بالجلوس مع النساء مادامت النية سليمة والقلب أبيض.

كيف هذا والنبي يقول أنهم فتنة فكيف نجمع بين الفاتن والمفتون؟

وتقول لا تخف أنا قلبي أبيض.

والنبي ﷺ يقول كما عند مسلم :

" اتقوا الدنيا واتقوا النساء فأن أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء "

وهم يقولون : المرأة نصف المجتمع ولا غناء عنها في العمل والإعلانات

كيف يسلم لهم هذا والنبي أمر باتقاء النساء وهذا الأمر يقتضي الوجوب فكيف يحصل الامتثال مع الاختلاط.

[*]➢وبعد كلام رب العالمين ورسوله الأمين فهذه طائفة من أقوال أهل العلم الطيبين عن الاختلاط.

[*] قال الشافعي رحمه الله كما في الأم :

ولا أحب أن تدفن المرأة مع الرجل على حال وإن كان ضرورة ولا سبيل إلى غيرها كان الرجل أمامها وهي خلفه ويجعل بين الرجل والمرأة في القبر حاجز من تراب.

➢يا الله : هم في القبر أموات غير أحياء لا يشعر أحدهما بالآخر ولكن لا اختلاط ولا تلامس بينهما حاجز من تراب فما بال طلبة الجامعات يلصق فخذه بفخذ صديقته وهم أحياء تجري في عروقهم الشهوة ويطلب كل واحد منهما الآخر.

[*] قال ابن القيم كما في الطرق الحكمية في السياسة الشرعية :

إن رأى ولي الأمر أن يفسد على المرأة – إذا تجملت وتزينت وخرجت – ثيابها بالحبر ونحوه. فقد رخص في ذلك بعض الفقهاء و أصاب وهذا من ادنى عقوبتهن المالية وقد منع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه النساء من المشي في طريق الرجال والاختلاط بهم في الطريق.

[*] قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى في الفتاوى ١٥/٢٩٧

لأن المرأة يجب أن تصان وتحفظ بما لا يجب مثله في الرجل ولهذا خصت بالاحتجاب وترك إبداء الزينة وترك التبرج فيجب في حقها الاستئثار باللباس والبيوت ما لا يجب في حق الرجل ولأن ظهور النساء سبب الفتنة والرجال قوامون عليهن.

[*] قال العلامة أحمد شاكر (رحمه الله)

في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن أم سلمه رضي الله عنها قالت:

" يا رسول الله تغزو الرجال ولا نغزو ولنا نصف الميراث؟ فانزل الله عز وجل :

{ وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ} ".

فقال أحمد شاكر رحمة الله عليه تعليقاً على هذا الحديث :

وهذا الحديث يرد على الكذابين المفترين في عصرنا الذين يحرصون على أن تشيع الفاحشة بين المؤمنين فيخرجون المرأة من خدرها وعن صونها وسترها الذي أمر الله به فيدخلونها في نظام الجند عارية الأذراع والأفخاذ بارزة المقدمة والمؤخرة متهتكة فاجرة

يرمون بذلك في الحقيقة إلى الترفيه الملعون عن الجنود الشبان المحرومين من النساء في الجندية تشبها بفجور اليهود والإفرنج عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة.

[*]قال الدكتور صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله في كتابه تنبيهات على أحكام تختص بالمؤمنات:

إن أعداء الإسلام بل أعداء الإنسانية اليوم من الكفار والمنافقين الذين في قلوبهم مرض غاظهم ما نالته المرأة المسلمة من كرامة وعزه وصيانة في الإسلام لان أعداء الإسلام من الكفار والمنافقين يريدون أن تكون المرأة أداة تدمير وشبك يصطادون بها ضعاف الإيمان وأصحاب الغرائز الجانحة بعد أن يُشبعوا منها شهواتهم المسعورة كما قال تعالى:

{وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً} (النساء ٢٨)

والذين في قلوبهم مرض من المسلمين يريدون من المرأة أن تكون سلعة رخيصة في معرض أصحاب الشهوات والنزعات الشيطانية سلعة مكشوفة أمام أعينهم يتمتعون بجمال منظرها أو يتوصلون منها إلى ما هو أقبح من ذلك.

ولذلك حرصوا على أن تخرج من بيتها لتشارك الرجال في أعمالهم جنبا إلى جنب أو لتخدم الرجال ممرضة في المستشفي أو مضيفة في طائرة أو مدرسة في فصول الدراسة المختلطة أو ممثلة في المسرح أو مغنية، أو مذيعة في وسائل الإعلام المختلفة سافرة فاتنة بصوتها وصورتها.

واتخذت المجلات الخليعة من صور الفتيات الفاتنات العاريات وسيلة لترويج مجلاتهم وتسويقها.

واتخذ بعض التجار وبعض المصانع من هذه الصور أيضا وسيلة لترويج بضائعهم حيث وضعوا هذه الصور في معروضاتهم ومنتجاتهم.

وبسبب هذه الإجراءات تخلت المرأة عن وظيفتها الحقيقة في البيت مما اضطر أزواجهن إلى جلب الخادمات الأجنبيات لتربية أولادهم وتنظيم شؤون بيوتهم مما سبب كثيرا من الفتن وجلب عظيما من الشرور .

[*] ويقول الشيخ الدكتور محمد إسماعيل المقدم في عوده الحجاب:

إن الذين يتهاونون في الاختلاط الآثم بين النساء والرجال بدعوى أنهم ربو على الاستجابة لنداء الفضيلة ورعاية الخلق مثل قوم وضعوا كمية من البارود بجانب نار موقدة ثم ادعوا أن الانفجار لا يكون لان على البارود تحذيرا من الاشتغال والاحتراق إن هذا خيال بعيد عن الواقع ومغالطة للنفس وطبيعة الحياة وأحداثها. إن الذين ابتدعوا الاختلاط يعانون الآن من آثاره الوخيمة مما دعاهم إلى الدعوة لعدم الاختلاط.

➢تحريم الأسباب المفضية إلى الاختلاط ومنها :

(١) تحريم الدخول على الأجنبية والخلوة بها، ، ومنها: خلوة السائق، والخادم، والطبيب وغيرهم بالمرأة، وقد تنتقل من خلوة إلى أخرى، فيخلو بها الخادم في البيت، والسائق في السيارة، والطبيب في العيادة، وهكذا!! .

من المعلوم شرعاً أنه لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما بنص السنة الصحيحة كما في الحديث الآتي :

(حديث ابن عباس الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : (لا يخلون رجلٌ بامرأةٍ إلا مع ذي محرم ، فقام رجل فقال يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة فاكتتبت في غزوة كذا وكذا قال : ارجع فحج مع امرأتك)

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيحي الترمذي وابن ماجة) أن النبي ﷺ قال : «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان» ، وهذا يدل على أن تحريمه مؤكد.

فقوله ﷺ « إلا كان ثالثهما الشيطان » يشمل أتقى الناس ، وأفجر الناس ، والشريعة لا تستثني من مثل هذه النصوص أحداً .

فلا يحل للمرأة أن تخلو برجل أجنبي عنها سواء في بيت أو سيارة أو غير ذلك .

[*] قال شيخ الإسلام في الاختيارات الفقهية (٢٩١) :

« وتحرم الخلوة بغير محرم ، ولو بحيوان يشتهي المرأة ، أو تشتهيه ، كالقرد » [١٠] !

فإذا كان أهل العلم ينهون عن خلوة المرأة بحيوان يشتهيها، فكيف بخلوتها بالخادم والسائق؟!

---

(١٠)ينظر كتاب أحكام النساء لابن الجوزي (٣٣)

وقد صرح الإمام القرطبي في تفسير سورة الممتحنة أن الخلوة بغير محرم من الكبائر ومن أفعال الجاهلية [١١] .

(٢) تحريم سفر المرأة بلا محرم :

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : (لا يحلُ لامرأةٍ تؤمن بالله و اليوم الآخر تسافر مسيرة يومٍ وليلة إلا مع ذي محرمٍ لها)

(حديث ابن عمر رضي الله عنهما الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : (لا تسافر المرأةُ ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم)

(٣) تحريم دخول الرجال على النساء، حتى الأحماء –وهم أقارب الزوج– فكيف بالجلسات العائلية المختلطة، مع ما هن عليه من الزينة، وإبراز المفاتن، والخضوع بالقول، والضحك .. ؟!!

➢عن علي (رضي الله عنه) قال: " بلغني أن نسائكم يزاحمن العلوج في الأسواق، ألا تستحون؟ ألا تغارون ؟ يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال ." المغني

وإذا كان الحمو هو الموت كما أخبر بذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الآتي :

(حديث عقبة بن عامر في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : إياكم و الدخول على النساء قالوا : يا رسول اللّه أرأيت الحمو قال : الحمو الموت أي دخوله على زوجة أخيه يشبه الموت في الاستقباح والمفسدة فهو

[*] قال الإمام المناوي رحمه الله تعالى في فيض القدير:

(إياكم والدخول على النساء) بالنصب على التحذير وهو تنبيه المخاطب على محذور ليتحرز منه أي اتقوا الدخول النساء ،وتضمن منع الدخول منع الخلوة بأجنبية بالأولى والنهي ظاهر العلة والقصد به غير ذوات المحارم ، ذكر الغزالي أن راهباً من بني إسرائيل أتاه أناس بجارية بها علة ليداويها فأبى قبولها فما زالوا به حتى قبلها يعالجها فأتاه الشيطان فوسوس له مقاربتها فوقع عليها فحملت فوسوس له الآن تفتضح فاقتلها وقل لأهلها ماتت فقتلها وألقى الشيطان في قلب أهلها أنه قتلها فأخذوه وحصروه فقال له

([١١]) انظر كتاب تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين (ص ٢٢٧) للإمام ابن النحاس رحمه الله .

الشيطان : اسجد لي تنج فسجد له ، فانظر إلى حيله كيف اضطره إلى الكفر بطاعته له في قبوله للجارية وجعلها عنده

(قالوا : يا رسول اللّه أرأيت الحمو قال : الحمو الموت) والحمو أخو الزوج وقريبه ، الحمو الموت : أي دخوله على زوجة أخيه يشبه الموت في الاستقباح والمفسدة فهو محرم شديد التحريم وإنما بالغ في الزجر بتشبيهه الموت لتسامح الناس في ذلك حتى كأنه غير أجنبي من المرأة وخرج هذا مخرج قولهم الأسد الموت أي لقاؤه يقضي إليه وكذا دخول الحمو عليها يفضي إلى موت الدين أو إلى موتها بطلاقها عند غيرة الزوج أو برجمها إن زنت معه وقد بالغ مالك في هذا الباب حتى منع ما يجر إلى التهم كخلوة امرأة بابن زوجها وإن كانت جائزة لأن موقع امتناع الرجل من النظر بشهوة لامرأة أبيه ليس كموقعه منه لأمه هذا قد استحكمت عليه النفرة العادية وذاك أنست به النفس الشهوانية.

﴿تنبيه﴾:فإذا كان هذا مع أخ الزوج ، فما بالنا بمن يتركون الرجال الأجانب يدخلون على نساءهم ومحارمهم دون أن يحرك ذلك ساكناً فيهم من شعور بالغيرة على أعراضهم ومحارمهم ، مدعين بذلك العفة لدى الجنسين ، وأقول : والله إنه ضعف في الدين ، وقلة حيلة لدى أولئك المساكين.

﴿تنبيه﴾ : إنّ دعاة الإباحية، لهم بدايات تبدو خفيفة، وهي تحمل مكايد عظيمة، منها في وضع لبنة الاختلاط، يبدؤون بها من رياض الأطفال، وفي برامج الإعلام، وركن التعارف الصحفي بين الأطفال، وتقديم طاقات –وليس باقات– الزهور من الجنسين في الاحتفالات . وهكذا .. من دواعي كسر حاجز النفرة من الاختلاط، بمثل هذه البدايات، التي يستسهلها كثير من الناس .

فليتق الله أهلُ الإسلام في مواليهم، وليحسبوا خطوات السير في حياتهم، وليحفظوا ما استرعاهم الله عليه من رعاياهم، والحذر الحذر من التفريط والاستجابة لفتنة الاستدراج إلى مدارج الضلالة، وكل امرئٍ حسيب نفسه .

[*][*][*][*]

(ثامناً) لا تُكلَّم النساء إلا بإذن أزواجهن :

◆(حديث عمرو ابن العاص رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ نهى أن تُكَلَّمَ النساء إلا بإذن أزواجهن .

[*] قال الإمام المناوي رحمه الله تعالى في فيض القدير:

(نهى أن تكلم النساء إلا بإذن أزواجهن) لأنه مظنة الوقوع في الفاحشة بتسويل الشيطان ومفهومه الجواز بإذنه وحمله الولي العراقي على ما إذا انتفت مع ذلك الخلوة المحرمة والكلام في رجال غير محارم .

﴿تنبيه﴾ :⋖إن الذي يُمْعِنُ النظر بعين البصيرة في هذا الحديث الشريف يجد أنه حصنٌ حصين لِحمايةِ جَنَابِ البيوت ، ومنع تسرب الفسادِ إلى المرأة ، فلا يجوز لك أن تكلم المرأة إلا بإذن زوجها ، ولا يغرنَّك ما تجدُ في بعض أولياء المرأةِ من الدياثةِ ما لعلك لا تجده في الخنزير نفسه ، وكأنه قاتله الله يتبارى مع الخنزير أيهما أشد دياثةً من صاحبه ، وجدنا في بعض القضايا المعاصرة من قضايا التخبيب والإفساد ما يثير العجب وكله يرجع إلى سببٍ واحد وهو أن يكلم الرجل بغير إذن زوجها ، ومن ذلك ما وجدنا في بعض القضايا أن المرأة إذا غاضَبَها زوجها أو كان بينه وبينها شيءٌ يُعَكرُ صفو حياتهما ــ وفي الغالب تكون المرأة هي السبب في ذلك كما وجدناه وعلمناه علم اليقين ــ فإن أحد أوليائها يأخذها بيدها ليعرفها على ما يُسمَّى بالشيخ لتحكي له الخلاف الذي بينها وبين زوجها ، وهذا بداية العِوج عن الطريق المستقيم ، ومَزَلَةِ الأقدام في العشق الحرام ، وإذا بالشيخ الفاسد القلب والعقل والدين والضمير الذي خالف نهي النبي بأن تُكَلَّمَ النساء إلا بإذن أزواجهن وولاه ظهره وضرب به عُرض الحائط ، إذا به قاتله الله يُكَلِمُ المرأةَ بأسلوب أنعم من جلد الثعبان فبدلاً من أن ينظمها في سلك طاعة زوجها إذا به يُحببها إلى نفسه ويُبَغِّضُ إليها زوجها ، وإذا بالمرأةِ فاسدةً لا تعرفُ غَضَ البصر ، فَغَض البصر لا يخطر لها ببال ولا يدور لها الخيال ، فيقعا في جريمتي التخبيب والعشق الحرام فَنَازِلاً ،

☜والسؤال الذي يطرح نفسه الان من الذي فتح هذا المجال للعشق الحرام ؟

إنه أحد أولياء المرأة الذي نُزِعت منه الغَيْرَةُ على محارمه ، الذي سقطت منه رجولته تحت قدميه ، وذهبت شهامته أدراج الرياح ، وصار فيه من الدياثة ما لعلها لا توجد في الخنزير نفسه .

وحقٌ على كل من أراد أن يستبرئ لدينه وعِرضه ، وأن ينهج نهج السلامة ــ والسلامة لا يعدلها شيء ــ أن يستحضر دائماً وأبداً أن فتنةَ النساء هي أضرُ فتنةً على الرجال بنص السنة الصحيحة ، فلا يتساهل في التعامل معهن أبدا، وتأمل في الحـــديثين الآتيـــين بعـــين البصيرة وأمْعِنِ النظر فيهما واجعل لهما من سمعك مسمعا وفي قلبك موقِعاً عســـى الله أن ينفعك بما فيهما من غرر الفوائد ، ودرر الفرائد .

◆(حديث أسامة بن زيد الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : (ما تركتُ بعدي فتنةً أضرُ على الرجال من النساء)

◆(حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فـــاتقوا الـــدنيا واتقـــوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء .

﴿تنبيه﴾ : يجب على المرأة المسلمة أن لا تكلم رجلاً أجنبياً بغير إذن زوجها لأنها تكون قد خالفت أمر النبي ﷺ ، ثم إنها بذلك تفتح باب الفتنة على مصراعيه ،وتُلقي بنفسها فـــي الهوة السحيقة ، لأن المرأة ناقصةُ عقلٍ ودين ، والكلمة تؤثر فيها وتقلبها رأساً على عقب وتعمل فيها عملَ السيف في نحور الرجال ، ولا ننسى أن الله تعالى يقول : (يَأَيّهَـــا الّـــذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشّيْطَانِ وَمَن يَتّبِعْ خُطُوَاتِ الشّيْطَانِ فَإِنّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَـــرِ) [سورة: النور : ٢١]

«وهذه الآية الكريمة أصلٌ في دفعِ كلِ المفاسدِ والمَضار ، وحمايةً لجناب النفوس الأطهار»

[*][*][*][*]

(تاسعاً) النهي عن مصافحة النساء :

(حديث معقل ابن يسار في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال لأن يُطعن في رأس أحدكم بمخيطٍ من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له .

*معنى مخيط : هو ما يخاط به كالإبرة والمسلة

من حديد : خصَّه لأنه أصلب من غيره وأشد في الطعن وأقوى في الإيلام

(حديث أميمة بنت رقيقة في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : إني لا أصافح النساء .

[*] قال الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١/٤٤٨) :

« وفي الحديث وعيد شديد لمن مس امرأة لا تحل له ، ففيه دليل على تحريم مصافحة النساء،لأن ذلك مما يشمله المس بلا شك ،وقد بلى بها كثير من المسلمين في هذا العصر» .

وكان رسول الله ﷺ لا يصافح النساء .

في صحيح البخاري (٤٦٠٩) عن عائشة رضي الله عنها قالت : « والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة » .

[*][*][*][*]

(عاشراً) نهى المرأة عن الخروج من منزلها متعطرة :

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة .

(أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة) فيه حرمة التطيب على مريدة الخروج إلى المسجد لما فيه من تحريك داعية شهوة الرجال .

(حديث أبي موسى في صحيح النسائي) أن النبي ﷺ قال : أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية و كل عين زانية .

[*] قال المناوي رحمه الله :

(فهي زانية كما في فيض القدير معللاً لماذا وصفها النبي ﷺ بأنها زانية لأنها هيجت شهوة الرجال بعطرها وحملتهم على النظر اليها فكل من ينظر إليها فقد زني بعينية ويحصل لها إثم ذلك لأنها حملته على النظر إليها وشوشت قلبه. أ هـ

(وكل عين زانية) أي كل عين نظرت إلى محرم من امرأة أو رجل فقد حصل لها حظها من الزنا إذ هو حظها منه وأخذ بعض المالكية من الحديث حرمة التلذذ بشم طيب أجنبية لأن اللّه إذا حرم شيئاً زجرت الشريعة عما يضارعه مضارعة قريبة وقد بالغ بعض السلف في ذلك حتى كان ابن عمر رضي اللّه عنه ينهى عن القعود بمحل امرأة قامت عنه حتى يبرد .

➢ومن الأخطاء كذلك:

خروج المرأة من بيتها – غير متعطرة- ولكنها تحمل طفلها الذي عطرته وهذا لا يجوز لأن كله لفت أنظار الرجال إليها بسبب الرائحة مازالت موجودة فبقي حكم التخريج ولا شك أن هذا من التحايل المذموم على أوامر الشرع الحنيف .

➢ وقد وجه سؤال للجنة الدائمة للإفتاء:

هناك حديث يمنع النساء من استعمال الطيب والروائح المعطرة وخاصة عن الذهاب إلى المسجد فهل يجوز التطيب لتخفيف رائحة جسدها التي لا يزيلها الصابون؟

الجواب: الأصل أنه لا يجوز للمرأة التطيب بماله رائحة عطرة إذا أرادات الخروج من بيتها سواء كان خروجها إلى المسجد أم إلى غيره لعموم قولهﷺ " أيما امرأة أستعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية وكل عين زانية" رواه أحمد والنسائي والحاكم من حديث أبي موسي رضي الله عنه. وليس هناك رائحة في الجسد لا يزيلها الصابون فيما نعلم حتى تحتاج بعد اغتسالها إلى استعمال الطيب وليست المرأة أيضاً مطالبة بالذهاب إلى المسجد بل صلاتها في بيتها خير لها من صلاتها في المسجد

[*][*][*][*]

(الحادي عشر) نهي المرأة عن الخضوع في القول في مخاطبة الرجال الأجانب:

قال تعالى :(فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مّعْرُوفاً)

[الأحزاب / ٣٢]

إلى غير ذلك من الآداب والحدود التي ورد الأمر بمراعاتها. ، ولنتعاهد أنفسنا وأهلينا به، ففيه الخير والصلاح، والبعد عن طرق الشيطان وغوايته. ولنحذر ممن حذرنا الله تعالى منهم فقال: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلاً عَظِيماً ۞يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفاً﴾ [النساء:٢٧، ٢٨].

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه .

باب صفوة مسائل العشق الحرام :

[*]عناصر الباب :

تعريف العشق :

مراتب العشق :

تعريف الحب :

أنواع الحب :

المحبة جنس والعشق نوع :

أسباب العشق :

ذم العشق :

أضرار العشق :

ذكر من ألقى به العشق في الهاوية :

كيفية التوبة من العشق :

الأسباب المعينة على ترك العشق :

وهاك تفصيل ذلك في إيجازٍ غيرِ مُخِّلٍ :

تعريف العشق :

مسألة : ما هو العشق :

[*]أورد الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى عن ابن عائشة قال : قلت لطبيب كان موصوفا بالحذق ما العشق ؟

قال : شغل قلب فارغ .

قلت : وقد ذهب بعضهم إلى أنه مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا .

مراتب العشق :

---

[*]قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى :

أول ما يتجدد الاستحسان للشخص ثم يجلب إرادة القرب منه ثم المودة وهو أن يود أن لو ملكه ثم يقوى الود فيصير محبة ثم يصير خلة ثم يصير هوى فيهوي بصاحبه في محاب المحبوب من غير تمالك ثم يصير عشقا ثم يصير تتيما والتتيم حالة يصير بها المعشوق

مالكا للعاشق لا يوجد في قلبه سواه ومنه تيم الله ، ثم يزيد التتيم فيصير ولهاً والوله الخروج عن حد الترتيب والتعطل عن أحوال التمييز .

وقال بعض العلماء أول مراتب العشق الميل إلى المحبوب ثم يستحكم الهوى فيصير مودة ثم تزيد بالمؤانسة وتدرس بالجفاء والأذى ثم الخلة ثم الصبابة وهي رقة الشوق يولدها الألفة ويبعثها الإشفاق ويهيجها الذكر ثم يصير عشقا وهو أعلى ضرب . فمبتدؤه يصفي الفهم ويهذب العقل كما قال ذو الرياستين لأصحابه اعشقوا ولا تعشقوا حراما فإن عشق الحلال يطلق اللسان العيي ويرفع التبلد ويسخي كف البخيل ويبعث على النظافة ويدعو إلى الذكاء .

فإذا زاد مرض الجسد فإذا زاد جرح القلب وأزال الرأي واستهلك العقل ثم يترقى فيصير ولها ويسمى ذو الوله مدلها ومستهاما ومستهترا وحيران ثم قال ابن دريد الصبابة رقة الهوى واشتقاق الحب من أحب البعير إذا برك من الإعياء .

➢تعريف الحب :

◆(حديث عائشة رضي الله عنها الثابت في صحيح البخاري) أن النبي ﷺ قال : الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف .

وأساس المحبة والتآلف هو القلب، لذا نجد أن القلوب تتآلف وتحن لمن يوافق شاكلتها.

➢قال ابن القيم رحمه الله كما في إغاثة اللهفان(١/١٣٢)

المحبة هي التي تحرك المحب في طلب محبوبه الذي يكمل بحصوله له ، فتحرك محب الرحمن ، ومحب القرآن ومحب العلم والإيمان ، ومحب المتاع والأثمان ، ومحب الأوثان والصلبان ، ومحب النسوان والمردان ، ومحب الأطفال ، ومحب الإخوان. فتثير من كل قلب حركة إلى محبوبه من هذه الأشياء فيتحرك عند ذكر محبوبه دون غيره، ولهذا تجد محب النسوان والصبيان ، ومحب قرآن الشيطان بالأصوات والألحان لا يتحرك عند سماع العلم وشواهد الإيمان ، ولا عند تلاوة القرآن ، حتى إذا ذكر له محبوبه اهتز له وربا ، وتحرك باطنه وظاهره شوقاً إليه وطرباً لذكره ، فكل هذه المحابَّ باطلة مضمحلة سوي

محبة الله وما والاها، من محبة رسوله وكتابه ، ودينه ، وأوليائه ، فهذه المحبة تدوم تدوم ثمرتها ونعيمها بدوام من تعلقت به " أهـ

◆وذكر ابن القيم كذلك في كتابه (روضه المحبين ونزهه المشتاقين) :

إن الحب أصل الفعل ومبدأه ، وأصل حركة كل متحرك" أهـ

⮜أنواع الحب :

ولما كان الحب محله القلب الذي هو أصل صلاح المرء وفساده كان أمره في غاية الخطورة ويحتاج منا إلى وقفة نبين من خلالها أنواع الحب جملة وتفصيلاً .

⮜أنواع الحب جملة :

⮜النوع الأول من المحبة : المحبة في الله :

⮜النوع الثاني من المحبة : وهو الحب الجبلي:

⮜النوع الثالث من المحبة : المحبة الغرضية :

⮜النوع الرابع والأخير وهو بيت القصيد وهو المحبة مع الله :

وهاك تفصيل ذلك في إيجازٍ غيرِ مُخِّل : ☜

⮜أنواع الحب تفصيلا :

⮜النوع الأول من المحبة : المحبة في الله :

وهي أسمي وأعلي درجات المحبة التي يسعي الإنسان لتحصيلها ولقد مدح الله تعالى المؤمن بهذه المحبة فقال تعالي: { وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } (البقرة: ١٦٥)

ومن ثمرات هذه المحبة ما يلي :☜

(١) أن هذه المحبة دليل على إيمان العبد بل هي أوثق عُرى الإيمان :

◆(حديث أبي أُمامة الثابت في صحيح أبي داود) أن النبي ﷺ قال : من أحب لله و أبغض لله و أعطى لله و منع لله فقد استكمل الإيمان .

◆(حديث ابن عباس الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : أوثق عرى الإيمان : الموالاة في الله و المعاداة في الله و الحب في الله و البغض في الله عز و جل .

بل سيجد طعم وحلاوة هذا الإيمان في قلبه :

◆(حديث أنس الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله و رسوله أحب إليه مما سواهما و أن يحب المرء لا يحبه إلا لله و أن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار .

(٢) المحبة في الله سبب لمحبة الله للعبد :

◆(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال أين تريد ؟ قال أريد أخا لي في هذه القرية،قال هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال لا غير أني أحببته في الله عز وجل ،قال فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه .

◆(حديث معاذ رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى : وجبت محبتي للمتحابين في و المتجالسين في و المتباذلين في و المتزاورين في .

(٣) أن الله تعالى يظل المتحابين في ظله يوم لا ظل إلا ظله:

◆(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال :(سَبْعَةٌ يُظِلّهُمُ الله في ظِلّهِ يَوْمَ لاَ ظِلّ إلاّ ظِلّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌ نَشَأَ في عِبَادَةِ الله، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلّقٌ في المَسْاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابّا في الله اجْتَمعَا عَلَيه وتَفَرّقَا عليه ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امرأة ذَاتُ منصب وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنّي أَخَافُ الله ، وَرَجُلٌ تَصَدّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقِ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَهُ)

◆(حديث أبي هريرة الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : يقول الله تعالى أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظله .

قال النووي: أين المتحابون بجلالي : أي بعظمتي وطاعتي لا للدنيا .

(٤) المحبة في الله سبب لنيل كرم الله :

(حديث أبي أمامة رضي الله عنه الثابت في السلسلة الصحيحة) أن النبي ﷺ قال : "ما أحب عبدٌ عبداً لله إلا أكرمه الله "

وإكرام الله للمرء يشمل إكرامه له بالإيمان والعلم النافع والعمل الصالح وسائر صنوف النعم .

(٥) المتحابين في الله لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء:

◆(حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال : قال الله عز وجل "المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء"

(٦) كل محبة ستنقطع يوم القيامة إلا المحبة في الله فهي باقية:

قال تعالي { الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ } (الزخرف : ٩٧)

فكل خلة ستنقطع وتنقلب إلى عداوة وكل محبة ستنتهي إلا المحبة في الله

(٧) وأخيراً اجعل محبتك في الله لأهل الخير حتى تكون معهم في الجنة وإن لم تعمل بعملهم :

◆(حديث أبي موسى الثابت في الصحيحين) قال : قيل للنبي ﷺ الرجل يحب القومَ ولما يلحقُ بهم قال : المرء مع من أحب .

◆(حديث علي ابن أبي طالب رضي الله عنه الثابت في صحيح الترغيب والترهيب) أن النبي ﷺ قال : "لا يحب رجلٌ قوماً إلا حشر معهم "

◆(حديث أنس رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم متى الساعة؟ قال: «وما أعددت لها؟» قال: لا شيء إلا أني أُحب الله ورسوله. قال: «أنت مع من أحببت».

➢النوع الثاني من المحبة : وهو الحب الجبلي:

كحب الوالدين والزوجة والأولاد والعشيرة والوطن ونحو ذلك

ومن ذلك قول النبي ﷺ عندما خرج من مكة: "والله لأنت أحب أرض الله إليّ".

◆(حديث عبد الله بن عدي بن حمراء الثابت في صحيحي الترمذي و ابن ماجه) أن النبي ﷺ قال : والله إنك لخيرُ أرضِ الله ، و أحبُ أرضِ الله إليَّ ، ولولا أني أُخرجتُ منك ما خرجتُ .

وهذا الحب قد يدخل في النوع الأول فأنت تحب والديك لله ، وكذا الزوجة والأولاد والعشيرة والوطن أو أنك تحبهم لأن الله أمرك بحبهم فأنت تحبهم في الله لا مع الله

➢النوع الثالث من المحبة : المحبة الغرضية :

وهي عادة ما تقوم على منفعة قد تكون متبادلة أو من طرف واحد دون الطرف الآخر ، كمن يحب مديره في العمل من أجل مصلحة فإذا انقضت المصلحة انتهي الحب، أو من يحب معلمه من أجل رفع الدرجات وهذه المحبة سرعان ما تتلاشي إذ أنها تدوم بدوام السبب الذي ربط ما بينهما ، فإذا زال السبب انتهي الحب.

➢النوع الرابع والأخير وهو بيت القصيد وهو المحبة مع الله :

وهذا النوع محرم وهو نوع من أنواع الشرك يسمي شرك المحبة

وهو درجات بحسب ما يقوم بقلب صاحبه من التعلق بالمحبوب ، ومحبته من دون الله

قال تعالي: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ } (البقرة: ١٦٥)

وإذا تأملنا هذا الحب نجد أنه مجرد أحلام وأوهام ، ومتعة قصيرة زائلة يعقبها هم وغم وآلام لا تنقطع وذل لا يفارق صاحبه إلا أن يتداركه الله برحمة منه.

والإنسان مفطور على حب ما ينفعه واجتناب ما يؤذيه ويضره ولكن مع قلة الوازع الديني وغلبة الهوى تنطمس فطرة الإنسان وتعمي بصيرته فيترك ما ينفعه ويلهث في البحث عما يضره ، فينحط بذلك عن مستوي البهيمة وهذا حال المخدوعين بداء العشق، فالعشق داء عضال يصيب جذر القلب وأصله لا حواشيه وأطرافه ، وهو بذلك يصرف العبد عن المحبة التي خلق من أجلها وهي محبة الله إلى محبة هي من أضر الأشياء عليه .

➢المحبة جنس والعشق نوع :

مسألة : ما الفرق بين المحبة والعشق ؟

[*]➢قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى :

واعلم أن المحبة جنس والعشق نوع فإن الرجل يحب أباه وابنه ، ولا يبعثه ذلك على تلف نفسه بخلاف العاشق .

➢أورد الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى عن محمد بن يزيد المبرد قال سمعت الجاحظ يقول كل عشق يسمى حبا وليس كل حب يسمى عشقا لأن العشق اسم لما فضل عن المحبة كما أن السرف اسم لما جاوز الجود والبخل اسم لما نقص عن الاقتصاد والجبن اسم لما فضل عن شدة الاحتراس والهوج اسم لما فضل عن الشجاعة .

➢أسباب العشق :

مسألة : ما هو أسباب العشق ؟

وبعد أن تبين خطر العشق، وعظيم جناياته، وكثرة الأضرار الناجمة عنه، والمظالم الحاصلة من جرائه، لا بد من الوقوف على الأسباب الحاملة على العشق، والمحركة لـه؛ ذلك أن العشق ينشأ، ويثور إذا وجدت محركاته ومهيجاته؛ فهناك أسباب تثير العشق، وتبعثه، بل وتسوق إليه سوقاً، وتجر إليه جراً.

وللعشق أسبابٌ كثيرة ، وهاك أهم أسباب العشق جملةً وتفصيلا:

➢أسباب العشق جملةً :

(١) التثبت في النظر ومعاودته :

(٢) سماع الغزل والغناء :

(٣) الإعراض عن الله عز وجل :

(٤) الجهل بأضرار العشق :

(٥) الفراغ:

(٦) وسائل الإعلام:

(٧) التقليد الأعمى :

(٨) الانحراف في مفهوم الحب والعشق:

(9) الاغترار ببعض الأقوال التي تبيح العشق :

(10) التهتك والتبرج والسفور:

(١١) المعاكسات الهاتفية:

(١٢) التنعم الزائد مع عدم الدين سبب رئيس في الفساد :

وهاك تفصيل ذلك في إيجازٍ غيرِ مُخِّل :

(١) التثبت في النظر ومعاودته :

[*]قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى :

سبب العشق مصادفة النفس ما يلائم طبعها فتستحسنه وتميل إليه وأكثر أسباب المصادفة النظر « ولا يكون ذلك باللمح بل بالتثبت في النظر ومعاودته »، فإذا غاب المحبوب عن العين طلبته النفس ورامت القرب منه ثم تمنت الاستمتاع به فيصير فكرها فيه وتصويرها إياه في الغيبة حاضرا وشغلها كله به فيتجدد من ذلك أمراض لانصراف الفكر إلى ذلك المعنى وكلما قويت الشهوة البدنية قوى الفكر في ذلك .

(٢) سماع الغزل والغناء :

[*]قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى :

ومن أسباب العشق سماع الغزل والغناء فإن ذلك يصور في النفوس نقوش صور فتتخمر خميرة صورة موصوفة ثم يصادف النظر مستحسنا فتتعلق النفس بما كانت تطلبه حالة الوصف .أهـ

(٣) الإعراض عن الله عز وجل : ذلك أن في الله عوضاً عن كل شيء، وأن من عرف الله عز وجل جمع قلبه عليه، ولم يلتفت إلى محبوب سواه.

(٤) الجهل بأضرار العشق : وقد مر شيء من أضراره؛ فمن لم يعرفها أوشك أن يقع في ذلك الداء.

(٥) الفراغ: فهو من أعظم الأسباب الحاملة على العشق ، وتأمل في الحديث الآتي بعين البصيرة :

(حديث ابن عباس رضي الله عنهما الثابت في صحيح البخاري) أن النبي ﷺ قال : نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة و الفراغ .

[*]قال ابن عقيل رحمه الله تعالى : وما كان العشق إلا لأرعنَ بطال، وقلَّ أن يكون في مشغول ولو بصناعة، أو تجارة؛ فكيف بعلوم شرعية، أو حكمية؟ (١٢).

[*]وقال ابن عبد البر رحمه الله تعالى : سئل بعض الحكماء عن العشق فقال: شُغل قلب فارغ (١٣).

وقال أفلاطون: العشق حركة النفس الفارغة (١٤).

وقال أرسطو: العشق جهل عارض، صادف قلباً خالياً لا شغل له من تجارة، ولا صناعة (١٥).

وقال غيره: هو سوء اختيار صادف نفساً فارغة (١٦).

ومن الفراغ أيضاً فراغ القلب من محبة الله عز وجل .

[*]قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وعشق الصور إنما تبتلى به القلوب الفارغة من محبة الله تعالى المعرضة عنه، والمتعوضة بغيره عنه؛ فإذا امتلأ القلب من محبة الله، والشوق إلى لقائه دفع ذلك عنه مرض عشق الصور (١٧).

(٦) وسائل الإعلام: سواء كانت مسموعة، أو مرئية، أو مقروءة؛ فوسائل الإعلام لها قدرة كبيرة على الإقناع، وصياغة الأفكار، ولها تأثير بالغ في قيادة الناس إلي الهاوية إذا هي انحرفت؛ فالصحافة تسهم في إذكاء نار العشق من خلال ما تعرضه من الصور الفاتنة، ومن خلال احتفائها بأهل العشق، وتتبع أخبارهم وشذوذاتهم.

وقل مثل ذلك في الكتب التي تتحدث عن الجنس صراحة، وتميط اللثام عن الحياء، والدواوين الشعرية المليئة بشعر الغزل الفاضح الصريح، وقل مثل ذلك في الكتب أو المقالات التي تنشر ذكريات أصحابها، وسيرهم الذاتية؛ حيث يذكر بعضهم بكل وقاحة

---

(١٢) الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ١٢٦.

(١٣) بهجة المجالس لابن عبد البر ٢ / ٨١٧.

(١٤) روضة المحبين ص ١٥٣.

(١٥) روضة المحبين ص ١٥٤.

(١٦) مرجع سابق.

(١٧) زاد المعاد لابن القيم ٤/ ٢٤٦.

مغامراته العاطفية، ومراهقاته مع معشوقاته دونما حياء أو أنفة، فيظل يستره الله ، ويأبى إلا كشف الستر، فإذا كان ممن يشار إليهم بالبنان كان له تأثير لدى بعض الجهلة ممن يحاولون محاكاته، والسير على منوالة.

وقل مثل ذلك في الأجهزة المرئية؛ فهي الترجمان الناطق عملياً لما تتضمنه القصص والروايات الفاجرة(١٨).

(٧) التقليد الأعمى : فمن الناس من يقرأ قصص أهل العشق وأخبارهم، أو يستمع إلى الأغاني المشتملة على ذكر العشق والهيام، والصبابة، أو يقرأ القصائد التي تنسج على منوال أهل العشق .

وربما رأى من حوله يبثون الشكاة واللوعة من العشق عبر الشعر أو الكتابة؛ فترى هذا الغِرَّ يتأثر بما يسمع، وما يرى حوله، فيبدأ بمحاكاة أهل العشق، فيزعم أنه قد وقع بما وقعوا فيه، وأن العشق قد أمضه وأضناه، وربما عبر عن ذلك شعراً.

وما هي إلا مدة حتى يتمادى به الأمر، فيقع في العشق، فيعز خلاصه، ويصعب استنقاذه.

ومما ينسب للمأمون قوله في هذا المعنى:

أول العشق مزاحٌ وولع		ثم يزداد فيزداد الطمع
كلُّ مَنْ يهوى وإن عالت به		رتبة الملك لمن يهوى تبع(١٩)

وقيل:

تولع بالعشق حتى عشق		فلما استقل به لم يُطِقْ
رأى لُجَّةً ظنها موجةً		فلما تمكَّن منها غرق
ولما رأى أدمعاً تُستهلُّ		وأبصر أحشاءه تحترق
تمنى الإفاقة من سكره		فلم يستطعها ولم يستفق(٢٠)

(٨) الانحراف في مفهوم الحب والعشق: فمن أعظم أسباب العشق الانحراف في مفهومه؛ حيث يُظن أنْ لا عشق ولا حب إلا ذاك الذي يعمي صاحبه، ويجعله سادراً في غيه، لا يكاد

---

(١٨) انظر الصحافة المسمومة لأنور الجندي ص ٧٦، وحصوننا مهددة من داخلها ص ٣١_٣٩، والأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفاز لمروان كجك ص ١٩١، وأربع مناقشات لإلغاء التلفزيون لجيري ماندرو، ترجمة سهيل منيمنة.

(١٩) أدب الدنيا والدين للماوردي ص ١٣٨.

(٢٠) ذم الهوى ص ٤٤٠.

يفيق من سكره .

فيرى أولئك أن الحب هو ذاك فحسب، وأن من وقع فيه نال فضيلة الحب من رقَّةٍ، وظرفٍ، ولطافة، وكرم ونحو ذلك.

ومن لم يعشق ويحب ذلك الحب فهو جامد الطبع، متبلد الإحساس، خالٍ من العواطف، متجرد من الفضائل، كما قال قائلهم:

إذا أنت لم تعشق ولم تدرِ ما		فكن حجرا من جامد الصخر

وكما قال الآخر:

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما		فأنت وعَيْر في الفلاة سواء(٢٢)

وكما قال الآخر:

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما		فمالك في طيب الحياة نصيب(٢٣)

ولا ريب أن المتجرد من عواطف الحب بليد الطبع، قاسي القلب، متجرد من أسمى الفضائل.

ولكنَّ حصرَ الحبِّ والعشق في زاوية حب الصور المحرمة جهل وانحراف؛ ذلك أن مفهوم الحب أوسع، ودائرته أعم، وصوره أشمل .

وما عشق الصور المحرمة إلا زاوية ضيقة من زوايا الحب، بل هي أضيقها، وأضرها؛ فلقد غاب عن هؤلاء أن هذا العشق نقطة في بحر الحب، وغاب عنهم حب الوالدين، وحب الأولاد، وحب المساكين، وحب الزوجة، وحب الفضائل، والمكارم، وحب المعالي والمروءات، وحب الطهر، والعفة، والشجاعة، وحب الصداقة، وغاب عنهم حب اللذات العقلية وهي أرقى وأسمى وألذ من اللذات الجسدية، وألذها لذة العلم، وما يتفرع عنه.

بل لقد غاب عنهم أعظم الحب، وأشرفه، وأنفعه، وأجمله، وأجله، وأكمله، وأبهاه، وهو حب الله عز وجل فهو أصل المحاب المحمودة، بل وكل محبة محمودة إنما هي متفرعة عن ذلك.

[*]⮘قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

---

(٢١) الجواب الكافي ص ٥٠٩.

(٢٢) الجواب الكافي ص ٥٠٩.

(٢٣) الجواب الكافي ص ٥٠٩.

➢فالمحبة النافعة ثلاثة أنواع: محبة الله، ومحبة في الله، ومحبة ما يعين على طاعة الله تعالى واجتناب معصيته.

➢والمحبة الضارة ثلاثة أنواع: المحبة مع الله ، ومحبة ما يبغضه الله ، ومحبة ما تقطع محبته عن الله تعالى أو تنقصها؛ فهذه ستة أنواع عليها مدار محاب الخلق .

فمحبة الله عز وجل أصل المحاب، وأصل الإيمان والتوحيد، والنوعان الآخران تبع لها.

و المحبة مع الله أصل الشرك، والمحابِّ المذمومة، والنوعان الآخران تبع لها [٢٤].

وقال في موضع آخر متحدثاً عن فضل محبة الله عز وجل : ولهذا كان أعظم صلاح العبد أن يصرف قوى حبه كلها لله تعالى وحده، بحيث يحب الله بكل قلبه، وروحه وجوارحه؛ فيوحِّد محبوبه، ويوحِّد حبه.

فتوحيد المحبوب أن لا يتعدد محبوبه، وتوحيد الحب ألا يبقى في قلبه بقيةُ حبٍّ حتى يبذلها له؛ فهذا الحب وإن سمي عشقاً فهو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه، وليس لقلبه صلاح ولا نعيم إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن تكون محبته لغير الله تابعة لمحبة الله؛ فلا يحب إلا لله [٢٥].

وتأمل في الحديث الآتي بعين البصيرة وأمْعِنِ النظر فيه واجعل له من سمعك مسمعا وفي قلبك موقِعاً عسى الله أن ينفعك بما فيه من غرر الفوائد ، ودرر الفرائد .

(حديث أنس في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله و رسوله أحب إليه مما سواهما و أن يحب المرء لا يحبه إلا لله و أن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار .

[*]➢قال ابن القيم رحمه الله تعالى عن هذا الحديث:فأخبر أن العبد لا يجد حلاوة الإيمان إلا بأن يكون الله أحب إليه مما سواه، ومحبةُ رسوله هي من محبته، ومحبةُ المرء إن كانت لله فهي من محبة الله، وإن كانت لغير الله فهي مُنقصة لمحبة الله، مُضعفة لها، وتَصْدُقُ هذه المحبة بأن يكون كراهته لأبغض الأشياء إلى محبوبه وهو الكفر بمنزلة كراهته لإلقائه في النار أو أشد.

ولا ريب أن هذا من أعظم المحبة، فإن الإنسان لا يُقَدِّم على محبة نفسه وحياته شيئاً، فإذا

---

(٢٤) إغاثة اللهفان ص ٥١٢_٥١٣.

(٢٥) روضة الحبين ص ٢١١.

قدم محبة الإيمان بالله على نفسه بحيث لو خيِّر بين الكفر وإلقائه في النار لاختار أن يلقى في النار ولا يكفر_كان الله أحبَّ إليه من نفسه.

وهذه المحبة هي فوق ما يجده سائر العشاق والمحبين من محبة محبوبهم، بل لا نظير لهذه المحبة، كما لا مثل لمن تعلق به، وهي محبةٌ تقتضي تقديم المحبوب فيها على النفس والمال والولد، وتقتضي كمال الذل، والخضوع، والتعظيم، والطاعة، والانقياد ظاهراً وباطناً.

وهذا لا نظير له في محبة مخلوق ولو كان المخلوق من كان [٢٦].

وقال : والعشق إذا تعلق بما يحبه الله ورسوله كان عشقاً ممدوحاً مثاباً عليه، وذلك أنواع :

أحدها: محبة القرآن؛ بحيث يَغْنى بسماعه عن سماع غيره، ويهيم قلبه في معانيه، ومرادِ المتكلم سبحانه منه .

وعلى قدر محبة الله تكون محبة كلامه ؛ فمن أحب محبوباً أحب كلامه [٢٧].

وقال : وكذلك محبة ذكره سبحانه وتعالى من علامة محبته؛ فإن المحب لا يشبع من ذكر محبوبه، بل لا ينساه؛ فيحتاج إلى من يذكِّره.

وكذلك يحب سماع أوصافه وأفعاله وأحكامه؛ فعشق ذلك كله من أنفع العشق، وهو غاية سعادة العاشق .

وكذلك عشق العلم النافع، وعشق أوصاف الكمال من الجود، والعفة، والشجاعة، والصبر، ومكارم الأخلاق .

ولو صور العلم صورة لكان أجمل من صورة الشمس والقمر.

ولكن عشق هذه الصفات إنما يناسب الأنفس الشريفة الزكية، كما أن محبة الله ورسوله وكلامه ودينه إنما تناسب الأرواح العلوية السماوية الزكية، لا الأرواح الأرضية الدنية.

فإذا أردت أن تعرف قيمة العبد وقدره فانظر إلى محبوبه ومراده، واعلم أن العشق المحمود لا يعرض فيه شيء من الآفات المذكورة [٢٨].

---

(٢٦) روضة المحبين ص ٢١٢.

(٢٧) روضة المحبين ص ٢١٣.

(٢٨) روضة المحبين ص ٢١٣.

وصدق من قال:

ونفاسة الأشياء في غاياتها		فاحمد رماءك إن أصبت

(9) الاغترار ببعض الأقوال التي تبيح العشق : فبعض الناس قد يستهين بشأن العشق، بحجة إباحته، وترخُّص بعض العلماء بذكر أقوال العشاق وذكر قصصهم وأخبارهم، أو بحجة أن بعض أهل الفضل قد وقع في أشراك العشق ، أو بحجة أن للعشق بعض الفضائل حيث ذكر بعضهم أنه يزيد في رقة الطبع ، وترويح النفس، وخفتها، ورياضتها، وحملها على مكارم الأخلاق من نحو الشجاعة، والكرم، والمروءة، ورقة الحاشية، وغير ذلك مما ذكر(٣٠).

ومن ثم يقع في العشق من يقع، ثم يلاقي ويلاته ومراراته.

والجواب على ما مضى أن تلك الإيرادات والأقوال لا تقوم بها حجة؛ فالقول بإباحته، ونقل ذلك عن السلف قول غير مقبول؛ لأن الناقلين ذلك عنهم اتكأوا على نقولٍ لا تصح، أو نقولٍ لا تدل على ما ذهبوا إليه.

[*]➢قال ابن القيم رحمه الله تعالى في شأن تلك النقول: وشبههم التي ذكروها دائرة بين ثلاثة أقسام، أحدها: نقول صحيحة لا حجة لكم فيها.

والثاني: نُقولٌ كاذبة عمن نسبت إليه من وضع الفساق الفجار كما سنبينه.

الثالث: نُقولٌ مجملة محتملة لخلاف ما ذهبوا إليه (٣١).

ثم شرع رحمه الله في تفصيل ذلك.

وقد سئل أبو الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوذاني مسألة عن العشق، وحكم مواصلة العاشق للمعشوق، وكان السؤال شعراً مكتوباً في رقعة، فأجابه أبو الخطاب قائلاً:

يا أيها الشيخ الأديب الذي		قد فاق أهل العصر في شعره

ثم قال:

من قارف الفتنة ثم ادعى الـ		ـعصمة قد نافق في أمره
ولايجيز الشرعُ أسباب ما		يورِّط المسلمَ في حظره

(٢٩) خواطر الحياة ص ١٣٩.
(٣٠) انظر الجواب الكافي ٧٠٥.
(٣١) روضة المحبين ص ١٣٩.

فانج ودع عنك صداع الهوى		عساك أن تسلم من شره
هذا جواب الكلوذانيِّ قد		جاءك يرجو الله في أجره(٣٢)

وسئل ابن الجوزي بأبيات عن جواز العشق مطلعها:

يا أيها العالم ماذا ترى		في عاشق ذاب من الوجد

فأجابه ابن الجوزي قائلاً:

يا ذا الذي ذاب من الوجد		وظلَّ في ضر وفي جهد
اسمع فدتك النفسُ من ناصحٍ		بنصحه يهدي إلى الرشد

إلى أن قال:

وكل ما تذكر مستفتياً		حرَّمه الله على العبد
إلا لما حلَّله ربنا		في الشرع بالإبرام والعقد
فَعَدِّ من طُرْق الهوى معرضاً		وقف بباب الواحد الفرد
وسَلْهُ يشفيك ولا يبتلي		قلبك بالتعذيب والصد
وعف في العشق ولا تبده		واصبر وكاتم غاية الجهد
فإن تمت محتسباً صابراً		تَفُزْ غداً في جنة الخلد(٣٣)

وأما من احتج على جواز العشق بترخص بعض العلماء بذكر أقوال العشاق، وذكر قصصهم وأخبارهم فيقال له: إنما كان ذلك منهم من باب الاستشهاد، وتصوير الحال، ثم بعد ذلك يوقفون القارىء على الحكم في هذه المسألة، كما في صنيع ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه (ذم الهوى) وابن القيم رحمه الله تعالى في (الجواب الكافي)، و (روضة المحبين) وغيرها من كتبه.

بل إن ابن حزم رحمه الله تعالى لما ألف كتابه (طوق الحمامة في الألفة والأُلاَّف) وذكر فيه طرائق أهل العشق قال في آخره: وأنا أستغفر الله تعالى مما يكتب الملكان، ويحصيه الرقيبان من هذا وشبهه استغفارَ مَنْ يعلم أن كلامه من عمله .

---

(٣٢) روضة المحبين ص ١٥١.

(٣٣) روضة المحبين ص ١٥١_١٥٢.

ولكنه إن لم يكن من اللغو الذي لا يؤاخذ به المرء فهو إن شاء الله من اللمم المعفو (٣٤).

وقال رحمه الله تعالى على سبيل الوعظ:

رأيت الهوى سهل المبادي	وعقباه مر الطعم ضنك المسالك
ومن عرف الرحمن لم يعصِ	ولو أنه يعطي جميع الممالك(٣٥)

وأما من ابتلي بالعشق من أهل الفضل فغاية أمره أن يكون ذلك من سعيه المعفو المغفور، لا من سعيه المبرور المشكور.

وإن كان لم يكتم في عشقه كان ذلك منقصة في حقه؛ إذ أعان بذلك على أن يتسلط الناس على عرضه، ويشمتون به(٣٦).

وليس في ذلك حجة لمن أراد أن يقتدي به، وإن كان لأحد رغبة في الاقتداء بذلك الفاضل فليكن في أي جانب من جوانب فضله، لا في الجانب الذي يعد زراية به .

وأما القول بأن للعشق فضائل كما ذكر قبل قليل فيقال: بأن هذه الفضائل تحصل في العشق بمفهومه الشامل كما ذكر في فقرة سابقة .

ولو فرض أن هذه المنافع تحصل بالعشق المعهود لما أَرْبَتْ على مفاسده ومضاره، وما كان ضرره أكثر من نفعه فالمتعين تحريمه، وتركه، وتجنب السبل المفضية إليه.

وقد يستدل بعضهم على جواز العشق وإباحته بحديث: من عشق، فعف، وكتم، وصبر، ثم مات كان شهيداً.

وهذا الحديث باطل موضوع كما بين ذلك العلماء(٣٧).

---

(٣٤) طوق الحمامة ص ١٤١.

(٣٥) طوق الحمامة ص ١٥٢.

(٣٦) انظر روضة المحبين ص ١٤٧.

(٣٧) الحديث أخرجه ابن حبان في المجروحين ١/ ٣٤٩، والخطيب البغدادي في تاريخه ٥/ ١٥٦، ٢٦٢، و ٦/ ٥٠_٥١.

قال ابن القيم في الجواب الكافي ص ٥٥٩: =وأما حديث من عشق فعف . .+.

فهذا يرويه سويد بن سعيد، وقد أنكره حفاظ الإسلام عليه+ .

وقال في ص ٥٦٢: =وكلام حفاظ الإسلام في إنكار هذا الحديث هو الميزان، وإليهم يرجع في هذا الشأن، وما صححه، بل ولا حسنه أحد يعول في علم الحديث عليه، ويرجع في التصحيح إليه، ولا من عادته التساهل والتسامح+ .

وقال في زاد المعاد ٤/ ٢٥٢_٢٥٦: =ولا يغتر بالحديث الموضوع على رسول الله"الذي رواه سويد بن سعيد، فذكر حديث =من عشق فعف فمات فهو شهيد+ .

وقال: =فإن هذا الحديث لا يصح عن رسول الله"ولا يجوز أن يكون من كلامه؛ فإن الشهادة درجة عالية عند الله، مقرونة بدرجة الصديقية، ولها أعمال وأحوال هي من شرط حصولها، وهي نوعان: عامة، وخاصة؛ فالخاصة الشهادة في سبيل الله، والعامة مذكورة في الصحيح ليس العشق واحداً منها.

(10) التهتك والتبرج والسفور: فذلك من أعظم محركات العشق؛ فهو سبب للنظرات الغادرة، التي تعمل عملها في القلب.

(١١) المعاكسات الهاتفية: فهي من أعظم ما يجر إلى العشق ؛ فقد تكون الفتاة حَصَاناً رزاناً لا تُزَنُّ بريبة، ولا تحوم حولها شبهة، وهي من بيت طهر وفضيلة، قد جلله العفاف، وأُسْدل عليه الستر.

فما هي إلا أن تتساهل في شأن الهاتف، وتسترسل في محادثة العابثين حتى تقع فيما لا تحمد عقباه؛ فربما وافقت صفيقاً يغْتَرُّها بمعسول الكلام، فَتَعْلَقُه، وتقع في أشراكه؛ ولا يخفى أن الأذن تعشق قبل العين أحياناً.

وربما زاد الأمر عن ذلك، فاستجر الفتاة حتى إذا وافق غرتها مكر بها، وتركها بعد أن يلبسها عارها.

وربما كانت المبادرة من بعض الفتيات؛ حيث تمسك بسماعة الهاتف وتتصل بأحد من الناس إما أن يكون مقصوداً بعينه، وإما أن يكون الاتصال خبط عشواء؛ فتبدأ بالخضوع له بالقول، وإيقاعه في حبائلها.

والحامل على المعاكسات في الغالب تساهل كثير من الناس في شأن الهاتف، أو الجهل بعواقب المعاكسات، أو من باب التقليد الأعمى، أو حب الاستطلاع، أو غير ذلك من الأمور التي يجمعها الجهل، وعدم النظر في العواقب، وقلة المراقبة لله _تعالى_.

والحديث عن المعاكسات الهاتفية وما تجره من فساد يطول ذكره، وليس هذا مجال بسطه.

والمقصود من ذلك الإشارةُ إلى أن المعاكسات الهاتفية من أعظم الأسباب التي تقود إلى العشق والتعلق؛ فَسَدُّ هذا الباب واجب متعين.

هذه على سبيل الإجمال هي الأسباب الحاملة على العشق.

وكيف يكون العشق الذي هو شرك في المحبة، وفراغ القلب عن الله، وتمليك القلب والروح، والحب لغيره تنال به درجة الشهادة؟ هذا من المحال؛ فإن إفساد عشق الصور للقلب فوق كل إفساد، بل هو خمر الروح الذي يسكرها، ويصدها عن ذكر الله وحبه، والتلذذ بمناجاته، والأنس به، ويوجب عبودية القلب لغيره؛ فإن قلب العاشق متعبد لقلب معشوقه، بل العشق لب العبودية؛ فإنها كمال الذل، والحب، والخضوع، والتعظيم؛ فكيف يكون تعبد القلب لغير الله مما تنال به درجة أفاضل الموحدين وسادتهم وخواص الأولياء؛ فلو كان إسناد هذا الحديث كالشمس كان غلطا ووهما، ولا يحفظ عن رسول الله"لفظ العشق في حديث البتة+ .

إلى أن قال: =فكيف يظن بالنبي"أنه يحكم على كل عاشق يكتم، ويعف بأنه شهيد، فترى من يعشق امرأة غيره، أو يعشق المردان والبغايا ينال بعشقه درجة الشهداء؟ وهل هذا إلا خلاف المعلوم من دينه"بالضرورة؟ والتداوي منه إما واجب إن كان عشقاً حراماً، وإما مستحب+ .

(١٢) التنعم الزائد مع عدم الدين سبب رئيس في الفساد :

تأمل في الحديث الآتي بعين البصيرة وأمْعِنِ النظر فيه واجعل له من سمعك مسمعا وفي قلبك موقِعاً عسى الله أن ينفعك بما فيه من غرر الفوائد ، ودرر الفرائد .

◆(حديث معاذ الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : إياكم و التنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين .

◆قال الإمام المناوي رحمه الله تعالى في فيض القدير:

(إياك والتنعم فإن عباد اللّه ليسوا بالمتنعمين) لأن التنعم بالمباح وإن كان جائزاً لكنه يوجب الأنس به ثم إن هذا محمول على المبالغة في التنعم والمداومة على قصده فلا ينافيه ما ورد في المستدرك وغيره أن المصطفى صلى اللّه عليه وسلم أهديت له حلة اشتريت بثلاثة وثلاثين بعيراً وناقة فلبسها مرة على أنه وإن داوم على ذلك فليس غيره مثله فإن المعصوم واقف على حدود المباح فلا يحمله ذلك على ما يخاف غائلته من نحو بطر وأشر ومداهنة وتجاوز إلى مكروه ونحو ذلك وأما غيره فعاجز عن ذلك فالتفريج على تنعمه بالمباح خطر عظيم لإبعاده عن الخوف قال العارف الجنيد : دخلت على العارف السري وهو يبكي فسألته فقال : جاءته البارحة الصبية فقالت : يا أبت هذا الكوز أعلقه لك يبرد فنمت فرأيت جارية من أحسن الخلق نزلت من السماء فقلت : لمن أنت قالت : لمن لا يشرب الماء المبرد فكسرت الكوز . أهـ

ومن طريف ما يستشهد به على أن الترفه والتنعم الزائد مع عدم الدين يوقع في مثل هذه التوافه أن رجلاً كان يسكن في إحدى الدول المجاورة التي يظهر فيها السفور وكان هذا الرجل غنياً منعّماً فطلبت منه ابنته الجامعية أن يشتري لها سيارة خاصة. فقال لها: السيارة مفتاح شرّ وتزيد اختلاطك بالرجال، وأخوك تحت يدك يذهب بك إلى ما تريدين. فأصرت الفتاة وبكت حتى اشترى لها السيارة، وبدأت تذهب وتجيء كيفما شاءت. فلما جاءت العطلة قالت لأبيها: أريد أن أقضي الإجازة في بريطانيا لدراسة اللغة الإنجليزية فقال الأب المسكين: لا ضرورة لذلك فأصرّت عليه وتباكت فاقترح أن تذهب العائلة كلها معها فغضبت وقالت: أنا واثقة في نفسي ولا يمكن أن أتعرض لمكروه فأبى عليها لكنها تعرف

دواءه بكت وأقفلت على نفسها في غرفتها وأضربت عن الطعام والشراب حتى رق لها قلبه ودمعت عينه وقال: اخرجي من عزلتك وسوف تسافرين إلى بريطانيا ففرحت الفتاة وبدأت تجمع حقائبها. ورفع الأب سماعة الهاتف واتصل بقريب لهم يسكن في المملكة في مدينة تقع على طريق مكة المكرمة اتصل به وقال له: يا فلان هل تذكر فلان ابن عمنا الذي يسكن في خيمة في البر؟ قال صاحبه: نعم وهو لا يزال على حاله في البر يرعى الغنم وعنده إبل ويشتغل ببيع السمن والأقط فسأله صاحبنا: هل تزوّج ؟

قال : لا ومن يزوّجه وهو لا يقرّ له قرار يرحل بخيمته كل حين. فقال : حسناً أنا آتٍ إلى مكة بعد يومين وسوف أتغدى عندك وأريد أن أراه ثم ودعه وأقفل الهاتف. وجاء الأب إلى ابنته وقال: سوف نذهب للعمرة بالسيارة ثم تسافرين إلى بريطانيا بالطائرة عن طريق مطار جدة. فلما انطلقوا وانتصف بهم الطريق إلى مكة توجه الأب إلى مدينة صاحبه وقال لأهله: نرتاح قليلاً في بيت فلان ونتغدى ثم نكمل السفر. ونزلت النساء عند النساء ودخل هو عند الرجال.

ورأى صاحبه راعي الإبل والغنم فتحدث معه طويلاً ثم عرض عليه أن يزوجه ابنته فوافق فوراً ثم عُقد النكاح وخرج الأب ونقل حقائب البنت ـ العروس ـ إلى سيارة زوجها ثم صاح بأهله ليخرجوا فخرجت زوجته بأطفالها وخرجت البنت الرقيقة تنفض يديها من غبار هذا المنزل وتتأفف من ذبابه وحشراته. فلما ركبت مع أبيها زفَّ إليها بشرى زواجها فظنت أنه يمزح لكنه بدا جاداً وأمرها بالنزول مع زوجها فأبت وبكت . فذهب الأب إلى الزوج وقال : زوجتك تستحي أن تأتي لتركب معك فتعال أنت وخذها. فنزل الرجل فرحاً مستبشراً وفتح سيارة أبيها وحملها معه . ومضى بالسيارة إلى خيمة السعادة وشق الصحراء وغاب بين كثبان الرمال. أما الأب فقد كان حازماً وتغلّب على بكاء الأم وتوسلاتها. ورجع ببقية العائلة إلى بلده. وبعد أسبوع اتصل الأب بصاحبه الذي في المدينة وسأله عن الأخبار فقال: هما بخير. قد رأيتهما في السوق قبل يومين. ومضت الأيام والشهور والأب يتلقى الأخبار من صاحبه هاتفياً فلما مضت سنة اتصل به صاحبه وبشره بأنه أصبح جَداً وأن ابنته رزقت بغلام. وبعد شهور ذهبت العائلة لزيارة ابنتهم فلما أقبلوا

على خيمتها فإذا بامرأة حامل وبجانبها طفل صغير فاقتربوا فإذا هي ابنتهم فرحبت وحيّت وصاحت بزوجها وجاء وأكرمهم.

فتأملوا حال هذه الفتاة وكيف صار زواجها من هذا الأعرابي خيراً لها من بريطانيا. مع التنبيه إلى أن تزويج البنت بغير رضاها لا يجوز.. لكني أوردت القصة مستشهداً بها على عاقبة الترفه والفراغ.

ذم العشق :

------

[*]قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى :

اختلف الناس في العشق هل هو ممدوح أو مذموم .

فقال قوم هو ممدوح لأنه لا يكون إلا من لطافة الطبع ولا يقع عند جامد الطبع حبيسه ومن لم يجد منه شيئا فذلك من غلظ طبعه .

فهو يجلو العقول ويصفي الأذهان ما لم يفرط .

فإذا أفرط عاد سما قاتلا .

وقال آخرون بل هو مذموم لأنه يستأمر العاشق ويجعله في مقام المستعبد .

قلت : وفصل الحكم في هذا الفصل أن نقول أما المحبة والود والميل إلى الأشياء المستحسنة والملائمة فلا يذم ولا يعدم ذلك إلا الحبيس من الأشخاص .

فأما العشق الذي يزيد على حد الميل والمحبة فيملك العقل ويصرف صاحبه على غير مقتضى الحكمة فذلك مذموم ويتحاشى من مثله الحكماء .

أما القسم الأول فقد وقع فيه خلق كثير من الأكابر ولم يكن عيبا في حقهم .

قال الشعبي : إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ... فأنت وعير بالفلاة سواء .

وأما القسم الثاني من العشق : فمذموم لا شك فيه وبيان ذمه أن الشيء إنما يعرف ممدوحا أو مذموما بتأمل ذاته وفوائده وعواقبه وذات العشق لهج بصورة وهذا ليس فيه فضيلة فيمدح ولا فائدة في العشق للنفس الناطقة وإنما هو أثر غلبة النفس الشهوانية لأنها لما قويت أحبت ما يليق بها ألا ترى أن الصبيان يحبون التماثيل واللعب أكثر من محبتهم للناس لضعف نفوسهم وكونها مماثلة للصور لخلوها عن رياضة

فإذا ارتاضت نفوسهم ارتفعت هممهم إلى ما هو أعلى وهو حب الصور الناطقة فإذا ارتاضت نفوسهم بالعلوم والمعارف ارتفعت عن حب الذوات ذوات اللحم والدم إلى ما هو أشرف منها .

وأتم أحوال النفس الشهوانية وجودها مع شهواتها من غير منغص وأتم أحوال النفس الحيوانية وجود غرضها من القهر والرياسة وأتم أحوال النفس الناطقة وجودها مدركة لحقائق الأشياء بالعلم والمعرفة ويتمكن الأنس فيصير بالإدمان شغفا وما عشق قط إلا فارغ فهو من علل البطالين وأمراض الفارغين من النظر في دلائل العبر وطلب الحقائق المستدل بها على عظم الخالق ولهذا قل ما تراه إلا في الرعن البطرى وأرباب الخلاعة النوكى «وما عشق حكيم قط »لأن قلوب الحكماء أشد تمنعا عن أن تقفها صورة من صور الكون مع شدة تطلبها فهي أبدا تلحظ وتخطف ولا تقف وَقَلَ أن يحصل عشق من لمحة وَقَلَ أن يضيف حكيم إلى لمحة نظرة فإنه مار في طلب المعاني ومن كان طالبا لمعرفة الله لا تقفه صورة عن الطلب لأنها تحجبه عن المصور، وحوشيت قلوب الحكماء الطالبين فضلا عن الواصلين العارفين من أن تحبسهم الصور أو تفتنهم الأشكال عن الترقي في معارج مقاصدهم أو تحطهم عن مراكزهم إلى محل الأثقال الراسية بل هم أبدا في الترقي هاتكون للحجب والأستار بقوة النظر .

العشاق قد جاوزوا حد البهائم في عدم ملكة النفس في الانقياد إلى الشهوات :

[*]قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى :

واعلم أن العشاق قد جاوزوا حد البهائم في عدم ملكة النفس في الانقياد إلى الشهوات لأنهم لم يرضوا أن يصيبوا شهوة الوطء وهي أقبح الشهوات عند النفس الناطقة من أي موضع كان حتى أرادوها من شخص بعينه فضموا شهوة إلى شهوة وذلوا للهوى ذلا على ذل ، والبهيمة إنما تقصد دفع الأذى عنها فحسب وهؤلاء استخدموا عقولهم في تدبير نيل شهواتهم .

و العشق مسلك خطر، وموطىء زلق، غوائله لا تؤمن، وضحاياه لا تحصى، وأضراره لا يحاط بها.

وأهل العشق من أشقى الناس، وأذلِّهم، وأشغلهم، وأبعدهم عن ربهم.

[*]⮜قال ابن تيمية رحمه الله تعالى :فإن الذي يورثه العشق من نقص العقل والعلم، وفساد الدين والخلق، والاشتغال عن مصالح الدين والدنيا أضعاف ما يتضمنه من جنس المحمود.

وأصدقُ شاهدٍ على ذلك ما يعرف من أحوال الأمم، وسماع أخبار الناس في ذلك؛ فهو يغني عن معاينة ذلك وتجربته، ومن جرب ذلك أو عاينه اعتبر بما فيه كفاية؛ فلم يوجد قط عشق إلا وضرره أعظم من منفعته (٣٨).

وقال أيضاً : وهؤلاء عشاق الصور من أعظم الناس عذاباً، وأقلهم ثواباً؛ فإن العاشق لصورة إذا بقي قلبه متعلقاً بها مستعبداً لها اجتمع له من أنواع الشر والفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد، ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى؛ فدوام تعلق القلب بها أشد ضرراً عليه ممن يفعل ذنباً ثم يتوب، ويزول أثره من قلبه.

وهؤلاء يُشَبَّهون بالسكارى والمجانين كما قيل:

سُكْرَان: سكر هوى وسكر		ومتى إفاقةُ من به سكرانِ

وقيل:

قالو: جننت بمن تهوى فقلت		العشق أعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهرَ صاحبُه		وإنما يُصْرَعُ المجنونُ في

وقال أيضاً متحدثاً عن حقيقة العشق : قيل: العشق هو فساد الإدراك، والتخيل والمعرفة؛ فإن العاشق يخيل له المعشوق على خلاف ما هو به، حتى يصيبه ما يصيبه من داء العشق

.

ولو أدركه على الوجه الصحيح لم يبلغ إلى حد العشق وإن حصل له محبة وعلاقة (٤٠).

وقال أيضاً :وقيل: إن العشق هو الإفراط في الحب حتى يزيد على القصد الواجب؛ فإذا أفرط فيه كان مذموماً فاسداً مفسداً للقلب والجسم (٤١).

ولقد تظاهرت أقوال أهل العلم، والشعراء، والأدباء، ومن وقعوا في العشق في بيان

---

(٣٨) الاستقامة ١/ ٤٥٩.

(٣٩) العبودية ص٩٧_٩٨.

(٤٠) جامع الرسائل ٢/ ٢٤٣_٢٤٤.

(٤١) جامع الرسائل ٢/ ٢٤٢.

خطورته، وعظيم ضرره.

قالوا: وإذا اقتحم العبد بحر العشق، ولعبت به أمواجه فهو إلى الهلاك أدنى منه إلى السلامة (٤٢).

[*]وقال بعض الحكماء: الجنون فنون، والعشق من فنونه (٤٣).

وقالوا: وكم من عاشق أتلف في معشوقه ماله، وعرضه، ونفسه، وضيع أهله ومصالح دينه ودنياه (٤٤).

وقالوا: والعشق هو الداء الدوي الذي تذوب معه الأرواح، ولا يقع معه الارتياح، بل هو بحر من ركبه غرق؛ فإنه لا ساحل له، ولا نجاة منه (٤٥).

قال أحدهم:

العشق مشغلة عن كل صالحة		وسكرة العشق تنفي لذة

وقال أبو تمام:

أما الهوى فهو العذاب فإن		فيه النوى فأليم كل عذاب(٤٧)

وقال ابن أبي حصينة مبيناً ضرر العشق، غابطاً من لم يقع في أشراكه:

والعشق يجتذب النفوس إلى		بالطبع واحسدي لمن لم

وقال عبدالمحسن الصوري:

ما الحب إلا مسلكٌ خَطِرٌ		عسر النجاة وموطىء زلق(٤٩)

قالوا: والعشق يترك الملك مملوكاً، والسلطان عبداً (٥٠).

قالوا: ورأينا الداخل فيه يتمنى منه الخلاص، ولات حين مناص، قال الخرائطي: أنشدني أبو جعفر العبدي:

---

(٤٢) روضة المحبين ص ١٩٦.
(٤٣) روضة المحبين ص ١٩٧.
(٤٤) روضة المحبين ص ١٩٧.
(٤٥) روضة المحبين ص ١٩٧_١٩٨.
(٤٦) روضة المحبين ص ١٩٨.
(٤٧) روضة المحبين ص ١٩٨.
(٤٨) روضة المحبين ص ١٩٩.
(٤٩) روضة المحبين ص ١٩٩.
(٥٠) روضة المحبين ص ١٩٩.

إنِ الله نجاني من الحب لم أعد		إليه ولم أقبل مقالة عاذلي
ومن لي بمنجاة من الحب بعد		رمتني دواعي الحب بين

وقال منصور النمري:

وإنَّ امرءاً أودى الغرامُ بُلُبِّه		لعريان من ثوب الفلاح

[*]⮘وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه إغاثة اللهفان :

ومن مكايده ومصايده: ما فتن به عشاق الصور:

وتلك لعمر الله الفتنة الكبرى والبلية العظمى التي استعبدت النفوس لغير خلاقها. وملكت القلوب لمن يسومها الهوان من عشاقها، وألقت الحرب بين العشق والتوحيد، ودعت إلى موالاة كل شيطان مريد. فصيرت القلب للهوى أسيرا وجعلته عليه حاكما وأميرا.فأوسعت القلوب محنة. وملأتها فتنة، وحالت بينها وبين رشدها. وصرفتها عن طريق قصدها.

ونادت عليها في سوق الرقيق فباعتها بأبخس الأثمان، وأعاضتها بأخس الحظوظ وأدنى المطالب عن العالي من غرف الجنان، فضلا عما هو فوق ذلك من القرب من الرحمن، فسكنت إلى ذلك المحبوب الخسيس، الذي ألمهُا به أضعاف لذتها، ونَيْله والوصول إليه أكبر أسباب مضرتها، فما أوشكه حبيباً يستحيل عدواً عن قريب. ويتبرأ منه محبه لو أمكنه حتى كأنه لم يكن له بحبيب. وإن تمتع به في هذه الدار فسوف يجد به أعظم الألم بعد حين. لاسيما إذا صار الأخِلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوا إلا المتقين.

فيا حسرة المحب الذي باع نفسه لغير الحبيب الأول بثمن بخس، وشهوة عاجلة، ذهبت لذتها وبقيت تبعتها وانقضت منفعتها، وبقيت مضرتها، فذهبت الشهوة، وبقيت الشّقوة، وزالت النشوة، وبقيت الحسرة، فوا رحمتاه لِصَبٍّ جمع له بين الحسرتين، حسرة فوت المحبوب الأعلى والنعيم المقيم، وحسرة ما يقاسيه من النصب في العذاب الأليم. فهناك يعلم المخدوع أي بضاعة أضاع، وأن من كان مالك رقه وقلبه لم يكن يصلح أن يكون له من جملة الخدم والأتباع، فأي مصيبة أعظم من مصيبة ملك أنزل عن سرير ملكه، وجعل

---

(٥١) روضة المحبين ص ٢٠١.

(٥٢) بهجة المجالس لابن عبد البر ٣/ ٨١٦.

لمن لا يصلح أن يكون مملوكه أسيرا، وجعل تحت أوامره ونواهيه مقهورا. فلو رأيت قلبه وهو في يد محبوبه لرأيته:كعُصْفُورَةٍ في يد طِفْلٍ يَسُومُهَا حِيَاضَ الرَّدَى، وَالطِّفْلُ يلْهُو ويَلْعَبُ ، ولو شاهدت حاله وعيشه لقلت: وَمَا في الأَرْضِ أشْقَى مِنْ مُحِبٍ وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلْوَ المَذَاقِ ، تَرَاهُ بَاكِياً في كُلِّ حِينٍ مَخَافَةَ فُرْقَةٍ، أَوْ لاشْتِيَاقِ فَيَبْكِي إِنْ نَأَوْا، شَوْقاً إِلَيْهِمْ وَيَبْكِي إِنْ دنَوْا، حَذَرَ الْفِرَاقِ ولو شاهدت نومه وراحته، لعلمت أن المحبة والمنام تعاهدا وتحالفا أن ليسا يلتقيان ولو شاهدت فيض مدامعه، ولهيب النار في أحشائه لقلت:سُبْحَانَ رَبِّ الْعَرْشِ، مُتْقِنِ صُنْعِهِ وَمُؤَلِّفِ الأَضْدَادِ دُونَ تَعَانُدِ قَطْرٌ تَوَلَّدَ عَنْ لَهِيبٍ في الْحَشَا مَاءٌ وَنَارٌ في مَحَلٍّ واحِدِ ولو شاهدت مسلك الحب في القلب وتغلغله فيه، لعلمت: أن الحب ألطف مسلكا فيه من الأرواح في أبدانها.

فهل يليق بالعاقل أن يبيع هذا الملك المطاع لمن يسومه سوء العذاب، ويوقع بينه وبين وليه ومولاه الحق الذي لا غناء له عنه ولا بد له منه أعظم الحجاب؟ فالمحب بمن أحبه قتيل. وهو له عبد خاضع ذليل. إن دعاه لباه. وإن قيل له: ما تتمنى؟ فهو غاية ما يتمناه، لا يأنس بغيره ولا يسكن إلى سواه، فحقيقٌ به أن لا يملك رقه إلا لأجلِّ حبيب. وأن لا يبيع نصيبه منه بأخس نصيب.أهـ

➢وقال ابن مفلح رحمه الله تعالى في الآداب الشرعية :

لَا يُبْتَلَى بِالْعِشْقِ غَالِبًا إلَّا مَنْ غَفَلَ قَلْبُهُ عَنْ اللَّهِ وَعَنْ ذِكْرِهِ وَعَنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ يُوسُفَ { كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ }[يوسف : ٢٤] يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْإِخْلَاصَ سَبَبٌ لِدَفْعِ السُّوءِ ، وَالْفَحْشَاءِ فَالْقَلْبُ إذَا امْتَلَأَ مِنْ ذَلِكَ اسْتَحْلَاهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَتَغَذَّى بِهِ وَاسْتَغْنَى بِهِ عَمَّا سِوَاهُ .

إذا تبين هذا فالحي العالم الناصح لنفسه لا يؤثر محبة ما يضره ويشقى به ويتألم به، ولا يقع ذلك إلا من «فساد تصوره ومعرفته»، أو من «فساد قصده وإرادته».

فالأول: جهل، والثاني ظلم: والإنسان خلق في الأصل ظلوماً جهولا، ولا ينفك عن الجهل والظلم إلا بأن يعلمه الله ما ينفعه، ويلهمه رشده، فمن أراد به الخير علمه ما ينفعه، فخرج به عن الجهل، ونفعه بما علمه، فخرج به عن الظلم، ومتى لم يرد به خيرا

أبقاه على أصل الخلقة، وتأمل في الحديث الآتي بعين البصيرة وأمْعِنِ النظر فيه واجعل له من سمعك مسمعا وفي قلبك موقِعاً عسى الله أن ينفعك بما فيه من غرر الفوائد ، ودرر الفرائد .

(حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه الثابت في السلسلة الصحيحة) أن النبي ﷺ قال :"إنَّ اللهَ خَلَقَ خَلْقَهُ في ظُلْمَةٍ، ثُمَّ ألْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فمَنْ أصَابَهُ ذلِكَ النُّورُ اُهْتَدَى، وَمَنْ أخْطأَهُ ضَلَّ".

فالنفس تهوى ما يضرها ولا ينفعها، لجهلها بمضرته لها تارة، ولفساد قصدها تارة، ولمجموعهما تارة، وقد ذم الله تعالى في كتابه من أجاب داعي الجهل والظلم، فقال: {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهَمْ وَمَنْ أَضَلُّ مَّمِن اتبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّالمِين} [القصص: ٥٠] وقال {إِنْ يَتَّبِعُونَ إلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى} [النجم: ٢٣].

فأصل كل خير: هو العلم والعدل .

وأصل كل شر: هو الجهل والظلم.

وقد جعل الله سبحانه للعدل المأمور به حدا، فمن تجاوزه كان ظالما معتديا، وله من الذم والعقوبة بحسب ظلمه وعدوانه، الذي خرج به عن العدل، ولهذا قال سبحانه وتعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ} [الأعراف: ٣١].

قال فيمن ابتغى سوى زوجته أو ملك يمينه:

{فَمَن اُبْتَغَى وَرَاءَ ذلِكَ فَأُولِئكَ هُمُ الْعَادُونَ} [المؤمنون: ٧] وقال {وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ} [البقرة: ١٩٠].

والمقصود: أن محبة الظلم والعدوان سببها «فساد العلم أو فساد القصد»، أو فسادهما جميعا.

إذا تبين هذا، «فالعبد أحوج شيء إلى معرفة ما يضره ليجتنبه، وما ينفعه ليحرص عليه ويفعله»، فيحب النافع: ويبغض الضار، فتكون محبته وكراهته موافقتين لمحبة الله تعالى وكراهته، وهذا من لوازم العبودية والمحبة، ومتى خرج عن ذلك أحب ما يسخطه ربه وكره ما يحبه، فنقصت عبوديته بحسب ذلك.

فمن المحبة النافعة: محبة الزوجة وما ملكت يمين الرجل، فإنها معينة على ما شرع الله سبحانه له من النكاح وملك اليمين، من إعفاف الرجل نفسه وأهله، فلا تطمح نفسه إلى سواها من الحرام، ويعفها، فلا تطمح نفسها إلى غيره، وكلما كانت المحبة بين الزوجين أتم وأقوى كان هذا المقصود أتم وأكمل، قال تعالى: {هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} [الأعراف: ١٨٩]، وقال: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} [الروم: ٢١].

وتأمل في الحديث الآتي بعين البصيرة وأمْعِنِ النظر فيه واجعل له من سمعك مسمعا وفي قلبك موقِعاً عسى الله أن ينفعك بما فيه من غرر الفوائد ، ودرر الفرائد .

(حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: (عائشة). فقلت: من الرجال؟ فقال: (أبوها). قلت: ثم من؟ قال: (عمر بن الخطاب). فعد رجالا.

ولهذا كان مسروق رحمه الله يقول، إذا حدث عنها: "حدثتني الصديقة بنت الصديق، حبيبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، المبرَّأة من فوق سبع سماوات".

(حديث أنس رضي الله عنه الثابت في صحيح النسائي) أن النبي ﷺ قال : حبب إلي النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة .

فلا عيب على الرجل في محبته لأهله، وعشقه لها، إلا إذا شغله ذلك عن محبة ما هو أنفع له، من محبة الله ورسوله، وزاحم حبه وحب رسوله، فإن كل محبة زاحمت محبة الله ورسوله، بحيث تضعفها وتنقصها فهي مذمومة. وإن أعانت على محبة الله ورسوله وكانت من أسباب قوتها فهي محمودة، ولذلك كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يحب الشراب البارد الحلو، ويحب الحلواء والعسل، ويحب الخيل، وكان أحب الثياب إليه القميص، وكان يحب الدباء، فهذه المحبة لا تزاحم محبة الله، بل قد تجمع الهم والقلب على التفرغ لمحبة الله، فهذه محبة طبيعية تتبع نية صاحبها وقصده بفعل ما يحبه. فإن نوى به القوة على أمر الله تعالى وطاعته كانت قربة، وإن فعل ذلك بحكم الطبع والميل المجرد لم يُثَبْ ولم يعاقب. وإن فاته درجة من فعله متقربا به إلى الله.

[*]فالمحبة النافعة ثلاثة أنواع:

➢محبة الله :

➢ومحبة في الله :

➢ومحبة ما يعين على طاعة الله تعالى واجتناب معصيته.

[*]➢والمحبة الضارة ثلاثة أنواع:

➢المحبة مع الله :

➢ومحبة ما يبغضه الله تعالى :

➢ومحبة ما تقطع محبته عن محبة الله تعالى أو تنقصها.

فهذه ستة أنواع، عليها مدار محاب الخلق :

فمحبة الله عز وجل أصل المحاب المحمودة، وأصل الإيمان والتوحيد، والنوعان الآخران تبع لها.

والمحبة مع الله أصل الشرك والمحاب المذمومة، والنوعان الآخران تبع لها. ومحبة الصور المحرمة وعشقها من موجبات الشرك ، وكلما كان العبد أقرب إلى الشرك وأبعد من الإخلاص كانت محبته بعشق الصور أشد، وكلما كان أكثر إخلاصا وأشد توحيدا، كان أبعد من عشق الصور، «ولهذا أصاب امرأة العزيز ما أصابها من العشق، لشركها. ونجا منه يوسف الصديق عليه السلام بإخلاصه»، قال تعالى: {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف: ٢٤].

فالسوء: العشق، والفحشاء: الزنا. فالمخلص قد خلص حبه لله، فخلصه الله من فتنة عشق الصور. والمشرك قلبه متعلق بغير الله، لم يخلص توحيده وحبه لله عز وجل.

وقال في موضع آخر: وهذا داء أعيا الأطباء دواؤه، وعزَّ عليهم شفاؤه، وهو ــ لعمر الله ــ الداء العضال، والسم القتال الذي ما علق بقلب إلا وعز على الورى استنقاذه من إساره، ولا اشتعلت ناره إلا وصعب على الخلق تخليصها من ناره.

وهو أقسام؛ تارة يكون كفراً، كمن اتخذ معشوقه نداً يحبه كما يحب الله؛ فكيف إذا كانت محبته أعظم من محبة الله في قلبه؟ فهذا عشق لا يغفر لصاحبه؛ فإنه من أعظم الشرك، والله لا يغفر أن يشرك به، وإنما يغفر بالتوبة الماحية ما دون ذلك.

وعلامة العشق الشركي الكفري أن يقدم رضا معشوقه على رضى ربه، وإذا تعارض عنده

حقُّ معشوقه وحظُّه، وحق ربه وطاعته قدَّم حق معشوقه على حق ربه، وآثر رضاه على رضاه، وبذل لمعشوقه أنفس ما يقدر عليه، وبذل لربه_ إن بذل _ أردأ ما عنده، واستفرغ وسعه في مرضاة معشوقه وطاعته والتقرب إليه، وجعل لربه_ إن أطاعه_ الفَضْلَةَ التي تَفْضُلُ عن معشوقه من ساعاته؛ فتأمل حال أكثر عشاق الصور تجدها مطابقة لذلك، ثم ضع حالهم في كفة، وتوحيدهم وإيمانهم في كفة، ثم زن وزناً يرضي الله ورسوله ويطابق العدل (٥٣).

وقال أيضاً متحدثاً عن أضرار العشق: قالوا: وكم أكبَّت فتنة العشق رؤوساً على مناخرها في الجحيم، وأسلمتهم إلى مقاساة العذاب الأليم، وجرعتهم بين أطباق النار كؤوس الحميم، وكم أخرجت من شاء الله من العلم والدين كخروج الشعرة من العجين، وكم أزالت من نعمة، وأحلَّت من نقمة، وكم أنزلت من معْقل عزِّهِ عزيزاً فإذا هو في الأذلين، ووضعت من شريف رفيع القدر والمنصب فإذا هو في أسفل سافلين، وكم كشفت من عورة، وأحدثت من روعة، وأعقبت من ألم، وأحلت من ندم، وكم أضرمت من نار حسرات أحرقت فيها الأكباد، وأذهبت قدراً كان للعبد عند الله وفي قلوب العباد، وكم جلبت من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء؛ فقلَّ أن يفارقها زوال نعمة، أو فجاءة نقمة، أو تحويل عافية، أو طُروق بلية، أو حدوث رزية؛ فلو سألت النِّعَم ما الذي أزالك؟ والنِّقم ما الذي أدالك؟ والهمومَ والأحزان ما الذي جلبك؟ والعافية ما الذي أبعدك وجنَّبك؟ والستر ما الذي كشفك؟ والوجه ما الذي أذهب نورك وكسفك؟ والحياة ما الذي كدَّرك؟ وشمس الإيمان ما الذي كوَّرك؟ وعزة النفس ما الذي أذلَّك؟ وبالهوان بعد الأكرام بدَّلك _ لأجابتك بلسان الحال اعتباراً إن لم تجب بالمقال حواراً.

هذه والله بعض جنايات العشق على أصحابه لو كانوا يعقلون، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون (٥٤).

ومن الأضرار الناجمة عن العشق الظلم؛ فإن الظلم في هذا الباب من أعظم أنواع الظلم، وربما كان أعظم ضرراً على المعشوق وأهله من ظلمه في ماله؛ فإنه يعرض المعشوق بهتكه في عشقه إلى وقوع الناس فيه، وانقسامهم إلى مصدق ومكذب، وأكثر الناس يصدق

---

(٥٣) الجواب الكافي ص ٤٩٠_٤٩١.

(٥٤) روضة المحبين ص ٢٠٢.

في هذا الباب بأدنى شبهة، وإذا قيل: فلان فعل بفلان أو فلانة كذَّبه واحد، وصدقه تسعمائة وتسعة وتسعون [٥٥].

ومن أنواع الظلم في هذا الباب أيضاً : أن في إظهار المبتلى عشقَ من لا يحل له الاتصال به من ظلمه وأذاه ما هو عدوان عليه وعلى أهله، وتعريض لتصديق كثير من الناس ظنونهم فيه.

فإن استعان عليه بمن يستميله إليه إما برغبة أو رهبة تعدى الظلم، وانتشر، وصار ذلك الواسطة ديوثاً ظالماً، وكفى بالدياثة إثماً، فيتساعد العاشق والديوث على ظلم المعشوق ، وظلم غيره ممن يتوقف حصول غرضه على ظلمه في نفس، أو مال، أو عرض؛ فكثيراً ما يتوقف المطلوب فيه على قتل نفس تكون حياتها مانعة من غرضه، وكم من قتيل أُهْدِرَ دمه بهذا السبب من زوج، وسيد، وقريب، وكم أُفْسِدَت امرأة على بعلها؛ فإذا كان للمعشوق زوج تضاعف الأذى وازداد؛ فظلم الزوج بإفساد حبيبه، والجناية على فراشه أعظم من ظلمه بأخذ ماله كله؛ ولهذا يؤذيه ذلك أعظم مما يؤذيه أخذ ماله، ولا يعدل ذلك عنده حتى سفك دمه.

فإن كان ذلك حقاً لغازٍ في سبيل الله وُقِفَ له الجاني الفاعل يوم القيامة، وقيل له: خذ من حسناته .

كما أخبر بذلك رسول الله"ثم قال رسول الله": =فما ظنكم؟ .

(حديث بريدة الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : حُرْمَة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم و ما من رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وُقِفَ له يوم القيامة يأخذُ من عمله ما شاء فما ظنكم ؟

أي فما تظنون يبقي له من حسناته؟

فإن انضاف إلى ذلك أن يكون المظلوم جاراً، أو ذا رحم مُحرَّم_تعدد الظلم، فصار ظلماً مؤكداً لقطيعة الرحم، وأذى الجار.

فإن استعان العاشق على وصال معشوقه بشياطين من الجن إما بسحر، أو استخدام، أو نحو ذلك ضَمَّ إلى الشرك والظلم كفر السحر.

---

(٥٥) الجواب الكافي ص ٥٠٠.

فإن لم يفعله هو، ورضي به كان راضياً بالكفر، غير كاره لحصول مقصوده به، وهذا ليس ببعيد عن الكفر.

والمقصود أن التعاون في هذا الباب تعاون على الإثم والعدوان.

وفي العشق من ظلم كل واحد من العاشق والمعشوق لصاحبه بمعاونته على الفاحشة، وظلمه لنفسه ما فيه، وكل منهما ظالم لنفسه وصاحبه، وظلمهما متعد إلى غيرهما كما تقدم.

ثم إن المعشوق قد يُعَرِّض العاشق للتلف؛ حيث يطمعه في نفسه، ويتزين له، ويستميله بكل طريق؛ حتى يستخرج منه ماله، ونفعه.

والعاشق ربما قتل معشوقه؛ ليشفي نفسه منه، ولا سيما إذا جاد بالوصال لغيره .

فكم للعشق من قتيل من الجانبين، وكم أزال من نعمة، وأفقر من غنى، وأسقط من مرتبة، وشتت من شمل .

وكم أفسد من أهل للرجل وولده؛ فإن المرأة إذا رأت زوجها عاشقاً لغيرها ربما قادها ذلك إلى اتخاذ معشوق لها؛ فيصير الرجل متردداً بين خراب بيته بالطلاق وبين أن يرضى بالدياثة والخنا في أهله(٥٦).

[*]➢يقول ابن حزم رحمه الله تعالى : وكم مصونِ الستر، مسبل القناع، مسدول الغطاء، قد كشف الحبُّ ستره، وأباح حريمه، وأهمل حماه، فصار بعد الصيانة عَلَماً، وبعد السكون مثلاً (٥٧).

فكل هذه الآفات، وأضعاف أضعافها تنشأ من عشق الصور، وتحمل على الكفر الصريح؛ فقد تضمن العشق أنواع الظلم كلها.

➢أضرار العشق :

(١) العشق بَيِّنُ الضرر في الدين والدنيا .

[*]➢قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى :

(٥٦) الجواب الكافي بتصرف ص ٥٠٠_٥٠٦.
(٥٧) طوق الحمامة ص ٣٩.

العشق بَيِّنُ الضرر في الدين والدنيا .

أما في الدين فإن العشق أولا يشغل القلب عن الفكر فيما خلق له من معرفة الإله والخوف منه والقرب إليه ثم بقدر ما ينال من موافقة غرضه المحرم يكون خسران آخرته وتعرضه لعقوبة خالقه فكلما قرب من هواه بعد من مولاه ولا يكاد العشق يقع في الحلال المقدور عليه فإن وقع فيا سرعان زواله قال الحكماء كل مملوك مملول وقال الشاعر .

وزادني شغفا بالحب أن منعت ... وحب شيء إلى الإنسان ما منعا .

فإذا كان المعشوق لا يباح اشتد القلق والطلب له فإن نيل منه غرض فالعذاب الشديد في مقابلته على أن بلوغ الغرض يزيده ألما فتربي مرارة الفراق على لذة الوصال كما قال قائلهم .

كل شيء ربحته في التلاقي ... والتداني خسرته في الفراق وإن منعه خوف الله تعالى عن نيل غرض فالامتناع عذاب شديد فهو معذب في كل حال .

➢ضرر العشق في الدنيا :

---

[*]➢قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى :

وأما ضرر العشق في الدنيا فإنه يورث الهم الدائم والفكر اللازم والوسواس والأرق وقلة المطعم وكثرة السهر ثم يتسلط على الجوارح فتنشأ الصفرة في البدن والرعدة في الأطراف واللجلجة في اللسان والنحول في الجسد فالرأي عاطل والقلب غائب عن تدبير مصلحته والدموع هواطل والحسرات تتابع والزفرت تتوالى والأنفاس لا تمتد والأحشاء تضطرم فإذا غشى على القلب إغشاء تاما أخرجت إلى الجنون وما أقربه حينئذ من التلف هذا وكم يجني من جناية على العرض ووهن الجاه بين الخلق وربما أوقع في عقوبات البدن وإقامة الحد وقد أنشدوا .

وما عاقل في الناس يحمد أمره ... ويذكر إلا وهو في الحب أحمق .

وما من فتى ذاق بؤس معيشة ... من الناس إلا ذاقها حين يعشق .

قال جالينوس : العشق من فعل النفس وهي كامنة في الدماغ والقلب والكبد وفي الدماغ ثلاثة مساكن مسكن للتخيل وهو في مقدم الرأس ومسكن للفكر وهو في وسطه ومسكن

للذكر وهو في مؤخره ولا يسمى عاشقا إلا من إذا فارق معشوقة لم يخل من تخيله فيمتنع عن الطعام والشراب عن باشتغال الكبد ومن النوم باشتغال الدماغ بالتخيل والفكر والـــذكر فتكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت به.

ولقد وصف الحكماء قبح ما فيه العشاق فأبلغوا وكانت تأتي على عقلاء العشـــاق أحيانـــا إفاقة فيصفون قبح ما هم فيه .

[*]أورد الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى عن الجاحظ قال ذكر لي عن بعض حكماء الهند أنه قال إذا ظهر العشق عندنا في رجل أو أمرأة غدونا على أهلـــه بالتعزية قال الجاحظ وبلغني أن عاشقا مات بالهند عشقا فبعث ملك الهند إلـــى المعشـــوق يقتله به .

وقال أبو الفضل الربعي : قال رجل من الهند إذا ظهر العشق عندنا في أحد غدونا عليـــه بالتعزية .

وهاك أشعار قيلت في ذم العشق ذكرها الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى فـــي كتابـــه ذم الهوى :

قال الأصمعي : سئل أعرابي عن الحب فقال وما الحب وما عسى أن يكون هـــل هـــو إلا سحر أو جنون ثم أنشأ يقول .

هل الحب إلا زفرة بعد زفـــرة   وحر على الأحشاء ليس له برد
وفيض دموع من جفوني كلما   بدا علم من أرضكم لم يكن يبدو

وقال الصيدلاني :

قالت جننت على رأسي فقلت لها   العشق أعظم ممــــا بالمجانين
العشق ليس يفيق الدهر صاحبه   وإنما يصرع المجنون في الحين

أهـ.

أضرار العشق الدينية :

(١) الوقوع في شرك المحبة التي حرمها الله تعالى :

قال تعالى:

{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ } (البقرة: ١٦٥)

ومن ذلك قول الشاعر

لا تدعني إلا بـــ(يا عبدها)   فإنه أشرف أسمائي

فهذا تصريح منه بالشرك ، وعبادة غير الله ! وهذا هو لسان حال كثير ممن ابتلــوا بهــذا الوهم ،وإن لم يصرحوا به بلسان المقال، بل قد صرح به بعضهم ، فهذا أحدهم يقول فــي مجلة مشهورة :

" ما تعشقت غير حبك ديناًوسوي الله ما عبدت سواك" [٥٨]

☜وأقبح منه قول أحدهم في أغنية مشهورة: " الحب ديني ومــذهبي" نعــوذ بــالله مــن الخذلان ...

ويقول أحدهم:

يا حبيبتي ... يا أحلي اسم نطقه لساني منذ ولاتي ...... يا أجمل ما رأت عيناي منــذ أن أبصرت النور.. ويا أحلي رمز كتبته مع رمز اســمي وســيكون كــذلك للأبــد، شــاءت الظروف([٥٩]) أم لم تشأ.. أقول لكِ: إني أحبك حتى الموت، ولن ينســني إيــاك إلا المــوت وحده مهما حصل! .. فإذا كان لي حياة سأحياها ، فإن هواءها أنت ، وبلســمها وعطرهــا أنت....! وإذا كان لي قلب، فنبضه هو أنت .... ! وإن كان لي بصر ، فعيناي أنتِ .. وإذا كان لي سعادة فسعادتي ابتسامة محياك البريئة !

حبيبتي .. لم ولن أتخيل نفسي وحيداً بدونك كما هي حالك أنت بالتأكيد .. فالحيــاة مــن غيرك أصبحت بلا طعم ولا هواء ... تلاشت فائدتها... وانعدمت أهميتها ... وتساوت مــع الممات... ! ولكن ما عساي أن أفعل وقد كتب لنا قدرنا أن نفترق..." [٦٠]

فهو يحبها حتى الموت ــ كما يقول ــ ولن ينساها أبداً مهما حصل! وهى هواؤه وبلسمه ، بل هي نبض قلبه ، ودمه ، وهي بصر عينيه .. إلى آخر ما ذكر ، وهذا يذكرني بالحــديث القدسي الذي يقول الله تعالى فيه" وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبــه ، فــإذا

---

[٥٨] مجلة (طبيبك) ، عدد أيلول (سبتمبر) ١٩٩٢ ، ص ١٠٥

[٥٩] الظروف ليس لها مشيئة ، فهذه من العبارات الخاطئة ، وهي شائعة بين كثير من الناس والكتاب ، والصواب أن يقال : شاء الله عز وجل

[٦٠] جريدة الجزيرة ، العدد ٩٦٨٢، ص١٠

أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به.." الحديث [٦١] وهذا قد جعل حبيبه بصره الذي يبصر به ، وسمعه الذي يسمع به كما يقول، وصدق الله حين قال: { يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ } ،نعوذ بالله من الخبال الذي يجمع بين سوء الحال وقبح الفعال ، ونعوذ بالله من العصيان و الخذلان واستحواذ الشيطان .

وتقول إحداهن في مجلة مشهورة أيضاً:

" حين أناجيك بليلي في شبة صلاة.. حين لا يكون لي بدونك أمل في نجاة ، حين يجمعنا هوى أصدق من الصلوات!...." [٦٢] إلخ

فنعوذ بالله من هوي هو أصدق من الصلوات ، وما أحلم رب الأرض والسموات.

وتقول أحد الهالكات :

" نداء لك أيها الغائب ....." ألا يكفي هذا الغياب ، فو الله أراك معي دائماً ....

ففي النهار شمسي أنت ... وفي الليل قمري... والله أنت الدنيا وما بعدها....

فخبرني يا زمان بحقّ دنياك ... بحق السماء والنجوم... عن الغائب الذي لم يعد....." [٦٣]

بل أنظر إلى عاقبة هذا الحب الذي كان بين رجل من طرفة وبين رجل آخر

حيث يقول ابن القيم – كما في الداء والدواء:

أن رجلاً تعلق بشخص وأحبه – حتى أنه وقع عليه – فتمنع عنه واشتد نفارة منه فأشتد المرض بهذا البائس المحب حتى لزم الفراش – فراش الموت – فلم تزل الوسائط تمشي بينهما حتى وعد بأن يعوده – أي زوره – فأخبر بذلك هذا البائس بهذا الخبر ففرح ، واشتد فرحه وسروره وانجلي عنه بعض ما كان يجده ، وبينما كان الرجل في الطريق لزيارته رجع، وقال والله لا أدخل مداخل الريب ولا أعرض نفسي لمواقع التهم، فأخبر بذلك البائس المسكين فسقط في يده ورجع إلى أسوأ ما كان، وبدت علامات الموت عليه حتى قال في آخر رمق له

وكان آخر ما قال:

---

(٦١) أخرجه البخاري ، عن أبي هريرة

(٦٢) مجلة اليقظة العدد ص ٤٩

(٦٣) مجلة الرياضة والشباب ، العدد ٦٠٠ ، ص ٦٧

سلام يا راحة العــليل ويرد ذل الدنف النحيل

رضاك أشهي إلى فؤادي من رحمة الخالق الجليل

فقال الراوي: يا فلان اتق الله فقال: قد كان ما كان ، فقال الراوي: فقمت عنه فما جــاوزت باب داره حتى سمعت صيحة الموت ،فنعوذ بالله من سوء العاقبة وشؤم الخاتمة .

◆قال ابن القيم رحمه الله :

ومن المعلوم أنه ليس في العشق المحرم مصلحة دينية ولا دنيوية ، بل مفســدته الدينيــة والدنيوية أضعاف أضعاف ما يقدر فيه من المصلحة وذلك من وجوه:

أحدها: الاشتغال بحب المخلوق وذكره عن حب الرب تعالي وذكره ، فلا يجتمع في القلــب هذا وهذا إلا ويقهر أحدهما الآخر، ويكون السلطان والغلبة له.

الثاني : عذاب قلبه به ، فإن من أحب شيئاً غير الله عُذب به ولابد ، كما قيل

فما في الأرض اشق من محب وإن وجد الهوى حلو المذاق

تراه باكــياً فــي كــل حــين مخــافة فرقة أو الاشــتياق

فيبكي إن نأوا شــوقاً إليــهــم ويبكي إن دنوا حذر الفراق

فتـسـخـن عيـنـه عند الفراق وتسخن عينه عند التلاقي

والعشق، وان استعذبه صاحبه ، فهو من أعظم عذاب القلب.

الثالث: أن قلبه أسير في قبضة غيره يسومه الهوان، لكن لسكرته لا يشعر بمصابه ، فقلبه كعصفورة في كف طفل يسومها حياض الردى، والطفل يلهو ويلعب كما قال بعض هؤلاء

ملكت فؤادي بالقطيعة والجفا وأنت خلي البال تلهو وتلعب

فعيش العاشق عيش الأسير الموثق ، وعيش الخلي عيش المسيب المطلق.

طلــيق برأي العــين وهو أســير عليل علي قطب الهلاك يدور

وميت يري في صورة الحي غادياً وليس له حتى النشــور نشور

أخو غمرات ضــاع فيــهن قلبه فليس له حتى الممات حضور

الرابع: أنه يشتغل به عن مصالح دينه ودنياه، فليس شيء أضيع لمصالح الدين والــدنيا من العشق المحرم .

أما مصالح الدين فإنها «منوطة بلم شعث القلب وإقباله على الله» ، وعشق الصور أعظم شيء تشعيثاً وتشتيتاً له .

وأما مصالح الدنيا فهي تابعة في الحقيقة لمصالح الدين ، فمن انفرطت عليه مصالح دينه وضاعت عليه ، فمصالح دنياه أضيع وأضيع.

الخامس: أن آفات الدنيا والآخرة أسرع إلى العشاق من النار في يابس الحطب:

وسبب ذلك :

أن القلب كلما قرب من العشق وقوي اتصاله به بعد من الله .

فأبعد القلوب من الله قلوب العشاق ، وإذا بعد القلب من الله طرقته الآفات ، وتولاه الشيطان من كل ناحية واستولى عليه ، لم يدع أذى يمكنه إيصاله إليه إلا أوصله .

فما الظن بقلب تمكن منه عدوه ، وأحرص الخلق علي غيه وفساده ، وبعد منه وليه، ومن لا سعادة ولا فلاح ولا سرور إلا بقربه وولايته ؟

السادس:

أنه إذا تمكن من القلب واستحكم وقوي سلطانه، أفسد الذهن وأحدث الوسواس ، وربما ألحق صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم فلا ينتفعون بها.

وأخبار العشاق في ذلك موجودة في مواضعها ، بل بعضها مشاهد بالعيان ، وأشرف ما في الإنسان عقله، وبه يتميز عن سائر الحيوانات ، فإذا عدم عقله التحق بالحيوان البهيم ، بل ربما كان حال الحيوان أصلح من حاله.

وهل أذهب عقل مجنون ليلي وأضرّ به إلا ذلك؟ وربما زاد جنونه على جنون غيره كما قيل:

قالوا جننت بمن تهو فقلت لهم ... العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه ... وإنما يصرع المجنون في الحين

السابع : أنه ربما أفسد الحواس أو بعضها ، إما إفساداً معنوياً أو صورياً.

أما الفساد المعنوي فهو تابع لفساد القلب، فإن القلب إذا فسد فسدت العين والأذن واللسان، فيري القبيح حسناً منه ومن معشوقه

كما في " المسند" مرفوعاً:

" حبك الشيء يعمي ويصم" (٦٤)

كما قيل:

عين الرضا عن كل عين كليلةُ ُ ولكن عين السخط تُبدي المساويا

فهو يعمي عين القلب عن رؤية مساوئ المحبوب وعيوبه فلا تري العين ذلك ، ويصم أذنه عن الإصغاء إلى العدل فيه، فلا تسمع الأذن ذلك.

والرغبات تستر العيوب ، فالرغبة في الشيء تجعله لا يري عيوبه ، حتى إذا زالت رغبته فيه أبصر عيوبه، فشدة الرغبة غشاوة على العين ، تمنعه من رؤية لاشيء على ما هو به كما قيل :

هويتك إذ عيني عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسي ألومها

والداخل في الشيء لا يري عيوبه ، والخارج منه الذي لم يدخل فيه لا يري عيوبه، ولا يري عيوبه إلا من دخل فيه ثم خرج منه .

ولهذا كان الصحابة الذين دخلوا في الإسلام بعد الكفر خيراً من الذين ولدوا في الإسلام.

قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – :

" إنما تنتقض عري الإسلام عروة عروة إذا ولد في الإسلام من لم يعرف الجاهلية. "

وأما فساد الحواس ظاهراً فإنه يمرض البدن وينهكه، وربما أدي إلى تلفه كما هو المعروف من أخبار من قتلهم العشق .

وقد رفع إلى ابن عباس وهو بعرفة شاب قد انتحل حتى عاد جلداً على عظم، فقال: ما شأن هذا ؟ قالوا: به العشق، فجعل ابن عباس يستعيذ بالله من العشق عامة يومه.

الثامن : إن العشق كما تقدم هو الإفراط في المحبة، بحيث يستولي المعشوق على قلب العاشق، حتى لا يخلو من تخيله وذكره والفكر فيه، بحيث لا يغيب عن خاطره وذهنه، فعند ذلك تشتغل النفس عن استخدام القوة الحيوانية والنفسانية، فتتعطل تلك القوة ، فيحدث بتعطيلها من الآفات على البدن والروح ما يعز دواؤه ويتعذر، فتتغير أفعاله وصفاته ومقاصده، ويختل جميع ذلك فتعجز البشر عن صلاحه، كما قيل :

---

(٦٤) وفي سنده مقال (وهو ضعيف لوجود أبو بكر بن أبي مريم)

الحب أول ما يـكون لجـاجـة | يأتي بها وتسوقه الأقدار
حتى إذا خاض الفتي لجج الهوى | جاءت أمور لا تطاق كبار

والعشق مبادئه سهلة حلوة ، وأوسطه هم وشغل قلب وسقم ، وآخره عطب وقتل، إن لـم تتداركه عناية من الله تعالي، كما قيل:

وعش خالياً فالحب أوله عنى | وأوسطه سقم، وآخره قتل

وقال الآخر:

تولع بالعشق حتى عشق | فلما استقل به لم يطق
رأي لجة ظنها موجة | فلما تمكن منها غرق

(٢) قد يكون العشق أعظم إثماً من الزنا بالفرج والعياذ بالله :

---

[*]قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه إغاثة اللهفان :

والزنا بالفرج ـ وإن كان أعظم من الإلمام بالصغيرة، كالنظرة والقبلة واللمس ـ لكن إصرار العاشق على محبة الفعل، وتوابعه، ولوازمه، وتمنيه له، وحديث نفسه به: أنه لا يتركه، واشتغال قلبه بالمعشوق، قد يكون أعظم ضررا من فعل الفاحشة مرة بشيء كثير. فإن الإصرار على الصغيرة قد يساوى إثمه إثم الكبيرة، أو يربى عليها. وأيضاً، فإن تعبد القلب للمعشوق شرك، وفعل الفاحشة معصية، ومفسدة الشرك أعظم من مفسدة المعصية.

وأيضاً، فإنه قد يتخلص من الكبيرة بالتوبة والاستغفار، وأما العشق إذا تمكن من القلب فإنه يعز عليه التخلص منه، كما قال القائل:

تَـالله مَـا أ سَـرَتْ لَوَاحِظُـكِ امْـرَأً إلا وَعَـزّ عَلَـى الـوَرَى اسـتنقَاذُهُ

بل يصير تعبدا لازما للقلب لا ينفك عنه، ومعلوم أن هذا أعظم ضررا وفسادا من فاحشة يرتكبها مع كراهيته لها، وقلبه غير معبد لمن ارتكبها منه.
وقد أخبر الله سبحانه أن سلطان الشيطان إنما هو: {عَلَى الّذِينَ يَتَوَلّوْنَهُ وَالَّـذِينَ هُـمْ بِـهِ مُشْرِكُونَ} [النحل: ١٠٠].

وأن سلطانه إنما هو على من اتبعه من الغاوين، والغي اتباع الهوى والشهوات، كما أن الضلال اتباع الظنون والشبهات.

وأصل الغي من الحب لغير الله، فإنه يضعف الإخلاص به، ويقوى الشرك بقوته، فأصحاب العشق الشيطاني لهم من تولى الشيطان والإشراك به بقدر ذلك، لما فيهم من الإشراك بالله، ولما فاتهم من الإخلاص له، ففيهم نصيب من اتخاذ الأنداد، ولهذا ترى كثيرا منهم عبدا لذلك المعشوق، متيما فيه. يصرخ في حضوره ومغيبه: أنه عبده، فهو أعظم ذكرا له من ربه، وحبه في قلبه أعظم من حب الله فيه، وكفى به شاهدا بذلك على نفسه: {بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَه} [القيامة: ١٤- ١٥].

فلو خير بين رضاه ورضا الله، لاختار رضا معشوقه على رضا ربه، ولقاء معشوقه أحب إليه من لقاء ربه، وتمنيه لقربه أعظم من تمنيه لقرب ربه، وهربه من سخطه عليه أشد من هربه من سخط ربه عليه، يسخط ربه بمرضاة معشوقه، ويقدم مصالح معشوقة وحوائجه على طاعة ربه، فإن فضل من وقته، وكان عنده قليل من الإيمان، صرف تلك الفضلة في طاعة ربه، وإن استغرق الزمان حوائج معشوقه ومصالحه صرف زمانه كله فيها، وأهمل أمر الله تعالى، يجود لمعشوقه بكل نفيسة ونفيس، ويجعل لربه من ماله ــ إن جعل له ــ كل رذيلة وخسيس، فَلِمَعْشُوقِهِ لبه وقلبه، وهمه ووقته، وخالص ماله، وربه على الفضلة، قد اتخذه وراءه ظهريا، وصار لذكره نسيا، إن قام في خدمته في الصلاة فلسانه يناجيه وقلبه يناجي معشوقه، ووجه بدنه إلى القبلة ووجه قلبه إلى المعشوق. ينفر من خدمة ربه حتى كأنه واقف في الصلاة على الجمر من ثقلها عليه، وتكلفه لفعلها، فإذا جاءت خدمة المعشوق أقبل عليها بقلبه وبدنه فرحا بها، ناصحا له فيها، خفيفة على قلبه لا يستثقلها ولا يستطيلها.

ولا ريب أن هؤلاء من الذين اتخذوا من دون الله أندادا، يحبونهم كحب الله، والذين آمنوا أشد حبا لله.

وعشقهم يجمع المحرمات الأربع: من الفواحش الظاهرة، والباطنة، والإثم، والبغي بغير الحق، والشرك بالله ما لم ينزل به سلطانا، والقول على الله ما لا يعلمون، فإن هذا من لوازم الشرك، فكل مشرك يقول على الله ما لا يعلم. فكثيرا ما يوجد في هذا العشق من الشرك الأكبر الأصغر، ومن قتل النفوس، تغايرا على المعشوق، وأخذ أموال الناس بالباطل ليصرفها في رضا المعشوق، ومن الفاحشة والكذب والظلم مالا خفاء به.

وأصل ذلك كله من خلو القلب من محبة الله تعالى، والإخلاص له، والتشريك بينه وبين غيره في المحبة، ومن محبة ما يحب لغير الله، فيقوم ذلك بالقلب، ويعمل بموجبه بالجوارح، وهذا هو حقيقة اتباع الهوى. وفى الأثر. "مَا تحْتَ أديمِ السَّماءِ إلهٌ يُعْبَدُ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ هَوًى مُتَّبَعٌ".

وقال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ} [الجاثية: ٢٣].

(٣) ومن الأضرار الدينية – التشبه بالكفار وتقليدهم ومحاكاتهم :

وتأمل في الأحاديث الآتية بعين البصيرة وأمْعِنِ النظر فيها واجعل لها من سمعك مسمعا وفي قلبك موقِعاً عسى الله أن ينفعك بما فيها من غرر الفوائد ، ودرر الفرائد .

◆(حديث ابن عمر الثابت في صحيح أبي داود) أن النبي ﷺ قال : من تشبه بقوم فهو منهم .

وقد عُني الكفار بهذا النوع عناية فائقة كما في المجتمع الغربي المعاصر، حتى اخترعوا له عيداً سموه عيد الحب أو عيد العشاق يحتفلون به كل عام، ويلبسون لباساً خاصاً، ويقدمون فيه الورود الحمراء.. إلخ ، وقد سري ذلك – وللأسف الشديد – إلى بلاد المسلمين لاسيما مع ظهور الفضائيات. وسمعنا أخباراً يندي له الجبين من تشبه بعض المسلمين ــ وبخاصة النساء ــ بأولئك الكفار ، ومشاركتهم في الاحتفال بأي عيد من الأعياد المبتدعة سواء سمي عيداً أم لم يسم مادام أنه يتكرر كل عام. فكيف إذا كان عيداً سخيفاً لا يحتفل به إلا أراذل الناس من البطالين الفارغين. فلنفتخر بديننا، ولنعتز بعقيدتنا، ولا نكن له أذناباً تابعين لغيرنا، ولنكن كما قال الشاعر:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ... فمن يساوي بأنف الناقة الذنبا

(٤) ومن الأضرار الدينية – الوقوع في الفاحشة :

الفاحشة التي حرمها الله تعالى والتي هي من كبائر الذنوب، ومن أسباب سخط علام الغيوب، فكم من فتاه عفيفة شريفة كشف سوأتها، وانتهك عرضها، وفتي عفيف شريف

غرق في أوحال الفاحشة وقذارتها ، باسم الصداقة والحب، والأخبار في ذلك مبكية ومحزنة ، تتفطر منها القلوب ، وتقشعر من هولها الأبدان ، وإن كانت قليلة ـ ولله الحمد ـ إذ أن أي فتاة مسلمة عاقلة تدرك هذا الأمر جيداً ، وتحسب له ألف حساب ولكن حين تستحكم الغفلة ، وتثور العاطفة، يحضر الشيطان وتنسي الفتاة نفسها في غمرة الهوى ، فلا تفيق إلا وهي غارقة في مستنقع الرذيلة .

☜تقول أحدهن كما في جريدة عكاظ ملحق الأمة الإسلامية العدد ٥١ صـ ٣:

" لا أريد أن تكتبوا مأساتي هذه تحت عنوان (دمعة ندم) بل اكتبوها بعنوان (دموع الندم والحسرة) تلك الدموع التي ذرفتها سنين طوال .. إنها دموع كثيرة تجرعت خلالها آلاماً عديدة، وإهانات ونظرات كلها تحتقرني بسبب ما اقترفته في حق نفسي وأهلي .. وقبل هذا وذاك: حق ربي.

إنني فتاة لا تستحق الرحمة أو الشفقة ...لقد أسأت إلى والدتي وأخواتي، وجعلت أعينهم دوماً إلى الأرض، لا يستطيعون رفعها خجلاً من نظرات الآخرين....كل ذلك كان بسببي .. لقد خنت الثقة التي أعطوني إياها... بسبب الهاتف اللعين .

بسبب ذلك الإنسان المجرد من الضمير ، الذي أغراني بكلامه المعسول، فلعب بعواطفي وأحاسيسي حتى أسير معه في الطريق السيئ....

وبالتدريج جعلني أتمادي في علاقتي معه إلى أسوأ منحدر... كل ذلك بسبب الحب الوهمي الذي أعمي عيني عن الحقيقة، وأدي بي في النهاية إلى فقدان أعز ما تفخر به الفتاة، ويفخر به أبواها، عندما يزفانها إلى الشاب الذي يأتي إلى منزلها بالطريق الحلال... لقد أضعت هذا الشرف مع إنسان عديم الشرف، إنسان باع ضميره وإنسانيته بعد أن أخذ مني كل شيء ، فتركني أعاني وأقاسى بعد لحظات قصيرة قضيتها معه... لقد تركني في محنة كبيرة بعد أن أصبحت حاملاً!.... وآنذاك لم يكن أحد يعلم بمصيبتي سوي الله سبحانه... وعندما حاولت البحث عنه كان يتهرب مني ، علي عكس ما كان يفعله معي من قبل أن يأخذ ما يريد ..... لقد مكثت في نار وعذاب طوال أربعة أشهر، ولا يعلم إلا الله ما قاسيته من آلام نفسية بسبب عصياني لربي، واقترافي لهذا الذنب ... ولأن الحمل أثقل نفسيتي وأتعبها... كنت أفكر كيف أقابل أهلي بهذه المصيبة التي تتحرك في أحشائي؟ .... فوالدي

رجل ضعيف ، يشقي ويكد من أجلنا، ولا يكاد الراتب يكفيه.. ووالدتي امرأة عفيفة ، وفرت كل شيء لي من أجل أن أتم دراستي لأصل إلى أعلى المراتب.

لقد خيبت ظنها ، وأسأت إليها إساءة كبيرة لا تغتفر ، لازلت أتجرع مرارتها حتى الآن .. إن قلب ذلك الوحش رق لي أخيراً حيث رد على مكالمتي الهاتفية بعد أن طاردته.. وعندما علم بحملي عرض على مساعدتي في الإجهاض وإسقاط الجنين الذي يتحرك داخل أحشائي .. كدت أجن ... لم يفكر أن يتقدم للزواج مني لإصلاح ما أفسده... بل وضعني أمام خيارين : إما أن يتركني في محنتي أو أسقط هذا الحمل للنجاة من الفضيحة والعار...!

لقد أصبح والدي كالشبح يمشي متهالكاً يكاد يسقط من الإعياء... بينما أصبحت أمي هزيلة ضعيفة ، تهذي باستمرار ، سجنت نفسها بإرادتها داخل المنزل خشية كلام الناس ونظراتهم.."

ثم تختم رسالتها بقولها:

" إنني من هذه الغربة الكئيبة أرسل إليكم بحالي المرير.. إنني أبكي ليلاً ونهاراً ولعل الله يغفر لي خطيئتي يوم الدين،وأطلب منكم الدعاء لي بأن يتوب الله علي ويخفف من آلامي "

﴿تنبيه﴾:ألا فلتحذر كلُ امرأةٍ مسلمة من أن تكلِّم أي رجلٍ بغير إذن زوجها أو وليها إن لم يكن لها زوج ، لأنها بذلك تفتح على نفسها باب الفتنة السحيقة ، وتغلق بابها أمام رياح الفتن المتلاطمة؟!. حتى لا تكون فريسة لأهل المكر والكيد، الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر ، حتى لا يستعصي الداء فلا ينفع دواء وحتى لا تقع في العشق المحرم فإنه داء ٌ عضال ومرض قتَّال أمره خطير وشره مستطير أشر من البرص وأضر من الجرب كالسرطان يأكل الخلايا ، ومثل السوس الذي ينخر عظامهم من الداخل ، وهو مسلك خطر، وموطئ زلق، غوائله لا تؤمن، وضحاياه لا تحصى، وأضراره لا يحاط بها .

➢وما أخبار المُعَاكسَات وما آلتْ إليه من عواقب وخيمة مِنَّا ببعيد ، وسأسوق إليكِ قِصَصٌ تُدْمِي القلوب لما آل إليه حال من استسهلت بفتح باب الفتنة عليها وكَلَّمَت رجلاً بغير إذن زوجها ، فأسوق هذه القصص تذكرةً للعاقلة وتنبيهاً للغافلة وتقويماً للمائلة :

قصة ضحيةٍ سقطت جريحة ، جرحها ينــزف ، ودموعها تــذرف، وقلبهــا منكســر، بسبب ما فقدته من الكرامة ؛ وعلوّ الهامة ؛ فتبدّل ذلك ، فأصبحت ذليلــةً، مطأطئــة الرأس، مسوّدة الوجه؛ هل يعقل أن تكون قد سقطت من غير سبب ولا مقدمات؟!

كلا.. بل إن لسقوطها بداية ، وهي (قصة معاكسة).. ربّما ابتدأت بابتسامة، أو كلمة؛ أو رقم هاتف ، عادت من بعدها (ضحية)؛ فجنت على نفسها وعلى غيرها..

فتأمل ما يلي فإن فيه عبرة لمن اعتبر وفكرةً لمن تفكر وتذكرةً لمن تذكر :

☜قد لا تتصور إحدى النساء وهي تنــزلق في مزالق المعاكسات مع الشباب العابث ما قد يصل إليه أمرها من السوء والخطر الجسيم، حيث تجد نفسها يوماً من الأيام في مأزق عظيم لا مفرّ منه ولا مناص ، ولربما تقع في ورطةٍ لا مخرج لها منها أبــداً لا في الدنيا ولا في الآخرة .

ولو أنها تصوّرت ونظرت إلى هذه الخطوة الجريئة من جميع جوانبهــا لمــا أقــدمت عليها؛ لأن العاقبة الوخيمة ؛ والمصير والمآل الذي تؤول إليه معروف ٠

فإما فضيحة وخزي وعار يلحق بهذه المرأة وأهلها، وقد يصل الحال إلى أن يقــوم أهلها بقتلها ؛ وهذا حدث وليس بدعاً من القول ؛ وإما أن يصرف عنها المعــاكس نظره، لأنه إذا حصل على مطلوبه فإنه ليس بحاجة إلى أن يتزوج امرأة (خائنة) ، خانت أهلها وثقتهم بها٠

ولو حدث وتزوجها فإنه مع ذلك لا يحس بطمأنينة معها، لأنه غالباً ما يعيش خائفاً أن تكرر ذلك الفعل مع غيره ؛ كما قال القائل:

من أطلعوه على ســرٍّ فبــــــاح به		لم يأمنوه على الأســـــرار ما عاشا

ولكن يجب أن تعرف المرأة المعاكسة ؛ أن الأصل فيها أنها مرحلة عبور، ووســيلة لقضاء وقت الفراغ ؛ فلا تطمع بأكثر من هذا!!

ولو تصوّرت نفسها بغير هذه المنــزلة فهي (مخطئة) ؛ وهذا قول الشباب أنفسهم الذين مرّوا بهذه التجربة.

فالشاب يحتقر المرأة ــ دون أن يخبرها بذلك ــ التي تأخذ رقم هاتفه أمام النــاس ، لا يثق بها إطلاقاً، لأنه سيسأل نفسه: لماذا وافقت علــى مبــدأ التعــارف ؟!، إذن

ستوافق مستقبلاً على أن تتعرّف على شاب آخر ؛ وحتى لو حصل وتزوّجا فإنه سيظل يشك في سلوك زوجته ، ويعيد شريط ذكرياته منذ أول لقاء أو اتصال هاتفي .!!

والحقيقة أن هناك أمرا يفعله بعض الشباب المعاكس ، الذين لا يرجون الله واليوم الآخر، وتغفل عنه النساء الساذجات ؛ لأنهن لا يُحطن علماً بما يراد بهن ، ولا يعلمن بما وصل إليه هؤلاء الشباب من المكر والكيد والخديعة.

وهذا الأمر الخطير هو أن بعض الشباب ، وأثناء مكالمة الهاتفية مع (صديقة الغفلة) يقوم بتسجيل شريط كاسيت بما يدور بينهما من الحديث الغرامي والكلام الفاحش ، بل وأحيانا يكون الكلام من أشنع الكلام أقبحه ، وخالياً من الحياء والعفّة، ثم يحتفظ هذا (الوغد) بذلك الشرط معه.

فإذا فكّرت هذه المرأة أن تُنهي علاقتها معه، وأخبرته بذلك، أظهر ذلك الشريط وهددها به !!

وهنا تنقلب حياتها رأساً على عقب، وتصطدم بجدار الحقيقة ، وتصحو من سباتها العميق، ويحيط بها الخوف والحزن من كل جانب ، وتعضّ أصابع الندم على قبيح فعلتها، ولكن حين لا ينفع الندم ، فتعيش صراعاً مريراً، وهي لا تعرف كيف الخلاص ؟ .

فما إن تفكّر بإنهاء علاقتها معه، إلاّ هدّدها بأن يفضح أمرها ويُخْبِرُ زوجها بالشريط، أو أن تبقى صديقة له لتلبّي غرائزه البهيمية !! .

وإذا أرادت التوبة، وترك هذا الطريق الموحش، والرجوع إلى الله، والاستغفار عما كان منها ؛ هددها بالشريط!!.

☜ومن أسوأ ما تقع فيه بعض النساء الجاهلات : أنها إذا تعرّفت على أحد المعاكسين العابثين الواقعين في أعراض المسلمين أعطته صورها أو صورت معها.

وهذه الصور ستظهر عاقبتها عليها بعد حين، حين تجد أن هذا الحقير قد أمسك لها هذه الصور ممسك الذلة ، فما إن تفكر أدنى تفكير بإنهاء علاقتها معه إلاّ هددها بالصور التي يحتفظ بها.

فلو أرادت أن تتوب هددها بتلك الصور ، فتجد أن هذه المرأة تعاني من الصراعات النفسية التي تثور في داخلها، وقد أوقعت نفسها في متاهة ؛ فإنها تجد أن هذا الحقير مترصّد لها يهددها بصوره معها ؛ إمّا أن تستجيب لمطالبه الدنيئة ؛ أو أنه يوصل هذه الصور إلى زوجها ويدمّر حياتها.

ولعل هذا السفيه تطاوعه في هذا المطلب القذر نظير سكوته، وتظن أن هذا هو الحل، فيزداد في غيّه وتهوّره، وما إن أراد منها شيئاً إلا هددها بالصور؛ وتبقى هي ترضخ لتهديده ، خوفاً من أن ينتشر أمرها، وتفتضح أمام الناس؛ على أن الفضيحة واقعة لا محالة، طال الزمان أو قصر،

➢ فصارت تنتقلُ من دمارٍ إلى دمار ، ومن خِزيٍ إلى عار ، ومن عارٍ إلى شَنَار ، وبعد أن كانت في حَرَمِ زوجها جوهرةً مصونة ، ولؤلؤةً مكنونة ، صارت بفُحْشها خائنةً مفتونة ، وسِلْعَةً مَعْفُونة ، وسِيرتها بين الناسِ سِيرَةً ملعونة * وبعد أن كانت في حُرمةِ زوجها في حِصنٍ ومَنَاعة ، صيَّرت نفسها كلأً مباحا ، وسلعةً متاحة * وبعد أن كانت مع زوجها في عزةٍ ووقار ، وسكينةٍ واستقرار ، ونقاءٍ يُشْبِهُ الأبرار ، صيَّرت نفسها في ذِلةٍ وَصغَار ، وتَشَتُتٍ ودمَار ، وخزيٍ وعار ، كأنها مَطْلِيَةٌ بالقار *

➢والحاصلُ أنها لمَّا جَحَدَت ما أنعم الله عليها من النِعَم وتناست ما غمَرها من المِنَنْ ، وألْقَت بنفسها في براثنِ الفتن ، صارت أهونَ على الله تعالى من الجِعْلان (الخُنْفِساء) التي تدفعُ بأنفها النَتَن ، ولا عجَب فقد زهدت في الطهارة وغَرِقت في القذارة ، كحالِ الخُنْفِساء تماماً فإنها لا تجد بُغْيَتها إلا في مواضع القَذرِ والنَتَن ، وما ذلك إلا لِخِسَةِ نفْسِها ودناءةِ طَبْعِها وسواد قلبها ورداءةِ معدنها ، ولو أحبها ربها لعصَمَها وحفَظَها عن سُوء فِعْلِها ، وكان سَمْعَها التي تسمعُ به وبصرَها التي تُبْصِرُ به ، ويدها التي تبطشُ بها ورجلها التي تمشي بها ، ولئن سألته لَيُعْطِيَنَّها ، ولئن اسْتَعاذَته لَيُعِذَنَّها ، لكنه سبحانه أبْغَضَها لسوادِ قلبها فصارت أهونَ على الله تعالى من الجِعْلان (الخُنْفِساء) التي تدفعُ بأنفِها النَتَن * وبعد أن كان زوجُها يفتخرُ بها ، ويتقرَبُ إلى الله بِودِّها ، ويبذلُ نفسَه من أجلها ، عسى الله أن ينفعَه بها ، صار

أشقى الناس بِجُرْمِها ، وأبغضَ الناسِ لها ، وصار يختفي من ذِكْرِها ، ويتبرأ إلى الله من فِعلها ، وتقرَّب إلى الله بطلاقها ، وطهَّر اسمه من دنسِ الاقتران بها ، وكَره الدنيا كلَّها من أجلها ، فَلَيْتَهَا ماتت قبل ذلك ، قبل أن تُورِد نفسَها المهالك ، وتصيرَ مَطْمَعَاً لكلِ هالك .

☜يجب أن تعرف كل امرأة أنها عندما تخرج من منزل أهلها أو منزل زوجها فإنها تحمل معها شرفها وشرف أهلها... فعليها ألاّ تفرط في هذا الكنز الثمين تحت نزوة شيطانية، وأن لا تُقدم على أي عمل يخدش هذه السمعة.

وهذه الحقيقة ليست غائبة عن الكثيرات، فإنه أمرٌ معلومٌ من الدين بالضرورة فلا يحتاج إلى زيادة عِلم ، ويستوي في عِلمِه المتعلمة و الأُميَّة ، والمَدَنيَّة و القرَوِيَّة ، والحَضَرِيَّة و البدويَّة ، فهو أمرٌ جَلَيٌ واضحُ البيان ولا يحتاجُ إلى برهان ولا مزيد عِرفان ، ولكن بعض النساء ممن تنكرن للأدب وانسلخن من الفضيلة تتغافل أو تتجاهل هذه الحقيقة، فما إن تسمع داعي الرذيلة من أهل المعاكسات إلا استجابت لهم، ـ لأن فيها مَيلٌ إلى الحرام والعياذ بالله تعالى ـ كقوله ﷺ في صحيح مسلم (مائلاتٍ مميلات) ولكنها نسيت أمراً مُهماً ، وهو أنه لابد في هذا الطريق من ضحية ، والضحية ستكون (هي)، لأنها ستجد الكلام المعسول الذي سمعته من ذلك المعاكس لم يكن إلا استدراجاً لسذاجتها، وللحصول على مبتغاه منها، فإذا أخذ ما يريده منها ألقاها، وقد تلوثّت سمعتها؛ وهذا ليس بمستغرب، لأن (العِلْكَ) يُمضغ حتى إذا ذهبت حلاوته أُلقِيَ في أقرب صندوق قمامة؛

فإنه كما قيل:

إذا رأيت نيوب الليث بارزة	فلا تظنن أن الليث يبتسم

فإن هذه الابتسامات لا تلبث أن تتحول إلى وحشيّة ، وتلك الكلمات لا تمضي إلا ويحلّ مكانها المواجهة بالحقيقة، التي طالما أخفاها الرجل المحتال عن تلك المرأة ، حتى يبلغ منها مبلغه، ثم يولّي مدبراً عنها ولا يعقِّب.

ولله درُّ القائل :

إن الأفاعي وإن لانت ملامسها	عند التقلب في أنيابها العطبُ

تقول إحدى الضحايا:

(المعاكسة أدخلتني السجن..) :

بعد أن فقدَت كل شيء..؛ وقفت إحدى الضحايا لتقول:

(دخلت السجن بجريمة الزنا، والسبب معاكسة هاتفية رفضتها أولاً، واستجبت لها بعد إلحاح المعاكس ، وذلك أن زوجي يعمل لأوقات طويلة، وأحياناً يقضي الليل في عمله؛ وفي هذه الأوقات بدأ شخص ما بمعاكستي بالهاتف.

كنت في البداية أرفض هذه المعاكسة، وأغلق الهاتف في وجهه، ولكنه كان مصراً على الاتصال ؛ خِفْتُ أن أخبر زوجي ولا يفهمني إذ كان بيننا بعض المشكلات؛ ونظراً لكوني وحيدة وإصرار المعاكس استجبت له، وتطوّرت المعاكسة إلى تعارف، ثم طلب لقائي خارج المنزل، قلت له: لا أستطيع أن أخرج.

ولأن زوجي يعمل أحياناً في الليل، هيّأت له أن يدخل المنزل عندما ينام الجميع.. وتكررت زياراته الليلية حتى شاهده الجيران ؛ فأبلغوا والد زوجي الذي أخبر زوجي بدوره؛ فلم يصدق في البداية.. حتى نصبوا لنا كميناً مع الشرطة التي ضبطته يخرج من المنزل ، وكانت نهايتي السجن.

بالطبع طلّقني زوجي ؛ وفقدت أسرتي وأطفالي ؛ وما كان حصادي إلا الندم ؛ ولا أعرف من ألوم؟!...

نفسي؟ ؛ أم الشخص المعاكس ؟ أم الهاتف؟) ا هـ .

كانت هذه الكلمات اعتراف باحَتْ به إحدى ضحايا المعاكسات، قد تسببّت معاكسة في تحطيم حياتها وضياع أسرتها، وفضيحتها بين الناس، حتى صارت الفضيحة قرينة لاسمها كلما ذكر؛ ولكن هل انتهى الموضوع عند هذا الحد؟!.

كلا، إن الموضوع لم ينته بعد ؛ بل زاد على ذلك وصمة العار التي ستلاحق أبناء هذه المرأة حين يُعَيَّرون بأمّهم التي سجنت بسبب فعلتها النكراء ؛ ولك أن تتصور موقف هؤلاء الأبناء حين تشير إليهم الأصابع ، ويلمزهم الناس بأنهم أبناء فلانة..!.

ولك أن تتصور موقف الأب إذا اسودّ وجهه ، وطأطأ رأسه خجلاً وذِلَّة بسبب فعلة ابنته.

وما هو حال إخوتها إذا ذكرت قصة أختهم في المجالس، وتندّر بها المتكلمون؟.

وما هو حال شقيقاتها وأزواجهن حين تكون هذه المرأة خالة أولادهم؟ ..

وما هو موقف أبناء شقيقاتها إذا قيل : إن فلانة خالتهم، هل سيطيقون ذلك أو سيضيقون بها ذرعاً كلما ذكرت بأنها خالتهم؟.

وهو حال أبنائها وبناتها التي تسبب لهم بعد الذل والوبال الصدمات النفسية التي تـرافقهم طوال حياتهم حتى إنهم لا يستطيعون الثقة بأي أحد فتصبح حياتهم جحيم وهآنذا لأقدم لـك هذه القصة بما فيها من مأساة لتعلم كيف تسببت امرأةٌ خائنة في شِقْوةِ أبنائها وبناتها :

☜وهاك قصةٌ دامية تبكي الصخور :

كان هناك طبيب نفسي يعالج فتاة منذ كان عمرها سبع سنوات، كانت تلك البنت قد ائتمنته على سر لم يعلمه أحد، وهو أنها كانت شديدة التعلق بالأم ، خاصة أنها البنت الوحيدة مع أخوين يكبرانها في العمر.. كانت طوال الوقت بجوار الأم ، وتريدها أن تكون هي أيضًا معها دائمًا.

لكن تلك الفتاة وجدت أن أمها تكون في غياب الأب مع رجل آخر، يتبادلان العناق والقبلات أمامها، ويعاملها كأنها زوجته ، وكانت البنت تعتقد بأنه يضرب أمها التي تحبها وتتعلق بها.

بعد أن أمضت البنت سنوات من عمرها في العلاج النفسي ، ما زالت تعاني حتى الآن بعد أن وصلت أمها إلى عمر الكبر من أنها لا تستطيع أن تبرها ؛ لأنها دائما تحس بأنها السبب فيما حدث لها ، بل إنها تحس بأن أمها دائما كانت خائنة للأمانة التي ائتمنها عليها زوجها.

لم يقف الموضوع إلى هذا الحد، بل إن البنت بدأت تشك في نسبها ، وتريد أن تقوم بعمل تحاليل لمعرفة من هو والدها، إلا أن طبيبها يمنعها من فعل ذلك.

ولم يقف فساد الأم إلى هذا الحد بل طال الأبناء الذكور أيضا، فالولد الكبير تعيش زوجته في جحيم لأنه يشك فيها طوال الوقت ، ولا يستطيع أن يعطيها الأمان لما كان يشاهده أمام عينيه، أما الأخ الأصغر فقرر عدم الزواج نهائيا حتى لا يظلم معه أحدا.

كل ما ذكر – وغيره أيضاً – من الآثار السلبية التي تجنيها المرأة المنحرفة على غيرها، ولذلك فقد حرم الله –تعالى– الزنا ودوافعه، فقال عز من قائل:" ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا " (سورة الإسراء/٣٢) ؛

وشدّد الوعيد كما جاء في الحديث الآتي :

(حديث أبي سَمُرَة بن جُنْدب رضي الله عنه الثابت في صحيح البخاري) أن النبي ﷺ قال : " رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة ..." إلى أن قال: " فانطلقا إلى نقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع ، يتوقّد تحته ناراً، فإذا ارتفعت ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا ، وإذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة..." . حتى ذكر في تمام الحديث: " وأما الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التنور فإنهم الزناة والزواني ٠ وفي رواية أخرى للبخاري ؛ ما يدل على أن ذلك العذاب يُصنع بهم في القبر إلى يوم القيامة.

فهذه بعض نتائج الزنا: اختلاط أنساب ؛ موت فضيلة وحياء ؛ وذَلَّة وانقياد للشهوة ؛ وفي الآخرة عذاب أليم وجحيم لا يُطاق؛ والكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنّى على الله الأماني ، ومن يتحرَّ الخيرَ يُعطَه ومن يتق الشرَ يُوَقَّه مصداقاً لقول النبي ﷺ في الحديث الآتي :

(حديث أبي هريرة في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال إنما العلم بالتعلم و إنما الحلم بالتحلم و من يتحر الخير يعطه و من يتق الشر يوقه .

والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على		حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

☜والمأساة لم تنته بعد.☞

إن من المحزن حقاً تلك الأخبار المؤلمة التي نسمعها من حين لآخر، والتي تتحدث عن الخيانات الزوجية.

ومما أذهلني هذا الخبر الذي نشرته إحدى الصحف ، فجعلني عاجزاً عن تصورّه على الرغم من كثرة المشاكل والفتن التي تعصف بالأمة يميناً وشمالاً٠

ولكن الذي جعلني في هذه الدرجة من الذهول هو قوة الخبر التي تُصوّر الدرجة العالية من الانحراف والقسوة والشذوذ التي وصل إليها البعض..

فقد نشرت أحدى الصُحف : (أن الأجهزة الأمنية المختصة عثرت على طفل رضيع اختطف منذ حوالي عشرة أيام من أحد الأعراس بمنطقة (...) ، وذلك لأن الخاطفة هي صديقة لأم زنت مع صديق لها أسمر اللون، وهي امرأة متزوجة فحملت سفاحا، فلما ولدت فوجئت بأن الصغير أسمر مثل صديقها وليس مثل زوجها، فاتفقت مع صديقتها على استبدال الطفل!!..

وفعلاً بعد نجاح عملية الاختطاف بادرت المرأتان إلى إلقاء الطفل الأسمر في البحر، إلا أنه عثر عليه وما زال حياً..)

إلى هنا انتهى هذا الخبر، ولكن هل انتهت المأساة؟!..

تخيّل لو أن هذا الطفل الذي وُلِدَ كان أبيض اللون مثل زوج المرأة الفاسقة، فما هو الحال إذن؟!..

انظر إلى ما قد تفعله هذه المرأة الفاسدة اللئيمة الخائنة الأثيمة ومثيلاتها.

إن الذي جعلها تلقي بذلك الطفل هو اختلاف لونه عن زوجها، ولو أنه جاء أبيض اللون لسكتت، ولأوهمت ذلك الرجل بأن هذا ابنه.

فتجد الرجل يحمله ويحتضنه ويضمّه إلى صدره ويلاعبه على أنه ابنه؛ وهو ليس كذلك.

وتجده يسارع باستخراج أوراق الولادة له وينسبه إلى نفسه على أنه فلان بن فلان؛ وهو ليس كذلك.

وتخيّل لو أن هذا الطفل كبر في بيت الزوج حتى أصبح رجلاً، وبعدما كبر كان عاقاً له يسيء الأدب معه ؛ويشتمه أو يركله، أو يلقي به في دارٍ للعجزة، فما هو موقف هذه الخائنة؟!.

هل ستخبر الزوج أنه ليس ابنه بعد صمتها الطويل؟!؛ أم ستسكت وهي تراه يسومه سوء العذاب ؟!.

أو ماذا ستفعل لو صار هذا (اللقيط) سببا في شقاء إخوته ؟؟..

ولو قُدِّر أن هذا الرجل توفي وكان من أرباب الأموال؛ فبأي حق يرث هذا الطفل ويزاحم أولاد الرجل الحقيقيين في ميراثهم وكأنه أخ شرعي لهم ؛ وهو ليس له حق في الميراث؟!.

بل قِفْ طويلاً وتخيّل العواقب الوخيمة التي تنتج من جرّاء هذه الفِعلة ؛كل ذلك بسبب ماذا؟!..إن ذلك كله بسبب شهوة ركضت وراءها أولئك النسوة الفاسقات المنحرفات، وأولئك الفاسقون المنحرفون الذين صاروا عبيداً للشهوة ؛ فظنوا أن جريمتهم انتهت حين قضوا شهوتهم، ولكن الجريمة لا تزال مستمرة ؛ حتى صار ضحيتها أطفال في دور الرعاية، صاروا (لقطاء) لا يعرفون أماً ولا أباً؛ أو أطفال عاشوا في البيوت ؛ يظن أحدهم أنه في بيت أبيه، وهو لقيط جاءت به أمه الفاسدة اللئيمة الخائنة الأثيمة من نتاج مغامراتها الطائشة مع بعض الكلاب المسعورة، الذين تتبعوا عورات المسلمين؛ولذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد خاطب أمثال هؤلاء ؛ فقال :

(حديث أبي برزة الثابت في صحيح أبي داوود) أن النبي ﷺ قال : يا معشر من آمن بلسانه و لم يدخل الإيمان قلبه ! لا تغتابوا المسلمين و لا تتبعوا عوراتهم ، فمن اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته .

☜﴿قصة المرأة مع طبيب الأسنان ﴾ :

كانت إنسانة من أسرة محترمة وعريقة، ومتدينة نوعا ما، وكانت طوال عمرها تبحث عن المركز والمنصب، وتسعى لتحقيق أهدافها وطموحاتها إلى أن وصل عمرها أول الثلاثين ولم تتزوج.

وطبعا طلب منها الأهل حفاظا على سمعة العائلة أن تتزوج، وبالفعل اختارت زوجها بعقلها وإرادتها وتزوجا، وأثمر هذا الزواج ولدا وبنتا، ولكن الزوجة ظلت مشغولة بالمنصب والوظيفة، وأهملت نفسها وزوجها.

تقول تلك الزوجة: إنها لم تعطِ زوجها فرصة للجلوس والتحدث معها، أو الخروج معها إلى مكان ما، ولم يتضايق الزوج؛ بل كان يساعدها على النجاح، ويشاركها تربية أبنائها، إلى أن أتى يوم ذهبت الزوجة إلى طبيب الأسنان، والذي تلبسه الشيطان في ذلك الوقت، وبدأ

في مغازلتها مغازلة خفيفة، بعدها قالت: إنها أعجبها الكلام، وإنها بدأت في وضع مساحيق التجميل على وجهها، وارتداء أجمل الملابس عند الذهاب إلى الطبيب؛ حتى يقول لها الكثير من كلام الغزل.

وبالطبع كان يفعل هذا الشيطان كل ما تتوقعه بل أكثر، وبقي الحال هكذا إلى أن فرطت في نفسها، وحدث ما حدث، وليس مرة بل عدة مرات، حتى أحست بأنه من حقها أن تعيش مع من تحب، واختلقت مشكلة مع زوجها الذي كان يعتذر لها عن أي شيء لم يبدر منه؛ فقط من أجل أن تعود إلى المنزل، ويتربى أبناؤهما بينهما، ولم يكن يعلم بالقطع أن زوجته قد وقعت في غرام شخص آخر.

رفضت الزوجة الرجوع للبيت، ونفذت ما أرادت (وهو الطلاق)، وبعد ذلك ذهبت إلى حبيب القلب وطلبت منه أن يتزوجها، وكان رد فعله ـ بعد أن نهرها ـ أن أخبرها أنه متزوج من سيدة محترمة لا تفرط في نفسها ، ولديه منها ثلاثة أبناء .

وقال لها أيضا: "حتى إن لم أكن متزوجا فمن المستحيل أن أتزوج من امرأة مثلك"..

وقتها بدأت تحس هذه الزوجة بأنها فقدت حياتها؛ لأنها تركت أعز وأحن شخص وهو زوجها الذي لم يعلم شيئا عما حدث، بل ما زال يحاول أن يعيدها إلى البيت، ولكنها تقول إنها تحتقر نفسها، ولن تستطيع أن تستمر معه بعد ما فعلت به، إلا أنها ستظل تحترمه طوال عمرها بعدما أحست أنه الحب الحقيقي الوحيد الذي كان في حياتها .

للأسف أحست تلك الزوجة بذلك بعد فوات الأوان ، لهذا بدأت في كتابة قصتها لتكون عبرة أمام كل من تُسَوِّلُ لها نفسها الوقوع في هذه الخطيئة ، لعله يستدرك ما فات قبل الانغماس في الآفات ، قبل أن يتسع الخرق على الراقع ، وقبل أن يستعصي الداء فـلا ينفـعُ دواء ، وقد قيل منذ أمدٍ بعيد : أن السعيد من وُعِظَ بغيره وأن الشقي من وُعِظَ بنفسه .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن : من الذي فتح المجال للمُعَاكِسِ المُحْتَالِ الذي هو أساس الأنذال ومنبع الأرذال ؟ أليست هي المرأةُ اللئيمة الخائنة الأثيمة ؟ إذ لو كانت تقيةً نقية ، عفيفةً حَيِيَّة ، حُرَةً أبيَّة لما استطاع المُعاكِس المُحتال أن يصلَ إليها ولو كان من أفسق عباد الله وأجرئهم على المعاصي ، وأنه لم يطمعُ فيها إلا بعد أن رأى منها اللين ولولا أنها ألانَت الجانب ما اقترب منها أحدٌ من الأجانب ، ولا أظهروا لها المخالب ،

والحاصلُ :أنهم لم يفترسوها إلا لأنها كانتْ ممن (إذا خلوْا بمحارمِ اللهِ انتهكوهــا) ، ولــو كانت غيرَ ذلك ما اقترب منها هالك ، فلما قدَّمت اللين ، فعلوا بها الفعلَ المَشِين ، وخانت زوجَها الأمين ، فخَسِرت الدنيا والدين ، وتَعَرَضت إلى سخط الجبارِ ذِي القـــوةِ المتـــين ، صَبَّ الله عليها أشدَّ العذابِ في كلِ وقتٍ وحين ، وأذاقها ألواناً شَتى من العـــذاب المُهـــين حتى تكون عبرةً للناس أجمعين .

➢ إلى هذه المرأة اللئيمة الخائنة الأثيمة ، هذه المرأة التي تسلقت جدران العفة، وتعرفــت على شاب غريب عنها، ولم تراع عند ذلك حياءً ولا خجلاً قد انسلخت من فطرتها، وخلعت جلباب حيائها وثوب عفتها .

➢أقولُ لها :

[*] هل سَيْطَرت الدناءةُ على نفسِكِ في كلِ حال ، ألم تَتْرُكْ الخِسةُ منكِ شيئاً يُقال ، يا مــن أهدرتِ كرامةَ زوجِكِ من أجل رجلٍ مُحْتَال ، خَوَّانٍ مُختَال ، أفَّاكٍ من الأرذال ؟ وأنتِ أَخْبَثُ منه بكلِ حال ، لأنَّكِ التي فتحتِ له المجال ، ومنحتيه السلاح القتَّال ، ليهدِرَ كرامةَ زوجِـك بين الرجال ، فأهدَرَ كرامَته بكلِ اختيال ، صبَّ الله عليكما لعائنَه تترى من غيرِ انفصـــال ، وسلَّط عليكما ذُلاً تتقلبون فيه في الحالِ والمآل ، وأصابكما بمصائبِ عِظامِ أمثال الجبـــال ، ودمركما ببطشٍ شديدِ المِحَال ، وصيّر الله كَيدَكم في ضلال ، وأمركم إلى زوال ، ونعمتكم إلى انتقال، وجدَّكم في سفال ، وعافيتكم إلى شر مآل ، يا منبع الأنذال والأرذال ، جــزاءاً بما انتهكتم محارمه بكلِ احتيال ، وألحقتم بعبدِهِ الخزي والنكال ، والذُلَ والوبال ، اعلمــوا أنه من خان الله سراً هتك سِتْرَه علانيةً لا مَحال ، فإنها سنةُ الكبيرِ المُتعال ، في هتكِ سِتْرِ المُحتال هتكاً بيناً لا يَخْطُرُ على بال ، هتكاً واضحاً يزول معه أي لَبْسٍ أو إشكال ، ولا ينفعُ معه حِيْلَةٌ أو جِدال ، أسأل الله أن يَكِبَّكُم على وجوهِكم في النار، وأن يجعــل مــأواكم دار الخزي والبوار ، وأن يصليكم نار جهنم وبئس القرار *

➢وأنتِ يا مَنْ أعْمَاكِ سوادُ قلبكِ عن رؤيةِ قُبْحِ الفِعال ، يا من ران علــى قلبهـــا قبـــائح الأعمال ، يا من ضُرِب على قلبها وسمعها من الذنوب أقفال ، هل تعرفين ما فعلتِ بزوجكِ في هذا الحال ؟ من الذلِ والوبال ، والخِزي والنكال ؟ أتى الذلُ منكِ لزوجكِ فوق ما يخطرُ ببال أو يدور في الخيال ، فصار زوجُك خَصِيمَكِ عند ربكِ الكبيرِ المُتَعَال ، يقــتصُ منــك

على سوءِ الحالِ وقُبْحِ الفِعَالِ ، و يقتصُ منك على ذَنبكِ العِضالِ وجُرْمِكِ القَتَّال ، و يقتصُ منك على أن أهدرتِ كرامتَه بين الرجال ، فصار مَذْلولاً بكلِ حال ،اعلمي علم اليقين أنك ستذُوقين عاقبة بَغيكِ لا مَحال ، في الحالِ والمآل *

➢لقد نَكَّست رأسَه بين الرجال ذليلاً ، وحكايتَه صارت أُحْدُوثةً لكلِ قِيلا ، فكان بجُرْمِكِ قَتِيلا ، فكيف بك إذا سألك الجبارُ عن هذا الفعلِ الوبيلا ، ثم لم تجدِي لكِ مَقِيلا ، فلم تجدي للسؤالِ جوابا ، ولا للجوابِ صوابا ، ولا تملكين حينذاك توبةً أو مآبا ، فأُسقط في يَدَيْكِ ، ولا ينفعُكِ من حَوَالَيْكِ ، فعند الله تجتمعُ الخصوم ، ويُقْتَصُ من الظالمِ للمظلوم ، هنالك ينتصرُ زوجُك لجُرحِه المَكْلوم وحق كرامتِهِ المهضوم من فعلك المشئوم *

➢ لماذا الميلُ إلى الحرام ، يا مَنْبَعَ اللئام ، يا شرَ الأنام ، يا نَفْساً مفلوتةً بلا خِطَام ، ولماذا الإقدامُ على هذا الإجرام ، ولماذا لم يُوَفِقِكِ الملكُ العلاّم إلى الإحجامِ عن الرزايا والآثام ، هل سألتِ نفسكِ عن ذلك ؟ أما زال لديكِ بقيةُ إفهام ! أهو من سَوَادِ قلبكِ أم كان على قلبكِ أختام ؟ ،

➢يا مَنْ استَهَانَتْ بمراقبةِ الملكِ العلاّم ، الحَيِّ القَيُّومِ الذي لا يغفل ولا ينام ، كيف نسَيْتِ عِقَابَ رَبُكِ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ ، أمَا علِمْتِ أن الله عزيزٌ ذو انتقام ، سَيُهْتِكُ الله سِتْرَكِ يوماً مَا مهما مَرَتِ السنون وانْصَرَمَتْ الأيام ، جزاءاً على هذا الإجْرَام ، اعلمي أن الله لا يُسَدِدُ صنيعَ من خان ولا يجعله أبداً يعيشُ في أمان وسَيَهْتِكُ سِتْرَه في أي زمانٍ أو مكان ،

➢يا مَنْ صار قلبها من الخراب بُور ، يا من فرحت بخائنةَ الأعين وكأنها ليست من دواهي الأمور !!، وكأنها أمرٌ مباحٌ غير محظور!! ، يا مَنْ تناست بشؤمها أن الله تعالى (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) [غافر : ١٩] ، أما تفكرتِ في قبركِ المحفور وما فيه من الدواهي والأمور تحت الجنادل والصخور ، أما أعددتِ جواباً للعزيزِ الغفور حين يسألكِ عن دواهي الأمور ، هنالك تعلمين مُوقِنَةً أنك ما كنت إلا في غرور ، فتندمين ندماً لا يخطرُ على الصدور ، ولا يُكْتَبُ بالسطور ، لكنه ندمٌ لا يدفع ولا يمنع ولا ينفعُ في أي أمرٍ من الأمور .

➢ يا مَنْ سَقَطَتْ في الخيانةِ بِمَسْلَكِهَا المشين ،وكانت ممن قال الله فيهم :

(وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) ، اعلمي علم اليقين أنَّ الله تعالى سَوف يُظْهِرُ الحقَ ولو بعد حيْن ، ولو طَال ذلك الحيْن إلى بِضْعِ سنين ،

فالموعدُ (الآن حصحص الحق) حينما يأذن خالقٌ الخلق ، فيأذنُ للقَضَاءِ أن يَكْشِفَ الغِطاء ، فانكشَفَت السرائر وبَدَتْ سَقَامَةُ الضمائر ، وَهُتِكَتِ الحُجُبُ وَالأَسْتَار وَظَهَرتْ العُيُوبُ وَالأَسْرَار .

[*] وهنا نذكر آيةً من كتاب الله تعالى لو كتبت بماء الذهب لما وفيْناها حقها لأنها تحافظ على الأخيار وتدفع شر الأشرار .

قال تعالى : (يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشّيْطَانِ وَمَن يَتّبِعْ خُطُوَاتِ الشّيْطَانِ فَإِنّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ) [سورة: النور : ٢١]

➢ذكر من ألقى به العشق في الهاوية :

---

[*]➢أورد الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى أن عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله رأى امرأة من تيم الرباب يقال لها قطام وكانت من أجمل النساء ترى رأى الخوارج قد قتل قومها على هذا الرأي يوم النهروان فلما أبصرها عشقها فخطبها فقالت لا أتزوجك إلا على ثلاثة آلاف وقتل علي بن أبي طالب فتزوجها على ذلك فلما بنى بها قالت له يا هذا قد فرغت فافرغ فخرج متلبسا سلاحه وخرجت قطام فضربت له قبة في المسجد وخرج علي يقول الصلاة الصلاة فأتبعه عبد الرحمن فضربه بالسيف على قرن رأسه فقال الشاعر .

لم أر مهرا ساقه ذو سماحة	كمهر قطام بيننا غير معجم
ثلاثة آلاف وعبدٍ وقينة	وقتل علي بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من علي وإن غلا	ولافتك إلا دون فتك ابن ملجم

[*]➢وأورد الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى أن رجلا من العرب كان تحته ابنة عم له وكان لها عاشقا وكانت امرأة جميلة وكان من عشقه لها أنه كان يقعد في دهليزه مع ندمائه ثم يدخل ساعة بعد ساعة ينظر إليها ثم يرجع إلى أصحابه عشقا لها فطبن لها ابن عم لها فاكترى دارا إلى جنبه ثم لم يزل يراسلها حتى أجابته إلى

ما أراد فاحتالت وتدلت إليه ودخل الزوج كعادته لينظر إليها فلم يرها فقال لأمها أين فلانة فقالت تقضي حاجة فطلبها في الموضع فلم يجدها فإذا هي قد تدلت وهو ينظر إليها فقال لها ما وراءك والله لتصدقني قالت والله لأصدقنك من الأمر كيت وكيت فأقرت له فسل السيف فضرب عنقها ثم قتل أمها وهرب وأنشأ يقول .

يا طلعة طلع الحمام عليها　　وجنت لها ثمر الردى بيديها

رويت من دمها الثرى ولربما　　روى الهوى شفتي من شفتيها

[*]➢وأورد الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى عن عكرمة قال إنا لَمَعَ عبد الله بن عباس عشية عرفة إذ أقبل فتية يحملون فتى من بني عذرة قد بلى بدنه وكانت له حلاوة وجمال حتى وقفوه بين يديه ثم قالوا استشف لهذا يا بن عم رسول الله . فقال وما به فترنم الفتى بصوت ضعيف لا يتبين وهو يقول .

بنا من جوى الأحزان والحب لوعة　　تكاد لها نفس الشفيق تذوب

ولكنما أبقى حشاشة معول　　على ما به عود هناك صليب

وما عجب موت المحبين في الهوى　　ولكن بقاء العاشقين عجيب

ثم شهق شهقة فمات .

قال عكرمة فما زال ابن عباس بقية يومه يتعوذ بالله من الحب .

➢كيفية التوبة من العشق :

وبعد أن تبين فيما مضى خطورة العشق وعظيم جنايته نصل إلى بيت القصيد في هذه المسألة، ألا وهي التوبة من العشق، وكيفية ذلك.

فعلى من وقع في العشق أن يتوب إلى الله عز وجل سواء كان عاشقاً، أو معشوقاً، أو معيناً على ذلك.

فتوبة العاشق تكون بترك العشق، والعزم والمجاهدة على ذلك، وبألا يُظْهِر أمرَه، ولا من ابتلي بعشقه؛ فلا يذكره، ولا يشبب به، ولا يسير إليه، ولا يمد طرفه إليه، وأن يقطع الصلاتِ المُذَكِّرةَ به، وأن يأخذ بالأسباب المعينة على ذلك، وأن يصبر على ما يلاقيه خصوصاً في بداية أمره.

وعلى المعشوق أن يتوب إلى الله إن كان مشاركاً، أو متسبباً في غواية العاشق، فيتوب إلى الله من استمالة المعشوق والتزين له، والتحبب إليه، واللقاء به، ومحادثته، ومراسلته.

وعلى من أعان على العشق بالتقريب بين العاشقين بالباطل أن يتوب إلى الله، وأن يَدَعَ ما كان يقوم به، وأن يعلم أن ذلك من الإعانة على الإثم والعدوان، وأنه بذلك يذكي أوار العشق، ويسعر نيرانه؛ فهو يفسد أكثر مما يصلح، وسعيه مأزور غير مشكور؛ فعمله ليس من عمل الخير، ولا من ارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما.

بل إن هذه المفسدة تجر إلى هلاك القلب، وفساد الدين، وأي مفسدة أعظم من هذه ؟

وغاية ما يقدَّر من مفسدة الإمساك عن ذلك سقم الجسد أو الموت؛ تفادياً عن التعرض للمحرم(٦٥).

وإلا فالغالب أن العاقبة تكون نجاة وسلامة.

➢الأسباب المعينة على ترك العشق :

فمع عظم شأن العشق، وصعوبة الخلاص منه إلا أن ذلك ليس متعذراً ولا مستحيلاً؛ فلكل داء دواء، ولكن الدواء لا ينفع إلا إذا صادف محلاً قابلاً؛ فإذا رام المبتلى بهذا الداءِ الشفاءَ، وسعى إليه سعيه وفق لما يريد، وأعين على بلوغ المقصود.

وإلا استمر على بلائه، بل ربما زاد شقاؤه.

[*]➢قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى :إنما يوصف الدواء لمن يقبل؛ فأما المخلِّط فإن الدواء يضيع عنده(٦٦).

☜وهاك الأسباب المعينة على ترك العشق جملةً وتفصيلاً :

➢الأسباب المعينة على ترك العشق جملةً :

(١) الدعاء:

(٢) غض البصر:

(٣) التفكر والتذكر:

---

(٦٥) روضة المحبين ص ١٤٨_١٥٠.

(٦٦) ذم الهوى ص ٤٤٣.

(٤) البُعد عن المعشوق :

(٥) الاشتغال بما ينفع:

(٦) الزواج :

(٧) عيادة المرضى وتشييع الجنائز، وزيارة القبور، والنظر إلى الموتى، والتفكر في الموت وما بعده :

(٨) مواصلة مجالس الذكر:

(٩) المحافظة على الصلاة:

(١٠) زجر الهمة الأبية:

(١١) التفكر في عيوب المعشوق :

(١٢) تَصَوُّر فقدِ المحبوب :

(١٣) النظر في العاقبة :

(١٤) أن يعلم المبتلى أن الابتلاء سبب لظهور جواهر الرجال :

(١٥) النظر فيما يُفَوِّتُه التشاغل بالعشق من الفضائل:

(١٦) أن يعلي همته ويتدبر قصة يوسف :

وهاك تفصيل ذلك في إيجازٍ غيرِ مُخِّل :

الأسباب المعينة على ترك العشق تفصيلاً :

(١) الدعاء:

من أهم الأسباب المعينة على ترك العشق الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل وصدق اللجأ إليه، والإخلاص له، وسؤاله السلوَّ؛ فإن المبتلى بهذا الداء مضطر، والله يجيب المضطر إذا دعاه ، فالدعاء هو العبادة ، وليس شيءٌ أكرم على الله من الدعاء ، والناس أحوج ما يكونون إلى الدعاء ، وهاك غيضٌ من فيض ونقطةٌ من بحر وقليلٌ من كثير مما ورد في فضل الدعاء .

الناس أحوج ما يكونون إلى الدعاء :

إن من المعلوم شرعاً أن الناس في أمس الحاجة إلى الدعاء لأنهم مفتقرون إلى الله تعالى في جلب مصالحهم ودفع مضارهم، في أمور دينهم ودنياهم، قال تعالى: {يا أيها النَّاسُ أنتُمُ الفُقَراءُ إلى اللهِ واللهُ هوَ الغنيُّ الحَميدُ} [فاطر /١٥]

ومما يوضح ذلك ويبينه الحديث الآتي :

(حديث أبي ذرٍ في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى : يا عبادي ! إني حرمت الظلم على نفسي و جعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي ! كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي ! كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي ! كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي ! إنكم تخطئون بالليل و النهار و أنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي ! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني و لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي ! لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي ! لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا ، يا عبادي ! لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادي ! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله و من وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه .

فلا يوجد مؤمن إلا ويعلم أن النافع الضار هو الله سبحانه ، وأنه تعالى يعطي من يشاء ، ويمنع من يشاء ، ويرزق من يشاء بغير حساب ، وأن خزائن كل شيء بيده ، وأنه تعالى لو أراد نفع عبد فلن يضره أحد ولو تمالأ أهل الأرض كلهم عليه ، وأنه لو أراد الضر بعبد لما نفعه أهل الأرض ولو كانوا معه . لا يوجد مؤمن إلا وهو يؤمن بهذا كله ؛ لأن من شك في شيء من ذلك فليس بمؤمن ، قال الله تعالى : {وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }

[يونس : ١٠٧] .

فلا ينفع ولا يضر إلا الله تعالى { إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ } [النحل : ٥٣]

{ وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ } [الإسراء : ٦٧] سقطت كل الآلهة ، وتلاشت كل المعبودات وما بقي إلا الله تعالى { ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ }[الإسراء : ٦٧] {قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً } [الفتح :١١] لا يسمع دعاء الغريق في لجة البحر إلا الله . ولا يسمع تضرع الساجد في خلوته إلا . ولا يسمع نجوى الموتور المظلوم وعبرته تتردد في صدره ، وصوته يتحشرج في جوفه إلا الله . ولا يرى عبرة الخاشع في زاويته والليل قد أسدل ستاره إلا الله {وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى {٧} اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى }[طه:٨]

➢وهذا يقتضي أن جميع الخلق مفتقرون إلى الله تعالى في جلب مصالحهم ودفع مضارهم في أمور دينهم ودنياهم،

قال تعالى: (يَأَيّهَا النّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَآءُ إِلَى اللّهِ وَاللّهُ هُوَ الْغَنِيّ الْحَمِيدُ) [فاطر / ١٥]

فالعباد لا يملكون لأنفسهم شيئاً من ذلك كله، وأن من لم يتفضل الله عليه بالهدى والرزق، فإنه يحرمها في الدنيا، ومن لم يتفضل الله عليه بمغفرة ذنوبه أوْبَقَتْه خطاياه في الآخرة[٦٧].

فجميعُ الخلق مفتقرون إلى الله، مفتقرون إلى الله في كل شؤونِهم وأحوالِهم، وفي كلِ كبيرةٍ وصغيره، وفي هذا العصرُ تعلقَ الناسُ بالناسِ، وشكا الناسُ إلى الناس، ولا بئسَ أن يُستعانُ بالناس في ما يقدرون عليه، لكن أن يكونَ المُعتمَدُ عليهم، والسؤال إليهم، والتعلقُ بهم فهذا هو الهلاكُ بعينه، فإن من تعلق بشيٍ وكلَ إليه.

➢والإنسان لا يستغني عن ربه طرفة عين ولا أقل من ذلك، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يردد كثيرا: " لا تكلني إلى نفسي طرفة عين .

(حديث أبي بكرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال: دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين و أصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت .

فقيراً جئتُ بابك يا إلهي.........ولستُ إلى عبادك بالفقير
غنياً عنهمُ بيقينِ قلبي..........وأطمعُ منك في لفضلِ الكبيرِ

[٦٧] جامع العلوم والحكم لابن رجب رحمه الله ٣٧/٢.

الهي ما سألتُ سواك عونا......فحسبي العونُ من ربٍ قديرِ

الهي ما سألتُ سواك عفوا.....فحسبي العفوُ من ربٍ غفورِ

الهي ما سألتُ سواك هديا.....فحسبي الهديُ من ربٍ بصيرِ

إذا لم أستعن بك يا الهي......فمن عوني سواك ومن مجيرِ

إن الفرار إلى الله، واللجوء إليه في كلِ حالٍ وفي كل كربٍ وهم، هو السبيلُ للتخلصَ من ضعفنا وفتورنا وذلنا و هواننا.

إن في هذه الدنيا مصائبَ ورزايا، ومحناً وبلايا، آلامُ تضيقُ بها النفوس، ومزعجاتُ تورث الخوفَ والجزع، كم في الدنيا من عينٍ باكيةٍ ؟

وكم فيها من قلب حزين؟

وكم فيها من الضعفاءِ والمعدومين، قلوبُهم تشتعل، ودموعُهم تسيل ؟ هذا يَشْكُ علةً وسقما، وصحيحٌ مرض، وغنيٌ افتقر، عزيزٌ قد ذل، رجل يتبرم من زوجه وولده، وآخرُ يشكُ ويئنُ من ظلمِ سيده.

وثالثٌ كسدة وبارت تجارته، شاب أو فتاة يبحث عن عروس، وطالب يشكو كثرة الامتحانات والدروس.

هذا مسحور وذاك مدين ،وأخر ابتليَ بالإدمان والتدخين، ورابعُ أصابه الخوفُ ووسوسةُ الشياطين.

وذاك حاجةً وفقرا.

وآخر هماً وقلقا.

تلك هي الدنيا، تضحكُ وتبكي، وتجمعُ وتشتت، شدةُ ورخاءُ وسراءٌ وضراءُ.

وصدق الله العظيم: (لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ). [الحديد / ٢٣]

فارفع يديك وأسل دمع عينيك، وأظهر فقرك وعجزك، واعترف بِذُلِك وضَعْفَك.

➢والدعاء سلاحٌ عجيب ٌ فَعَّال وسهمٌ نافذٌ لا يخيب :

إن الحياة قد طبعت على كدر، وقلما يسلم الإنسان من خطر، مصائب وأمراض، حوادث وأعراض، أحزان وحروب وفتن، ظلم وبغي، هموم وغموم.

ويتقلب الناس في هذه الدنيا بين فرح وسرور ، و شدة وبلاء ، وفقر وغنى وتمـر بهـم سنين ينعمون فيها ، وتعصف بهم أخرى عجاف ، يتجرعون فيها الغصص أو يكتوون بنار البُعد والحرمان .

وهذه هي حقيقة الدنيا إقبال وإدبار فرح وحزن ، شدة ورخاء ، سقم وعافيـة إلا أن الله تعالى لطيف بعباده رحيم بخلقه، فتح لهم باباً يتنفسون منه الرحمة، وتنزل به على قلوبهم السكينة والطمأنينة، ألا وهو باب الدعاء.

ولا يزال المؤمن بخير ما تعلق قلبه بربه ومولاه ، كيف لا يكون كذلك وبيده سلاح لا كأي سلاح ، سلاح لا تصنعه مصانع الغرب أو الشرق ، إنه أقوى من كل سلاح مهمـا بلغـت قوته ودقته ، والعجيب في هذا السلاح أنه عزيز لا يملكه إلا صنف واحد مـن النـاس، لا يملكه إلا المؤمنون الموحدون، إنه سلاح رباني ، سـلاح الأنبيـاء والأتقيـاء علـى مـرّ العصور.

سلاح نجى الله به نوحًا عليه السلام فأغرق قومه بالطوفان ، ونجى الله به موسـى عليـه السلام من الطاغية فرعون، نجى الله به صالحًا، وأهلك ثمود، وأذل عادًا وأظهر هودَ عليه السلام، وأعز محمدًا صلى الله عليه وسلم في مواطن كثيرة.

سلاح حارب به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أعتى قوتين في ذلك الوقت: قوة الفرس، وقوة الروم، فانقلبوا صاغرين مبهورين، كيف استطاع أولئك العـرب العـزَّل أن يتفوقوا عليهم وهم من هم، في القوة والمنعة، ولا يزال ذلكم السلاح هو سيف الصـالحين المخبتين مع تعاقب الأزمان وتغير الأحوال ' تلكم العبادة وذلكم السلاح هو الدعاء .

هذا السلاح يطفيء نيران الدبابات .

بل إن الاسرى يُفكون بهذا السلاح

جاء مالك الأشجعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أُسر ابنى عوف فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أرسل إليه أن رسول الله يأمرك أن تكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله وكانوا قد شدوا قيده فسقط القيد فخرج فإذا هو بناقة لهم فركبها و أقبل فمـر بغـنم للعدو فاستاقها فجاء بها إلى أبيه وقص عليه الخبر فقال أبوه قف حتى أتـى رسـول الله

صلى الله عليه وسلم فسأله عنها ، فلما أخبره بذلك قال صلى الله عليه وسلم) اصنع بها ما أحببت ونزل قول الله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا)"[٦٨]

➢والدعاء ينفع مما نزل و مما لم ينزل ، وسهمٌ لا يخيب وأعجز الناس من عجز عن الدعاء ، وإليك غيضٌ من فيض ونقطةٌ من بحر مما ورد في هذا :

(حديث عائشة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :لا يغني حذر من قدر و الدعاء ينفع مما نزل و مما لم ينزل و إن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة .

(حديث أبي هريرة في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال ما من رجل يدعو بدعاء إلا استجيب له فإما أن يعجل له في الدنيا و إما أن يدخر له في الآخرة ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل .

(حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الثابت في صحيح الترغيب والترهيب) أنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلاَّ أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنْ السُّوءِ مِثْلَهَا" قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ :" اللَّهُ أَكْثَرُ " .

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :إن أبخل الناس من بخل بالسلام وأعجز الناس من عجز عن الدعاء .

(أعجز الناس من عجز عن الدعاء) : أعظم ما يشق على المسلم أن يغلق عليه في الدعاء،

[*] قال عمر بن الخطاب :

" أني لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل همّ الدعاء" فاذا فتح على العبد في دعائه من معاني الحمد والثناء دعا الله وحسن الظن به والتعلق والرجاء به وتعظيم الرغبة مما عند الله والثقة بوعد الله فينبغي عليه أن يقبل على الدعاء وأن يصرف همته في ذلك لاسيما في الأزمان والأماكن الفاضلة ، وعند نزول الضر وحصول الشدائد، ومن أكثر طرق هذا الباب فتح له، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

[*] يقول جعفر الصادق رضي الله عنه :

---

[٦٨] - ابن جرير في تفسيره

عجبت لأربعة كيف يغفلون عن أربع:

عجبت لمن أصابه ضر كيف يغفل عن قول الله: (أَنّي مَسّنِيَ الضرّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الـرّاحِمِينَ) [الأنبياء / ٨٣]

والله سبحانه وتعالى يقول: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرّ) [الأنبياء / ٨٤]

وعجبت لمن أصابه غم كيف يغفل عن قول الله: (لاَّ إِلَـٰهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ) [الأنبياء /٨٧]

والله سبحانه وتعالى يقول: (فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمّ وَكَذٰلِكَ نُنجِـى ٱلْمُـؤْمِنِينَ) [الأنبياء /٨٨]

وعجبت لمن يخاف كيف يغفل عن: (حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ)

[آل عمران /١٧٣]

،والله تعالى يقول: (فَٱنْقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوء)

[آل عمران /١٧٤]

وعجبت لمن يمكر به الناس كيف يغفل عن (وَأُفَوّضُ أَمْرِى إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ) [غافر /٤٤]

، والله تعالى يقول: (فَوقَاهُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَـرُواْ وَحَاقَ بِـآلِ فِرْعَوْنَ سُوء ٱلْعَذَابِ) [غافر /٤٥]

أخى : أمن يجيب المضطر إذا دعاه ،

أخى : هل عندك أسير تريد فك أسره ،

أخى : ألست فى حاجة إلى الله (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله)

أخي : في كل ذلك عليك بالتضرع إلى الله ،،،،،،،،،

أخي الحبيب هل وقفت مع نفسك ؟

كم مرة انطرحت بين يدي الله ؟

كم مرة أحسستَ فيها بصدق المناجاة ؟

أليس لك حاجة بل حاجات إلى رب الأرض والسماوات ؟

أعجَزتَ أن تنفع نفسك بدعوة صالحة ؟ علّ الله أن ينفعك بـهـا .

أخي من أدمن طرق الباب يوشك أن يفتح له ..... زد في الطرق يزاد لك في العطاء من رب الارض والسماوات .

إلهي :

كم لك سواي، وما لي سواك، عبيدك سواي كثير وليس لي سيد سواك ، فبفقري إليك وغناك عني ، وبقوتك وضعفي ، وبعزك وذلي ، إلا رحمتني وعفوت عني ، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال من خضعت لك رقبته، ورغم لك أنفه، وفاضت لك عينه، وذل لك قلبه، الله لا تعذب نفساً قد عذبها الخوف منك ، ولا تخرس لساناً كل ما يرويه عنك، ولا تقذ (أى لا تعمي) بصراً طالما بكى من مخافتك، ولا تخيب رجاء هو معلق بك ، ولا تحرق بالنار وجهاً سجد لعظمتك ، ولا تعذب بناناً كتب في طاعتك ولا لساناً دل الناس على شريعتك !! يا أرحم الراحمين !! يا الله .

اللهم يا موضع كل شكوى، ويا سمع كل نجوى، ويا شاهد كل بلوى، يا عالم كل خفية، و يا كاشف كل بلية، يا من يملك حوائج السائلين، ويعلم ضمائر الصامتين ندعوك دعاءَ من أشدت فاقته، وضعفت قوته، وقلت حيلته دعاء الغرباء المضطرين الذين لا يجدون لكشف ما هم فيه إلا أنت.

يا أرحم الراحمين أكشف ما بنا وبالمسلمين من ضعف وفتور وذل وهوان.

يا سامعا لكل شكوى أعن المساكين والمستضعفين وأرحم النساء الثكالى والأطفال اليتامى وذي الشيبة الكبير، إنك على كل شيء قدير.

➢ألم يأن لنا أن ننتبه إلى أن الدعاءُ أكرم شيء على الله، شرعه الله لحصول الخير ودفع الشر، فالدعاءُ سبب عظيم للفوز بالخيرات والبركات، وسببٌ لدفع المكروهات والشرورِ والكربات، والدعاءُ من القدَر ومن الأسبابِ النافعة الجالبة لكلِّ خير والدافعة لكل شرّ .

الدعاء به تُفرّجُ الشِّدّائد ، وتُنفّسُ الكُرب فكم سمعنا عمن أُغلقت في وجهه الأبواب ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، ثم طَرقَ باب مسبب الأسباب ، وألحّ على الله في الدعاء، ورفع إليه الشكوى ، وبكى فَفُتِحَتْ له الأبواب ، وانفرج ما به من شِدّة وضيق .

ألم تسمع قصة أولئك الثلاثة الذين دخلوا غـاراً فأغْلَقَتْ عليهـم الباب صخـرةٌ عظيمة ، فما كان منهم إلا أن دعوا الله بصالح أعمالِهم وأخلصِها ، فانفرجت الصـخرةُ وخرجـوا يمشون .

(حديث بن عمر رضي الله عنهما الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : (انطلق ثلاثـة رهط ممن كان قبلكم، حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم، فقـال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا، فنـاء بي في طلب شيء يوما، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبـت لهمـا غبوقهمـا فوجـدتهما نائمين، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقدح على يدي أنتظر اسـتيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهـك ففـرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج، قال النبي صـلى الله عليه وسلم: وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي، فأدرتهـا عـن نفسها فامتنعت مني، حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشـرين ومائـة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحـل لـك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلـي وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحـن فيـه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، قال النبي صلى الله عليه وسـلم: وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الـذي لـه وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله أد إلـي أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك، من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شـيئا، اللهـم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيـه، فانفرجـت الصـخرة فخرجـوا يمشون).

➢ألم يأن لنا جميعاً أن نمد أيدينا إلى مالك الملك ، وإلى مَنْ بيده ملكوت كلّ شيء ، وهـو يُجير ولا يُجار عليه ؟

ونقول :-

يا أمان الخائفين سبحانك ما أحلمك على من عصاك وما أقربك ممن دعاك وما أعطفك على من سألك وما أرافك بمن أملك، من الذي سألك فحرمته، ومن الذي فر إليك فطردته أو لجأ إليك فأسلمته ، أنت ملاذنا ومنجانا فلا نعول إلا عليك ولا نفر من خلقك ومنك إلا إليك يـا أمان الخائفين .

فلماذا البخل على أنفسنا ؟

إلى متى العجــز و الكسل ؟

إن ما بيننا وبين السماء السابعة سوى مسافة دعوة مظلوم .

وما بيننا وبين باب ذي المنن سوى قَـرْعِـهِ وإدامــة ذلك .

فادع يا أخي وزد في الدعاء بالليل والنهار فلن تخيب دعواتك فإن الدعاء سهمٌ لا يخيب :

(حديث أبي هريرة في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال ما من رجـل يـدعو بـدعاء إلا استجيب له فإما أن يعجل له في الدنيا و إما أن يدخر له في الآخرة ما لم يـدع بـإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل .

(حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الثابت في صحيح الترغيب والترهيب) أنَّ النَّبِـيَّ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ قال: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْـمٌ ولا قَطِيعَـةُ رَحِـمٍ إِلاَّ أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاث: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّـا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا" قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ :" اللَّهُ أَكْثَرُ " .

أتهــزأُ بالدعـــاءِ وتزدريــــــــهِ		ومـا تـدري بمـا صنع الدعـاءُ
سهامُ الليــــــــلِ لا تُخـطي ولكن		لهـا أمـدٌ وللأمـدادِ انقـضــاءُ

هل يدعو العبد ربه مع أن الله يعلم حاجته :

➢يردد البعض حديث لفظه : (علمه بحالي يغني عن سؤالي) ويستدلون به على أنــه لا حاجة للإنسان أن يدعو الله ، لأن الله يعلم حاجة الإنسان ، فما صـــحة هــذا الكـــلام فمـــا الجواب ؟

الجواب :

أن هذا القول قول باطل ، لأنه مناف للإيمان بالقدر ، وتعطيل للأسباب ، وترك لعبادة هـــي أكرم العبادات على الله عز وجل .

فالدعاء أمره عظيم وشأنه جليل ، فبه يرد القدر ، وبه يرفع البلاء ، فهو ينفع ممـــا نـــزل ومما لم ينزل . وهاك غيضٌ من فيض مما نزل في فضل الدعاء :

(حديث النعمان بن بشير في صحيحي أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ قال : الدعاء هو العبادة ، ثم تلا قوله تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُـــمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنّ الّذِينَ يَسْـــتَكْبِرُونَ عَـــنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنّمَ دَاخِرِينَ)

(حديث أبي هريرة في صحيحي الترمذي وابن ماجة) أن النبي ﷺ قال من لـــم يســـأل الله يغضب عليه .

(حديث أبي هريرة في صحيحي الترمذي وابن ماجة) أن النبي ﷺ قال : ليس شيء أكـــرم على الله من الدعاء .

(حديث سلمان في صحيح أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ قال إن ربكـــم حيـــي كـــريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا .

(حديث سلمان في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال لا يرد القضاء إلا الدعاء و لا يزيـــد في العمر إلا البر .

(حديث عائشة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :لا يغني حـــذر من قدر و الدعاء ينفع مما نزل و مما لم ينزل و إن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجـــان إلى يوم القيامة .

(حديث أبي هريرة في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال ما من رجـــل يـــدعو بـــدعاء إلا استجيب له فإما أن يعجل له في الدنيا و إما أن يدخر له في الآخرة ما لم يـــدع بـــإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل .

(حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الثابت في صحيح الترغيب والترهيب) أنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ قال: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ ولا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلاَّ أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنْ السُّوءِ مِثْلَهَا" قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ :" اللَّهُ أَكْثَرُ " .

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :إن أبخل الناس من بخل بالسلام وأعجز الناس من عجز عن الدعاء .

وربما استشهد بعض من يترك الدعاء كبعض الصوفية بحديث : (حسبي من سؤالي علمه بحالي) ، وهذا الحديث باطل لا أصل له ، تكلم عليه العلماء ، وبينوا بطلانه .

[*] فقد ذكره البغوي في تفسير سورة الأنبياء مشيراً إلى ضعفه فقال :

(وروي عن أبي بن كعب أن إبراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه في النار : (لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين ، لك الحمد ، ولك الملك ، لا شريك لك ، ثم رموا به في المنجنيق إلى النار ، واستقبله جبريل فقال : يا إبراهيم ، لك حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا ، فقال جبريل : فاسأل ربك ، فقال إبراهيم : حسبي من سؤالي علمه بحالي) تفسير البغوي معالم التنزيل ٥/٣٤٧

[*] قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا الحديث :

(وأما قوله : حسبي من سؤالي علمه بحالي فكلام باطل ، خلاف ما ذكره الله عن إبراهيم الخليل وغيره من الأنبياء ، من دعائهم لله ، ومسألتهم إياه ، وهو خلاف ما أمر الله به عباده من سؤالهم له صلاح الدنيا والآخرة). مجموع الفتاوى ٨/٥٣٩

[*] وقال الشيخ الألباني عن هذا الحديث :

(لا أصل له ، أورده بعضهم من قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو من الإسرائيليات ، ولا أصل له في المرفوع) سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/٢٨(٢١)

وقال بعد ذلك عن الحديث : (وقد أخذ هذا المعنى بعض من صنف في الحكمة على الطريقة الصوفية فقال : سؤالك منه – يعني الله تعالى – اتهام له) سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/٢٩

ثم قال رحمه الله تعليقاً على تلك المقولة : (هذه ضلالة كبرى ، فهل كان الأنبياء صلوات الله عليهم متهمين لربهم حين سألوه مختلف الأسئلة ؟) سلسلة الأحاديث الضعيفة ٢٩/١

(٢) غض البصر:

[*]قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى :والواجب على من وقع بصره على مستحسن، فوجد لذةَ تلك النظرة في قلبه أن يصرف بصره؛ فمتى ما تَثَبَّت في تلك النظرة أو عاود وقع في اللوم شرعاً وعقلاً.

فإن قيل: فإن وقع العشق بأول نظرة فأي لوم على الناظر؟

فالجواب: أنه إذا كانت النظرة لمحة لم تكد توجب عشقاً، إنما يوجبه جمود العين على المنظور بقدر ما تثبت فيه، وذلك ممنوع منه، ولو قدَّرنا وجوده باللمحة؛ فأثَّر محبةً سَهُلَ قمعُ ما حصل (٦٩).

إلى أن قال: فإن قيل: فما علاج العشق إذا وقع بأول لمحة؟

قيل: علاجه الإعراض عن النظر؛ فإن النظر مثل الحبة تلقى في الأرض؛ فإذا لم يلتفت إليها يبست، وإن سقيت نبتت؛ فكذلك النظرة إذا ألحقت بمثلها (٧٠).

وقال: فإن جرى تفريط بإتْباع نظرة لنظرة فإن الثانية هي التي تخاف وتحذر؛ فلا ينبغي أن تحقر هذه النظرة؛ فربما أورثت صبابة صبَّت دم الصبِّ (٧١).

[*]وقال ابن القيم رحمه الله تعالى :فعلى العاقل ألا يحكِّم على نفسه عشق الصور؛ لئلا يؤدِّيه ذلك إلى هذه المفاسد، أو أكثرها، أو بعضها؛ فمن فعل ذلك فهو المفرط بنفسه، المغرور بها؛ فإذا هلكت فهو الذي أهلكها؛ فلولا تكراره النظر إلى وجه معشوقه، وطمعه في وصاله لم يتمكن عشقُه من قلبه (٧٢).

فعلى من يريد السلامة لنفسه أن يغض طرفه عما تشتهيه نفسه من الحرام، وليكن له في ذلك الغضِّ نيةٌ يحتسب بها الأجر، ويكتسب بها الفضل، ويدخل في جملة من نهى النفس

---

(٦٩) ذم الهوى ص ٤٣٩.

(٧٠) ذم الهوى ص ٤٤٠.

(٧١) ذم الهوى ص ٤٤٠.

(٧٢) الجواب الكافي ٥٠٦.

عن الهوى.

➢أهمية غض البصر :

➢غض البصر : الأمر بغض البصر يشترك فيه الرجال والنساء على حدٍ سواء، وذلك لأن إطلاق البصر فيما يحرم يجلب عذاب القلب وألمه، وهو يظن أنه يروح عن نفسه ويبهج قلبه، ولكن هيهات . وأعظمهم عذاباً مدمنهم، وكما قال ابن تيمية: تعمد النظر يورث القلب علاقة يتعذب بها الإنسان ، وإن قويت حتى صارت غراماً وعشقاً زاد العذاب الأليم، سواء قدر أنه قادر على المحبوب أو عاجز عنه، فإن كان عاجزاً فهو في عذاب أليم من الحزن والهم والغم، وإن كان قادراً فهو في عذاب أليم من خوف فراقه، ومن السعي في تأليفه وأسباب رضاه ! (٧٣) . وأصل ذلك ومبدؤه من النظر، فلو أنه غض بصره لارتاحت نفسه وارتاح قلبه .

والشرع المطهر لم يغفل ما قد يقع من الناس بدون قصد منهم، بل أمر من نظر إلى امرأة أجنبية بدون قصد منه أن يصرف بصره عنها ولا يتمادى ، وتأمل في النصوص الآتية بعين البصيرة☜

قال تعالى: (قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىَ لَهُمْ إِنّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) [سورة: النور - الآية: ٣٠]

الشاهد : قوله تعالى [قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ]

هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه وأن يغمضوا أبصارهم عن المحارم فإن اتفق أن وقع البصر على محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعا كما في الحديث الآتي :☜

◆(حديث جرير بن عبد الله البجلي الثابت في صحيح مسلم) قَالَ :سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ(٧٤) فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي .

---

(٧٣) الفتاوى(١٤/١٥٦-١٥٧)

(٧٤)معنى نظر الفجأة: أن يقع بصره على الأجنبية من غير قصد فلا إثم عليه في أول ذلك، ويجب عليه أن يصرف بصره في الحال، فإن صرف في الحال فلا إثم عليه، وإن استدام النظر أثم لهذا الحديث قاله النووي .

◆(حديث ابن عباس الثابت في الصحيحين) قَالَ كَانَ الْفَضْلُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ إِلَى الشِّقِّ الْآخَرِ فَقَالَتْ إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ أَفَأَحُجُّ عَنْهُ قَالَ نَعَمْ وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ .

◆(حديث أبي هريرة الثابت في الصحيحين) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنْ الزِّنَا مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاسْتِمَاعُ وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ .

◆(حديث أبي سعيد الثابت في الصحيحين) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ فَقَالُوا مَا لَنَا بُدٌّ إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا قَالَ فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا قَالُوا وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ قَالَ غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ .

الشاهد : قوله ﷺ [فأعطوا الطريق حقه ، قالوا وما هو حقُ الطريق ؟ قال : غض البصر]

◆(حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها الثابت في صحيح أبي داوود)أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : مَنْ كَانَ مِنْكُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا تَرْفَعْ رَأْسَهَا حَتَّى يَرْفَعَ الرِّجَالُ رُءُوسَهُمْ كَرَاهَةَ أَنْ يَرَيْنَ مِنْ عَوْرَاتِ الرِّجَالِ .

◆(حديث أَبِي رَيْحَانَةَ رضي الله عنه الثابت في السلسلة الصحيحة) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ دَمَعَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ سَهِرَتْ فِي سَبِيلِ اللهِ، حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ .

◆(حديث بُرَيدة الثابت في صحيحي أبي داوود والترمذي) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍ يَا عَلِيُّ لَا تُتْبِعْ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ .

◆(حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه الثابت في صحيح الترغيب والترهيب) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: يَا عَلِيُّ إِنَّ لَكَ كَنْزاً فِي الْجَنَّةِ وَإِنَّكَ ذُو قَرْنَيْهَا فَلَا تُتْبِعْ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ .

◆(حديث سهل بن سعد الثابت في الصحيحين) قَالَ : اطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرٍ فِي حُجَرِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِدْرًى يَحُكُّ بِهِ رَأْسَهُ فَقَالَ لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ .

◆(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : لَوْ أَنَّ امْرَأً اطَّلَعَ عَلَيْكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ فَخَذَفْتَهُ بِعَصَاةٍ فَفَقَأْتَ عَيْنَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ جُنَاحٌ .

☜اعلم وفقك الله أن البصر صاحب خبر القلب ينقل إليه أخبار المبصرات وينقش فيه صورها فيجول فيها الفكر فيشغله ذلك عن الفكر فيما ينفعه من أمر الآخرة .

ولما كان إطلاق البصر سببا لوقوع الهوى في القلب أمرك الشرع بغض البصر عما يخاف عواقبه فإذا تعرضت بالتخليط وقد أمرت بالحمية فوقعت إذا في أذى فلم تضج من أليم الألم .

[*]قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى :

قال تعالى: (قُلْ لّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىَ لَهُمْ إِنّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إِلاّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا) [النور ٣٠: ٣١] ثم أشار إلى مسبب هذا السبب ونبه على ما يئول إليه هذا الشر بقوله ويحفظوا فروجهم ويحفظن فروجهن .

[*] قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره :

هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم، فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه (٨) ، وأن يغضوا (٩) أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على مُحرَّم من غير قصد، فليصرف بصره عنه سريعًا، كما رواه مسلم في صحيحه، من حديث يونس بن عُبَيد، عن عمرو بن سعيد، عن أبي زُرْعَة بن عمرو بن جرير، عن جده جرير بن عبد الله البجلي، رضي الله عنه، قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم ، عن نظرة الفجأة، فأمرني أن أصرفَ بصَرِي.

◆قال القرطبي رحمه الله : البصر هو الباب الأكبر إلى القلب وأعمر طرق الحواس إليه وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته ووجب التحذير منه وغضه واجب عن جميع المحرمات وكل ما يخشى الفتنة من أجله وفي صحيح مسلم عن جرير عن عبد الله قال : سألت

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري وهذا يقوي قول من يقول إن من للتبعيض لأن النظرة الأولى لاتملك فلا تدخل تحت خطاب تكليف .

[وقال:] وبدأ بالغض قبل الفرج لأن البصر رائد للقلب كما أن الحمى رائدة الموت وأخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال: ألم تر أن العين للقلب رائد فما تألف العينان فالقلب آلف ا.هـ [تفسير القرطبي ١٢ /٢٢٢]

◆ويقول ابن القيم كذلك كما في كتابه الجواب الكافي عندما تكلم عن الزنا فقال :

ولما كان مبدأ ذلك من قبل البصر جعل الأمر بغضه مقدمًا على حفظ الفرج فإن كل الحوادث مبدؤها من النظر تكون نظرة – ثم تكون خطرة – ثم خطوة – ثم خطيئة فإما اللحظات فهى رائدة الشهوة ورسولها وحفظها أصل حفظ الفرج فمن أطلق نظرة أورد نفسه موارد الهلاك والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان ومن آفاته. أنه يورث الحسرات والزفرات والحرقات فيرى الإنسان ما ليس قادرًا عليه ولا صابرًا عنه وهذا من أعظم العذاب.

(حديث ابن عباس في الصحيحين) قال كان الفضلُ رَدِيْفَ رسول الله ﷺ ، فقدمت امرأةٌ من خثعم ، فجعل الفضلُ ينظرُ إليها وتنظرُ إليه ، وجعل رسول الله يصرفُ وجه الفضل إلى الشق الآخر ، فقالت يا رسول الله : إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت شيخاً كبيراً لا يثبتُ على الراحلة ، أفأحجُ عنه ؟ قال نعم . وذلك في حجة الوداع .

(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا ، فهو مدرك ذلك لا محالة فالعينان زناهما النظر و الأذنان زناهما الاستماع و اللسان زناه الكلام و اليد زناها البطش و الرجل زناها الخطا و القلب يهوى و يتمنى و يصدق ذلك الفرج أو يكذبه .

الشاهد : قوله ﷺ [فالعينان زناهما النظر] فبدا الرسول ﷺ بزنى العين لأنه اصل زنى اليد والرجل والقلب والفرج وهذا الحديث من أبين الأشياء على أن العين تعصى بالنظر وان ذلك زناها .

◆قال الغزالي رحمه الله تعالى : ونبه به على أنه لا يصل إلى حفظ الفرج إلا بحفظ العين عن النظر وحفظ القلب عن الفكرة وحفظ البطن عن الشبهة وعن الشبع فإن هذه محركات

للشهوة ومغارسها قال عيسى عليه السلام : إياكم والنظر فإنه يزرع في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة ثم قال الغزالي : وزنا العين من كبار الصغائر وهو يؤدي إلى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه .

[فيض القدير ج: ٤ ص: ٦٥]

(حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها الثابت في صحيح أبي داوود) أن النبي ﷺ قال : من كان منكن يؤمن بالله واليوم الآخر فلا ترفع رأسها حتى يرفع الرجال رءوسهم كراهة أن يرين من عورات الرجال .

ولهذا جعل الرسول غض البصر من حقوق الطريق التي تلزم كل جالس فيها حتى لا تتخذ الطرقات ذرائع للترفه بمحاسن النساء وتأمل مفاتن الغاديات والرائحات.

(حديث أبي سعيد في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : إياكم و الجلوس في الطرقات ، قالوا يا رسول الله مل لنا منها بدٌ إنها مجالسنا نتحدثُ فيها ، قال فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقه ، قالوا وما هو حقُ الطريق ؟ قال : غض البصر و كف الأذى و رد السلام و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

قال النووي رحمه الله تعالى :

وقد أشار النبي ﷺ إلى علة النهي من التعرض من الفتنة و الإثم بمرور النساء وغيرهن وقد يمتد النظر إليهن أو فكر فيهن .

﴿تنبيه﴾: وفي الحديث مشروعية سد الذرائع التي بنيت عليها فروع كثير فقهية ، فهذه الخصال من حقوق الطريق التي يُلزم بها الجالس عليها ومنها غض البصر وكفه عن النظر إلى النساء وذلك في الأماكن العامة التي هي مظنة مرور العرايا والمتبرجات فان الجلوس في مثل هذه الأماكن جريمة ومنكر ولاسيما إذا اعتاده الإنسان فانه يفسق بذلك وهذه صرخة إنذار لمن يعتادون الجلوس على الطرقات ويتخذون من المقاهي مجالس للتسلية والنظر لما حرم عليه.

ولله درَّ من قال :

كل الحوادث مبدأها من النظر		ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة بلغت في قلب صاحبها		كمبلغ السهم بين القوس والوتر

والعبد ما دام ذا طــــــــــرفٍ يقلبــه	في أعين الغيد موقوف على الخطر
يســـــرُ مُقْلَتَه ما ضَـــــــر مُهْجَتَــه	لا مرحبــا بسرور عــاد بالضرر

وقد أمرنا النبي ﷺ في سُنَّتِهِ المُشَرَّفَة بغض البصر ومن ذلك ما يلي :

(حديث أبي أمامة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :اكفلــوا لــي بست أكفل لكم بالجنة: إذا حدث أحدكم فلا يكذب و إذا ائتمن فلا يخن وإذا وعد فلا يخلــف و غضوا أبصاركم و كفوا أيديكم و احفظوا فروجكم .

(حديث سهل بن سعد في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال من يضمن لي ما بين لحييه و ما بين رجليه أضمن له الجنة .

وقد كان السلف الصالح أشد إيمانا وأكثر عملا ومع هذا فإنهم لا يأمنون على أنفســهم فتنة النساء.

◆فكان انس يقول: إذا مرت بك امرأة فغض عينك حتى تجاوزك

◆وكان الربيع ابن خثيم:

يمشي فمر به نسوه فغض بصره وأطرق حتى ظن النسوة انه أعمى فتعوذن بــالله مــن العمى.

◆وقال وكيع خرجنا مع الثوري في يوم عيد فقال: إن أول ما نبدأ به فــي يومنــا غــض أبصارنا

◆وخرج حسان بن أبي سنان يوم عيد : فلما عاد فقالت له امرأته كم من امرأة حسناء قد رأيت؟ فقال: والله ما نظرت إلا في إبهامي منذ خرجت من عندك إلى أن رجعت إليك.

الله اكبر إنها قلوب غفت عن الحرام فعوضها الله خيرا وأذاقها حلاوة الإيمان.

أين هؤلاء ممن يطلقون البصر ليل نهار.

أين هؤلاء ممن يتابع مشاهد الفجور في التلفاز والفضائيات.

أين هؤلاء ممن يجلسون على المقاهي والطرقات ينظرون إلى الغاديات والرائحات.

أين هؤلاء ممن يجلسون في الأندية ينظرون إلى كل رائحة وغادية.

◆قال الأصمعي : رأيت جارية في الطواف كأنها مهاة فجعلت أنظر إليها وأملأ عيني مــن محاسنها فقالت لي :يا هذا ما شأنك قلت :وما عليك من النظر فأنشأت تقول :

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

◆نظر رجل إلى امرأة عفيفة فقالت : يا هذا غض بصرك عما ليس لك تنفتح بصيرتك فترى ما هو لك . نفح الطيب للتلمساني ٥ / ٣١٤

◆والنظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرمية فإن لم تقتله جرحته وهي بمنزلة الشرارة من النار ترمى في الحشيش اليابس فإن لم يحرقه كله أحرقت بعضه كما قيل :

كل الحوادث مبدأها من النظـــر		ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبـها		فتك السهام بلا قوس ولا وتـــر
والمرء ما دام ذا عين يقلبـــها		في أعين الغير موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضـــــر مهجته		لا مرحبا بسرور عاد بالضـــــرر

☜والناظر يرمي من نظره بسهام غرضها قلبه وهو لا يشعر فهو إنما يرمي قلبه .

➢ولله درُ من قال :

يا راميا بسهام اللحظ مجتهـدا		أنت القتيل بما ترمي فلا تصب
وباعث الطرف يرتاد الشفاء له		توقــه إنــه يأتيك بالعطب

ولما كان النظر داعية إلى فساد القلب، كما قال بعض السلف: "النظر سهام سم إلى القلب"؛ ولذلك أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بحفظ الأبصار التي هي بواعث إلى ذلك، فقال: { قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ } . وحفظُ الفَرج تارةً يكون بمنعه من الزنى، كما قال { وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ } [المعارج:٢٩، ٣٠] أهـ .

➢ذم فضول النظر :

(حديث جرير بن عبد الله البجلي في صحيح مسلم) قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة فأمرني أن أصرف بصري.

(حديث بُريدة في صحيحي أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ قال لعلي يـا علـي لا تتبـع النظرةَ النظرة فإن لك الأولى وليس لك الآخرة .

وكذلك النظرة إذا أثرت في القلب فإن عجل الحازم بغضها وحسم المادة من أولهـا سـهل علاجه وإن كرر النظر نقب عن محاسن الصورة ونقلها إلى قلب متفرغ فنقشها فيه فكلمـا تواصلت النظرات كانت كالمياه تسقى بها الشجرة فلا تزال تنمي فيفسد القلب ويعرض عن الفكر فيما أمر به ويخرج بصاحبه إلى المحن ويوجب ارتكاب المحظورات ويلقى في التلف .

[*]⮜قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى :

والسبب في هذا الهلاك أن الناظر أول نظرة التذ بها فكررها يطلب الالتذاذ بالنظر مسـتهينا بذلك فأعقبه ما استهان به التلف ولو أنه غض عند أول نظرة لسلم في باقي عمره .

⮜ولله درُ من قال :

أنا ما بين عدوين هما قلبي وطرفي ... ينظر الطرف ويهوى القلب والمقصود حتفي .

وقال ابن الحريري .

فتبصـر ولا تشـم كـل بـرق ... رب بـرق فيـه صـواعق حـين .

واغضـض الطـرف تسـترح مـن غـرام ... تكتسـي فيـه ثـوب ذل وشـين .

فبلاء الفتى موافقة النفس ... وبدء الهوى طموح العين .

⮜التحذير من شر النظر:

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطـق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه .

[*] قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح :

قال ابن بطال : سُمِّيَ النظر والنطق زنا لأنه يدعو إلى الزنا الحقيقي ولذلك قـال والفـرج يصدق ذلك ويكذبه .

➢كم من نظرة تحلو في العاجلة ،مرارتها لا تطاق في الآجلة، يا بن آدم قلبك قلب ضعيف ،ورأيك في إطلاق الطرف رأي سخيف ، يا طفل الهوى متى يؤنس منك رشد ، عينك مطلقة في الحرام ولسانك مهمل في الآثام ، وجسدك يتعب في كسب الحطام، كم نظرة محتقرة زلت بها الأقدام .

➢يا عجباً للمشغولين بأوطارهم ،عن ذكر أخطارهم ، لو تفكروا في حال صفائهم في أكدارهم، لما سلكوا طريق اغترارهم ،ما يكفي في وعظهم وازدجارهم (قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)

➢أين أرباب الهوى والشهوات ، ذهبت والله اللذات وبقيت التبعات، وندموا إذ قدموا على ما فات، وتمنوا العودة وهيهات ، فتلمح في الآثار سوء أذكارهم (قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)

➢احذروا نظرة تفسد القلوب ، وتجني عليكم الذم والعيوب، وتسخط مولاكم عالم الغيوب.

➢أخرج الحافظ أبو نعيم ٍ في حلية الأولياء عن أبي عثمان سعيد بن الحكم ــ تلميذ ذي النون ــ قال، سئل ذو النون: ما سبب الذنب ؟ قال: اعقل ويحك ما تقول، فإنها من مسائل الصديقين. سبب الذنب النظرة، ومن النظرة الخطرة، فإن تداركت الخطرة بالرجوع إلى الله ذهبت، وإن لم تذكرها امتزجت بالوسواس فتتولد منها الشهوة وكل ذلك بعد باطن لم يظهر على الجوارح، فإن تذكرت الشهوة وإلا تولد منها الطلب، فإن تداركت الطلب وإلا تولد منه العقل .

➢أورد ابن الجزري رحمه الله تعالى في الزهر الفاتح عن الشبلي رحمه الله تعالى قال: رأيت فتى في الطواف تفرست فيه الخير، فنظر الفتى إلى امرأة كانت تطوف، وإذا بسهم قد أصاب عينه، فذهبت إليه وأخرجت من عينه السهم فإذا عليه مكتوب: نظرت بعينك إلى غيرنا فأعميناها، ولو نظرت بقلبك إلى غيرنا لكويناه.

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

قال بعض الصالحين: رأيت حداداً وهو يخرج الحديد من النار بيده ويقلبها بأصابعه، فقلت في نفسي: هذا عبد صالح، فدنوت منه وسلمت عليه، فرد علي السلام، فقلت له: يا سيدي، بالذي عليك بهذه المنزلة ألا ما دعوت الله لي، فبكى وقال: يا أخي، ما أنا من القوم الذين

تزعم ، ولكن أحدثك أمري، وذلك أني كنت كثير المعاصي والذنوب، فوقعت على امرأة من أحسن الناس وجهاً، فقالت لي: هل عندك شيء لله تعالى، فأخذت قلبي ؟ فقلت لها أمضي معي إلى البيت وادفع لك ما يكفيك، فتركتني وذهبت ثم عادت وهي تبكي، وقالت: والله لقد أحوجني الوقت إلى أن رجعت إليك، فأخذتها ومضيت بها إلى البيت ثم أجلستها، وتقدمت أليها، فإذا هي تضطرب كالسفينة في الريح العاصف، فقلت: مم اضطرابك، فقالت: خوفا من الله تعالى أن يرانا على هذه الحالة، فإن تركتني ولم تصبني فلا أحرقك الله بناره لا في الدنيا ولا في الآخرة.

فقمت عنها ودفعت لها ما كان عندي لله تعالى، فخرجت من عندي، وأغمي علي، فرأيت في النوم امرأة أحسن منها، فقلت لها: من أنت؟ فقالت: أنا أم الصبية التي جاءت إليك، هي من نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن يا أخي جزاك الله عني خيراً، ولا أحرقك الله بناره لا في الدنيا ولا في الآخرة، فانتبهت وأنا فرح مسرور فأنا من ذلك اليوم تركت ما كنت عليه من المعاصي، ورجعت إلى الله تعالى.

➢قال ابن الجزري رحمه الله تعالى في الزهر الفاتح :

حكي عن الحسن البصري رضي الله عنه أنه مشى خلف جزارة، فلما بلغ سكة الجزارة وقف وبكى بكاء شديداً، فقيل له في ذلك، لقال: كان ههنا رجل عابد، فدخل يوما هذه السكة، فرأى امرأة نصرانية، فافتتن بها فخاطبها، فامتنعت منه إلا أن يدخل في دين النصرانية، فغلب عليه الشيطان، ودخل في دينها، فلما سمعت المرأة بذلك خرجت إليه وبصقت في وجهه، وقالت له:أفٍ لك من رجل تركت دين الإسلام لشهوة ساعة ، وأنا تركت دين النصرانية لشهوة الأبد، فأسلمت وقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وحسن إسلامها.

﴿تنبيه﴾: ويجب على المسلم أن يغض بصره عن بيوت الناس :

[*] قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن النظر الحرام النظر إلى العورات وهي قسمان :عورة وراء الثياب ،وعورة وراء الأبواب. ا.هـ مدارج السالكين ج: ١ ص: ١١٧

[*] وقال ابن تيمية : وكما يتناول غض البصر عن عورة الغير وما اشبهها من النظر إلى المحرمات فإنه يتناول الغض عن بيوت الناس فبيت الرجل يستر بدنه كما تستره ثيابه

وقد ذكر سبحانه غض البصر وحفظ الفرج بعد آية الاستئذان ، وذلك أن البيوت سترة كالثياب التي على البدن ، كما جمع بين اللباسين فى قوله تعالى ﴿ والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم ﴾ فكل منهما وقاية من الأذى الذى يكون سموما مؤذيا كالحر والشمس والبرد وما يكون من بنى آدم من النظر بالعين واليد وغير ذلك . ا.هـ مجموع الفتاوى ١٥/ ٣٧٩

وقد بين النبي ﷺ في سنته الصحيحة أنما جعل الاستئذان من أجل البصر .

(حديث سهل بن سعد في الصحيحين) قال : اطَّلع رجلٌ من جحرٍ في حجرِ النبي ﷺ ومع النبي ﷺ مِدْرى يحكُ به رأسه فقال : لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك إنما جعل الاستئذان من أجل البصر .

(حديث عبد الله بن بسر في صحيح أبي داود) أن النبي ﷺ كان إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه و لكن من ركنه الأيمن أو الأيسر و يقول : السلام عليكم السلام عليكم .

كلمة إلى الذين يُطْلِقون أبصارهم ولا يغضونها :

إلى كل رجل أو امرأة نظرا إلى الحرام فليعلم الجميع :

أن هذه النظرة ما هي إلا سهم مسموم فان أصابك سهم قتلك فكيف وان هذا السهم مسموم.

لا تظن أن هذه النظرة ستروى ظمئك فما أنت بذلك إلا كالذي يشرب ن ماء البحر فكلما ازداد شربا ازداد عطشا ويظل هكذا حتى يقتله.

ولخطورة الأمر انظر إلى هذا الرجل الذي نظر إلى امرأة نصرانية فأعجبته ووقع حُبُها في قلبه فراودها عن نفسها فطلبت منه أن يتنصر فتنصر ومات على النصرانية ولو غض الطرف ما كان هذا.

ألم تسمع قوله تعالي: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} [غافر/١٩]

[*] قال ابن عباس في هذه الآية: هو الرجل يكون في القوم فتمر به المرأة فيريهم أنه يغض بصره عنها فان رأى منهم غفلة نظر إليها فان خاف أن يفطنوا إليه غض بصره وقد اطلع الله عز وجل من قلبه انه يود لو نظر إلى عورتها.

[*] سئل الجنيد بما يستعان على غض البصر؟

قال بعلمك أن نظر الله إليك اسبق إلى ما تنظر إليه.

[*] قال الإمام احمد :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل		خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة		ولا أن ما تخفي عليه يغيب

[*] وصدق أبو الأعلى المودودي حيث قال :

من الذي يكابر في أن كل ما يحدث في الدنيا إلى هذا اليوم ولا يزال يحدث فيها من الفحشاء والفجور باعثه الأول والأعظم هو فتنة النظر.

[*]➢غض البصر للنساء :

[*] قال النووي رحمه الله في شرحه على مسلم (٩٦/١٠): « الصحيح الذي عليه جمهور العلماء وأكثر الصحابة أنه يحرم على المرأة النظر إلى الأجنبي كما يحرم عليه النظر إليها لقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ولأن الفتنة مشتركة » .

[*] قال ابن الجوزي في أحكام النساء (٦٠):

« وينبغي للمرأة أن تغض طرفها عن الرجال ، كما يؤمر الرجال بالغض عنها ، وقد اختلفت الرواية عن أحمد بن حنبل – رحمه الله – فيما يجوز للمرأة أن ترى من الرجل الأجنبي ، فروى عنه ، أنه يجوز لها أن ترى منه ما ليس بعورة ، وروي عنه أنه يحرم عليها أن تنظر منه ما يحرم عليه أن ينظر منها. واعلم أن أصل العشق إطلاق البصر ، وكما يخاف على الرجل من ذلك يخاف على المرأة ، وقد ذهب دين خلق كثير من المتعبدين بإطلاق البصر وما جلبه ، فليحذر من ذلك » .

وقال أيضاً في (٤٣) : « ومن المنكرات اطلاع النساء على الشباب إذا اجتمعوا في

الدعوات لأنه لا يؤمن الفتنة » [٧٥] .

➢كيفية معالجة الهم والفكر المتولد عن النظر :

[*]➢قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى :

اعلم وفقك الله أنك إذا امتثلت المأمور به من غض البصر عند أول نظرة سلمت من آفات لا تحصى فإذا كررت النظر لم تأمن أن يزرع في قلبك زرعا يصعب قلعه فإن كان قد حصل ذلك فعلاجه الحمية بالغض فيما بعد وقطع مراد الفكر بسد باب النظر فحينئذ يسهل علاج الحاصل في القلب لأنه إذا اجتمع سيل فسد مجراه سهل نزف الحاصل ولا علاج للحاصل في القلب أقوى من قطع أسبابه ثم زجر الاهتمام به خوفا من عقوبة الله تعالى فمتى شرعت في استعمال هذا الدواء رُجِيَ لك قرب السلامة وإن ساكنت الهم ترقى إلى درجة العزم ثم حرك الجوارح .

[*]➢أورد الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى عن أبي بكر القرشي قال قيل لبعض الحكماء ما سبب الذنب ؟ قال الخطرة ،فإن تداركت الخطرة بالرجوع إلى الله ذهبت وإن لم تفعل تولدت عنها الفكرة ، فإن تداركتها بالرجوع إلى الله بطلت وإلا فعند ذلك تخالط الوسوسة .

➢من ابتلي بنظر الفجأة أن يداويه بإتيان امرأته :

(حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال :إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه .

(حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال :إن المرأة إذا أقبلت أقبلت في صورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن معها مثل الذي معها .

---

(٧٥) ينظر لزاماً : أحكام النظر وغائلته وما يجني على صاحبه ، وفوائد غض البصر في فتاوى ابن تيمية (١٥/١٤٠) تفسير سورة النور ، وكتاب روضة المحبين ونزهة المشتاقين للإمام ابن القيم (ص٨٣) .

[*]أورد الخرائطي رحمه الله تعالى في اعتلال القلوب عن الربيع بن خيثم أنه جاء إلى علقمة فدخل المسجد ، وكان في جانب المسجد جماعة من النساء فجعلن يمررن عليه في المسجد ، فغض بصره ، فلا يلتفت يمينا ولا شمالا .

ذكر ثواب من غض بصره عن الحرام :

تأمل في الحديث الآتي بعين البصيرة وأمْعِن النظر فيه واجعل له من سمعك مسمعا وفي قلبك موقِعاً عسى الله أن ينفعك بما فيه من غرر الفوائد ، ودرر الفرائد .

(حديث أبي أمامة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :اكفلوا لي بست أكفل لكم بالجنة: إذا حدث أحدكم فلا يكذب و إذا ائتمن فلا يخن وإذا وعد فلا يخلف و غضوا أبصاركم و كفوا أيديكم و احفظوا فروجكم .

في النهي عن النظر إلى المردان ومجالستهم :

[*]قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى :

اعلم وفقك الله أن هذا الباب من أعظم أبواب الفتن قد أهمل كثير من الناس مراعاته فإن الشيطان إنما يدخل على العبد من حيث يمكنه الدخول إلى أن يدرجه إلى غاية ما يمكنه من الفتن فإنه لا يأتي إلى العابد فيحسن له الزنا في الأول وإنما يزين له النظر والعابد والعالم قد أغلقا على أنفسهما باب النظر إلى النساء الأجانب لبعد مصاحبتهن وامتناع مخالطتهن والصبي مخالط لهما فليحذر من فتنته فكم قد زل فيها قدم وكم قد حلت من عزم وقل من قارب هذه الفتنة إلا وقع فيها .

وعلى منهج الحذر مضى سلف هذه الأمة وبه أمر العلماء الأئمة .

[*]أورد الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى عن أبي سهل قال سيكون في هذه الأمة قوم يقال لهم اللوطيون على ثلاثة اصناف فصنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل .

قال أبو بكر بن أيوب : سمعت إبراهيم الحربي يقول جنبوا أولادكم قرناء السوء قبل أن تصبغوهم في البلاء كما يصبغ الثوب .

قال وسمعته يقول أول فساد الصبيان بعضهم من بعض .

وقال علي بن محمد بن أبي صابر الدلال : وقفت علي الشبلي في قبة الشعراء في جامع المنصور والناس مجتمعون عليه فوقف عليه في الحلقة غلام لم يكن ببغداد في ذلك الوقت أحسن وجها منه يعرف بابن مسلم فقال له تنح فلم يتنح فقال له الثانية تنح يا شيطان عنا فلم يتنح فقال له الثالثة تنح وإلا والله خرقت كل ما عليك .

➢فوائد غض البصر :

---

[*]➢قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه إغاثة اللهفان :

غض البصر عن المحارم يوجب ثلاث فوائد عظيمة الخطر، جليلة القدر:

➢(الفائدة الأولى) : حلاوة الإيمان ولذته، التي هي أحلى وأطيب وألذ مما صرف بصره عنه وتركه لله تعالى فإن من ترك شيئا لله عوضه الله عز وجل خيرا منه، والنفس مولعة بحب النظر إلى الصور الجميلة، والعين رائد القلب. فيبعث رائده لنظر ما هناك، فإذا أخبره بحسن المنظور إليه وجماله، تحرك اشتياقا إليه، وكثيرا ما يتعب ويتعب رسوله ورائده كما قيل:

وكُنْتَ مَتَى أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا لقلبكَ يَوْماً أَتْعَبَتْكَ المنَاظِرُ
رَأَيْتَ الذي لا كُلَّهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ ولا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرُ

فإذا كف الرائد عن الكشف والمطالعة استراح القلب من كلفة الطلب والإرادة، « فمن أطلق لحظاته دامت حسراته»، فإن النظر يولد المحبة. فتبدأ علاقة يتعلق بها القلب بالمنظور إليه. ثم تقوى فتصير صبابة. ينصب إليه القلب بكليته. ثم تقوى فتصير غراما يلزم القلب، كلزوم الغريم الذي لا يفارق غريمه. ثم يقوى فيصير عشقا. وهو الحب المفرط. ثم يقوى فيصير شغفا. وهو الحب الذي قد وصل إلى شَغاف القلب وداخله. ثم يقوى فيصير تتيماً. والتتيم التعبد ومنه تيمه الحب إذا عَبَّده. وتيم الله عبد الله. فيصير القلب عبدا لمن لا يصلح أن يكون هو عبدا له. وهذا كله جناية النظر فحينئذ يقع القلب في الأسر. فيصير أسيرا بعد أن كان ملكا، ومسجونا بعد أن كان مطلقا. يتظلم من الطرْف ويشكوه. والطرْف يقول: أنا رائدك ورسولك، وأنت بعثتني ، «وهذا إنما ابتُلى به القلوب الفارغة من حب الله

والإخلاص له»، فإن القلب لا بد له من التعلق بمحبوب. فمن لم يكن الله وحده محبوبه وإلهه ومعبوده فلا بد أن ينعقد قلبه لغيره. قال تعالى عن يوسف الصديق عليه السلام:

{كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف: ٢٤]. فامرأة العزيز لما كانت مشركة وقعت فيما وقعت فيه، مع كونها ذات زوج، ويوسف عليه السلام لما كان مخلصا لله تعالى نجا من ذلك مع كونه شابا عزَبا غريبا مملوكا.

➢(الفائدة الثانية) : نور القلب وصحة الفراسة.

[*]➢قال أبو شجاع الكرماني : « من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وكف نفسه عن الشهوات، وغض بصره عن المحارم، واعتاد أكل الحلال لم تخطئ له فراسة»وقد ذكر الله سبحانه قصة قوم لوط وما ابتلوا به، ثم قال بعد ذلك:

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ} [الحجر: ٧٥].

وهم المتفرسون الذين سلموا من النظر المحرم والفاحشة، وقال تعالى عقيب أمره للمؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم:

{اللهُ نُورُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ} [النور: ٣٥].

وسر هذا الخبر: أن الجزاء من جنس العمل. فمن غض بصره عما حرم الله عز وجل عليه عوضه الله تعالى من جنسه ما هو خير منه، فكما أمسك نَوَّرَ بصره عن المحرمات أطلق الله نور بصيرته وقلبه، فرأى به ما لم يره من أطلق بصره ولم يغضه عن محارم الله تعالى، وهذا أمر يحسه الإنسان من نفسه. فإن القلب كالمرآة، والهوى كالصدأ فيها. فإذا خلصت المرآة من الصدأ انطبعت فيها صورة الحقائق كما هي عليه. وإذا صدئت لم ينطبع فيها صورة المعلومات. فيكون علمه وكلامه من باب الخرص والظنون.

➢(الفائدة الثالثة) :قوة القلب وثباته وشجاعته، فيعطيه الله تعالى بقوته سلطان النُصْرَة، كما أعطاه بنوره سلطان الحجة، فيجمع له بين السلطانين، ويهرب الشيطان منه، كما في الأثر:

"إنَّ الذي يُخَالِفُ هَوَاهُ يَفْرَقُ الشَّيْطَانُ مِنْ ظِلِّهِ".ولهذا يوجد في المُتَبِعِ هواه من ذل النفس وضعفها ومهانتها ما جعله الله لمن عصاه، فإنه سبحانه جعل العز لمن أطاعه والذل لمن عصاه. قال تعالى:{وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون: ٨] وقال تعالى: {وَلَا تَهِنُوا

وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٣٩] وقال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِـــــــــــزَّةَ فَلِلَّـــــــــــهِ الْعِـــــــــــزَّةُ جَمِيعـــــــــــاً} [فـــــــاطر: ١٠].

أي «من كان يطلب العزة فليطلبها بطاعة الله : بالكلم الطيب، والعمــل الصـــالح»، وقــال بعض السلف: "الناس يطلبون العز بأبواب الملوك ولا يجدونه إلا في طاعة الله"

وقال الحسن: "وإن هَمْلَجَتْ بهم البراذين، وطقطقت بهم البغال إن ذل المعصية لفي قلوبهم، «أبى الله عز وجل إلا أن يُذِلَّ من عصاه»، وذلك أن من أطاع الله تعالى فقد والاه، ولا يذل مـــــــــــن والاه الله، كمــــــــــا فـــــــــــي دعــــــــــاء القنـــــــــــوت: "إِنَّهُ لا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ وَلا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ".

➢الحزر طريق السلامة :

[*]➢قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه صيد الخاطر :

من قارب الفتنة بعدت عنه السلامة ، و مــن ادعــى الصــبر ، و كــل إلــى نفســه .

و رب نظرة لم تناظر ! و أحق الأشياء بالضبط و القهر : اللسان و العين . فإياك إيــاك أن تغتر بعزمك على ترك الهوى ، مع مقاربة الفتنة ، فإن الهوى مكايد، و كم من شــجاع في صف الحرب اغتيل ، فأتاه ما لم يحتسب ممن يأنف النظر إليه ! و اذكر حمــزة مــع و حشي .

(٣) التفكر والتذكر:

وذلك باب واسع جداً، والمقام لا يتسع إلا لأقل القليل؛ فليتفكر العاشق في خطواته إلى لقاء محبوبه، وأنها مع ما فيها من ضم جراح إلى جراح مكتوبة عليه، وهو مطالب بها.

وليتفكر في مكالمته محبوبَه؛ فإنه مسؤول عنها، مع ما فيها من إلهاب نار الحب .

وليتذكرْ هاذم اللذات، وشدة النزع، وليتفكر في حال الموتى الذين حبســوا علــى أعمــال تجاوزوا فيها؛ فليس منهم من يقدر على محو خطيئة؛ ولا على زيادة حسنة؛ فلا تَعْثُ يــا مطلق!.

وليتصور عَرْضَه على ربه، وتخجيله له بمضيض العتاب.

وليتخيل شهادة المكان الذي وقعت فيه المعصية.

وليمثل في نفسه عند بعض زلله كيف يؤمر به إلى النار التي لا طاقة لمخلوق بها.

وليتصور نفاد اللذة، وبقاء العار والعذاب.

وليتذكر أنه لا يرضى لأحد من محارمه أن يكون معشوقاً؛ إذا كان ذا غيرة، فكيف يرضى ذلك المصير لغيره؟

(٤) البُعد عن المعشوق :

فكل بعيد عن البدن يُؤَثِّر بعده في القلب؛ فليصبر على البعد في بداية الأمر صبر المصاب في بداية مصيبته، ثم إن مَرَّ الأيام يهون الأمر.

فليبتعد عن المحبوب، فلا يراه، ولا يسمع كلامه، ولا يرى ما يذكره به ، وهذا أمرٌ مهمٌ – أيها الإخوة– لدرجة أن بعض العلماء قالوا في علاج مثل هذه الحالات المشكلة: أن يبتعد الشخصان عن بعضهما حتى لا يرى أحدهما الآخر، ولا يسمع له خبراً، ولا يقف له على أثر، وإن كان في حي هو معه فيه، فإنه ينتقل إلى حي آخر، وإذا لم ينته الأمر بهذا، فإنه يترك بلده للبلد الآخر، فإن هذه الهجرة في سبيل الله، ولكن من استعان بالله قد لا يضطر إلى اللجوء إلى هذه الحلول، أما إذا تضايقت الأمور، ولم يتمكن الإنسان من علاج نفسه إلا بالمفارقة الكلية، فلا بد من فعلها والإقدام عليها.

(٥) الاشتغال بما ينفع: فقد مر، قبل قليل أن من أسباب العشق الفراغَ؛ لذلك فكل ما يشغل القلب من المعاش، والصناعات، والقيام على خدمة الأهل، ونحو ذلك فإنه يسلي العاشق ؛ لأن العشق شغل الفارغ كما مر فهو يمثل صورة المعشوق في خلوته؛ لشوقه إليها؛ فيكون تمثيله لها إلقاء في باطنه؛ فإذا تشاغل بما يوجب اشتغال القلب بغير المحبوب درس الحبُّ، ودثر العشق، وحصل التناسي.

(٦) الزواج : ولو بغير من عشقها؛ فإن في الزواج كفاية وبركة وسلوة، وإن كان متزوجاً فليكثر من الجماع؛ فإنه دواء ووجه كونه دواء أنه يقلل الحرارة التي منها ينتشر العشق . وإذا ضعفت الحرارة الغريزية حصل الفتور، وبرد القلب؛ فخمد لهب العشق (٧٦).

فإن كان المعشوق امرأة يمكن الزواج بها فليفعل؛ فذلك من أنفع الدواء؛ لأن النكاح يزيل

---

(٧٦) ذم الهوى ص ٤٧٦.

العشق، وإن تعسر فليلجأ إلى الله في تسهيله، وليعامله بالصبر على ما نهى عنه، فربما عجل مراده.

وإن عجز عن ذلك، أو كان المعشوق لا سبيل إلى تحصيله كذات الزوج فليلازم الصبر؛ وليسأل الله السلو.

(٧) عيادة المرضى وتشييع الجنائز، وزيارة القبور، والنظر إلى الموتى، والتفكر في الموت وما بعده؛ فإن ذلك يطفىء نيران الهوى كما أن سماع الغناء واللهو يقويه؛ فما هو كالضد يضعفه.

(٨) مواصلة مجالس الذكر: ومجالسةُ الزهاد، وسماع أخبار الصالحين.

ط_قطع الطمع باليأس، وقوةُ العزم على قهر الهوى: فإن أول أسباب العشق الاستحسان، سواء تولَّد عن نظر، أو سماع، فإن لم يقارنه طمع في الوصال، وقارنه الإياس من ذلك_لم يحدث له العشق .

فإن اقترن به الطمع، فصرفه عن فكره، ولم يشتغل قلبه به لم يحدث له ذلك.

فإن أطال مع ذلك الفكرَ في محاسن المعشوق، وقارنه خوفُ ما هو أكبر عنده من لذة وصاله، إما خوف من دخول النار، وغضب الجبار، وادخار الأوزار، وغلب هذا الخوف على هذا الطمع_لم يحدث له العشق.

فإن فاته هذا الخوفُ، فقارنه خوف دنيوي كخوف إتلاف نفسه، أو ماله، أو ذهاب جاهه، وسقوط مرتبته عند الناس، وسقوطه من عين من يعز عليه، وغلب هذا الخوف لداعي العشق دفعه.

وكذلك إذا خاف من فوات محبوب هو أحب إليه، وأنفع من ذلك المعشوق، وقدم محبته على محبة ذلك المعشوق اندفع عنه العشق.

(٩) المحافظة على الصلاة:

وإعطاؤها حقها من الخشوع، والتكميل لها ظاهراً وباطناً.

قال تعالى : (إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) [العنكبوت: ٤٥]

[*]<قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : فإن الصلاة فيها دفع مكروه، وهو الفحشاء والمنكر، وفيها تحصيل محبوب وهو ذكر الله [٧٧].

(١٠) زجر الهمة الأبية: عن مواقف الذل، واكتساب الرذائل، وحرمان الفضائل؛ فمن لم تكن له همة أبية لم يكد يتخلص من هذه البلية؛ فإن ذا الهمة يأنف أن يملك رقَّه شيء، وما زال الهوى يذل أهل العز.

وهذا الذل لا يحتمله ذو أنفة؛ فإن أهل الأنفة حملهم طلب علو القدر على قتل النفوس، وإجهاد الأبدان في طلب المعالي ، ونحن نرى طالب العلم يسهر ويهجر اللذات؛ أنفة من أن يقال له: جاهل، والمسافر يركب الأخطار؛ لينال ما يرفع قدره من المال؛ حتى إن رُذالة الخَلْق ربما حملوا كثيراً من المشاق؛ ليصير لهم قدر؛ وهذا القائل يقول:

وكل امرىء قاتلٌ نفسَه		على أن يقال له: إنه [٧٨]

فأما من لا يأنف الذل، وينقاد لموافقة هواه_فذاك خارج عن نطاق المتميزين.

(١١) التفكر في عيوب المعشوق :

من الأشياء التي يستطاع أن يتغلب بها على هذا الأمر أمور كثيرة منها: قال ابن مسعود : [إذا أعجبت أحدكم امرأة، فليتذكر مناتنها] مناتنها: جمع منتن، المكان الذي يكون فيه النتن، والوسخ، والقذارة، إذا أعجبت أحدكم امرأة فليتذكر مناتنها، هذا التذكر للمناتن يساعد على التخلص من عشق هذه المرأة، ونفس القضية بالنسبة للمرأة مع الرجل، فتتذكر مناتنه، لأن كل مخلوق من البشر فيه مناتن؛ بول، وعذرة، وعرق، ورائحة كريهة، وبخرٌ يخرج من الفم من جراء هضم الطعام في المعدة، هذه المناتن والقبائح التي تكون في الشخص تذكرها يعين على الخلاص من هذه المشكلة. ويضرب ابن الجوزي رحمه الله في صيد الخاطر مثلاً آخر لهذا الموضوع، فيقول: إن العقل يغيب عند استحلاء تناول المشتهى من الطعام عن التفكر في تقلبه في الفم وبلعه، الآن عندما يرى الإنسان طبقاً من الطعام جميل وشهي، ويسيل اللعاب عند رؤية هذا الطعام، الإنسان عندما يأكل الطعام في

(٧٧) العبودية ص ١٠٠.
(٧٨) ذم الهوى ٤٧٩.

العادة هل يتذكر هذا الرجل صورة هذا الطعام وهذا اللحم المشوي، أو هذه الفاكهة اللذيذة، أو هذه الخضار الناضجة، هل يتذكر وهو يأكلها في الغالب كيف يكون في فمه وهو يطحن واللعاب يختلط به، وكيف ينزل إلى المعدة فتنزل عليه العصارات، فتشوه شكله بالكلية، إنك لو أكلت أشهى لقمة من لحم مشوي، فمضغتها في فمك، ثم أخرجتها من فمك لأي سبب كيف يكون شكلها؟ تأمل، كيف يكون شكل هذه اللقمة بعد إخراجها من فمك ومضغها. إذاً تدبر مناتن من تتعلق بهم من الأمور المساعدة على صرف التعلق، وعلى صرف النظر عن هؤلاء الأشخاص؛ لأن لكل أشخاص قبائح، ولكن المشكلة أن كثيراً من الناس يفتنون بظاهر الشخص، لا يعرفون عيوبه الداخلية، فلو قدر لهم معرفة عيوبه الداخلية لما فتنوا به. فيقول ابن القيم رحمه الله: والداخل في الشيء لا يرى عيوبه، والخارج منه الذي لم يدخل فيه لا يرى عيوبه، ولا يرى عيوبه إلا من دخل فيه ثم خرج منه -الذي يدخل في الشيء، لأن الذي هو داخل فيه لا يرى عيوبه، والشخص الخارج تماماً الذي ما دخل لا يرى عيوبه، من الذي يرى عيوبه؟ الذي دخل ثم خرج، ثم قال جملةً جميلةً- ولهذا كان الصحابة الذين دخلوا في الإسلام بعد الكفر خيراً من الذين ولدوا في الإسلام؛ لأنهم عرفوا حلاوة الإسلام لما كانوا في الجاهلية ثم خرجوا إلى الإسلام، فعرفوا بالمقارنة مناتن الجاهلية، وعرفوا حال الشقاء الذي كانوا يعيشونه، فكانت المقارنة، وانتقالهم من تلك الحال إلى هذه الحال من أكبر الأمور التي أعانتهم على التشبث بهذا الإسلام، ومعرفة حلاوته وذوقها، والعيش فيها بأحسن صورة وأجمل حال، وهذا الأمر ليس مطرداً طبعاً، لا يعني أن كل من ولد في الإسلام هو دون من كان في الجاهلية ثم انتقل إلى الإسلام، لكن من الأمور التي تعين على معرفة العيوب أن يكون الإنسان في الشيء ثم يخرج منه إلى الصورة الصحيحة، عند ذلك يعرف الأمر تماماً.

[*]➢قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى : فإن الآدمي محشو بالأنجاس والأقذار، وإنما يرى العاشق معشوقه في حال الكمال، ولا يصور له الهوى عيباً؛ لأن الحقائق لا تنكشف إلا مع الاعتدال، وسلطان الهوى حاكم جائر، يغطي المعايب فيرى العاشقُ القبيحَ من معشوقه حسناً [٧٩].

(٧٩) ذم الهوى ص ٤٨٦.

وقال أيضاً :وقال الحكماء: عين الهوى عوراء.

وبهذا السبب يعرض الإنسان عن زوجته، ويؤثر عليها الأجنبية، وقد تكون الزوجة أحسن.

والسبب في ذلك أن عيوب الأجنبية لم تَبِنْ له، وقد تكشفها المخالطة.

ولهذا إذا خالط هذه المحبوبة الجديدة، وكشفت له المخالطة ما كان مستوراً مـلَّ، وطلب أخرى إلى ما لا نهاية له [٨٠].

وقال أيضاً :فاستعمال الفكر في بدن الآدمي، وما يحوي من القذارة، وما تستر الثياب من المستقبح يهون العشق؛ ولهذا قال ابن مسعود: إذا أعجبت أحدكم امرأة فليذكر مناتنها

.

وقال بعض الحكماء: من وجد ريحاً كريهة من محبوبه سلاه، وكفى بالفكر في هذا الأمر دفعاً للعشق [٨١].

قال أبو نصر بن نباتة:

ما كنت أعرف عيبَ من أحببتُه		حتى سلوت فصرت لا أشتاق
وإذا أفاق الوجد واندمل الهوى		رأت القلوب ولم تر الأحداق[٨٢]

ولهذا تجد العاشق يغالي في المعشوق، ويُصَوِّر له في قلبه ما يصور؛ لأن عقله شبه غائب، مع أن أقرب الناس للمعشوق، وأعرفهم به لا يرون له ذلك الشأن؛ بل ربما رأوه أقل من ذلك بكثير، بل ربما لم يروا له فضلاً البتة.

(١٢) تَصَوُّر فقدِ المحبوب :

إما بموته، أو بفراق يحدث عن غير اختيار، أو بنوع ملل، فيزول ما أوجب المحن الزائدة على الحد التي خسر بها المحب جاه الدنيا والدين.

(١٣) النظر في العاقبة :

أفترى يوسف_عليه السلام_لو زلَّ من كان يكون؟ .

فالعاقل إذاً هو من وزن ما يحتوي عليه العشق من لذة ونُغصَة؛ فنُغَصُهُ كثيرة، وأذاه شديد، وغالب لذاته محرم، ثم هي مشوبة بالغموم، والهموم، وخوف الفراق، وفضيحة

---

(٨٠) ذم الهوى ص ٤٨٦.

(٨١) ذم الهوى ص ٤٨٦.

(٨٢) ذم الهوى ص ٤٨٦_٤٨٧.

الدنيا، وحسرات الآخرة؛ فيعلم الموازنُ بين الأمرين، الناظرُ في العاقبة أن اللذة مغمورة في جنب الأذى.

وأفضل الناس من لم يرتكب	حتى يفكر ما تجني عواقبه[٨٣]

(١٤) أن يعلم المبتلى أن الابتلاء سبب لظهور جواهر الرجال :

فربما ابتلي الإنسان بذلك، فإن صبر ظهر فضله، وكمل سؤدده، ونقل إلى مرتبة أعلى، وربما نال محبة خالقه تلك المحبة التي تملأ قلبه، وتغنيه عن كل محبة.

(١٥) النظر فيما يُفَوِّتُه التشاغل بالعشق من الفضائل:

فإن أرباب اليقظة عشقُهم للفضائل من العلوم، والعفة، والصيانة، والكرم، وغير ذلك من الخلال المحمودة أوفى من ميلهم إلى شهوات الحس؛ لأن شهوات الحس حظ النفس، وتلك الخلال حظ العقلِ والنفسُ الناطقة الفاضلة إلى ما يُؤْثِر العقلُ أميلُ، وإن جرَّها الطبع إلى الشهوات الحسية.

هذه بعض الأسباب المعينة على علاج العشق، الواقية_بإذن الله_لمن لم يقع فيه.

فحري بمن أخذ بها أن يُعان، ويوفَّق؛ فإن جاهد، وصابر، ثم بقي بعد ذلك في قلبه ما بقي فإنه لا يلام عليه.

[*]< يقول الجنيد رحمه الله تعالى : الإنسان لا يعاب بما في طبعه، إنما يعاب إذا فعل بما في طبعه [٨٤].

[*]<قال ابن حزم رحمه الله تعالى : =لا عيب على من مال بطبعه إلى بعض القبائح ولو أنه أشد العيوب وأعظم الرذائل، ما لم يظهره بقول أو فعل.

بل يكاد يكون أحمدَ ممن أعان طبعه على الفضائل.

ولا تكون مغالبة الطبع الفاسد إلا عن قوة عقل فاضل [٨٥].

[*]<قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى بعد إيراده عدداً من الأدوية النافعة لداء العشق:

فإن قال قائل: فما تقول فيمن صبر عن حبيبه، وبالغ في استعمال الصبر، غير أن خيال الحبيب في القلب لا يزول، ووسواس النفس به لا ينقطع؟ .

---

(٨٣) ذم الهوى ص ٤٩٣.

(٨٤) ذم الهوى ص ٤٩٧.

(٨٥) الأخلاق والسير ص ٧٨_٧٩.

فالجواب: أنه إذا كففت جوارحك فقد قطعت موادَّ الماء الجاري، وسنيضب ما حصل في الوادي مع الزمان، خصوصاً إذا طلعت عليه شمسُ صيف الخوف، ومرت به سَمُومُ المراقبة لمن يرى الباطن فما أعجل ذهابه.

ثم استغث بمن صَبَرْتَ لأجله، وقل: إلهي! فعلتُ ما أطقتُ؛ فاحفظ لي ما لا طاقة لي بحفظه (٨٦).

[*]➢وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في معرض حديث له عن العشق، وعلاجه: وميلُ النفس إلى النساء عام في طبع جميع بني آدم، وقد يبتلى كثير منهم بالميل إلى الذكران كالمردان، وإن لم يكن بفعل الفاحشة الكبرى كان بما هو دون ذلك من المباشرة، وإن لم تكن كان بالنظر، ويحصل للنفس بذلك ما هو معروف عند الناس.

وقد ذكر الناس من أخبار العشاق ما يطول وصفه؛ فإذا ابتلي المسلم ببعض ذلك كان عليه أن يجاهد نفسه في طاعة الله_تعالى_وهو مأمور بهذا الجهاد، وليس هو أمراً حرَّمه على نفسه؛ فيكون في طاعة نفسه وهواه.

بل هو أمر حرَّمه الله ورسوله، ولا حيلة فيه؛ فتكون المجاهدة للنفس في طاعة الله ورسوله (٨٧).

وقال في موضع آخر: وليتخذ ورداً من الأذكار في النهار، ووقت النوم، وليصبر على ما يعرض له من الموانع والصوارف؛ فإنه لا يلبث أن يؤيده الله بروح منه، ويكتب الإيمان في قلبه.

وليحرص على إكمال الفرائض من الصلوات الخمس، باطنة وظاهرة؛ فإنها عمود الدين.

وليكن هِجِّيراه لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها بها تحمل الأثقال، وتكابد الأهوال، وينال رفيع الأحوال (٨٨).

وقال : فأما إذا ابتلي بالعشق وعف وصبر فإنه يثاب على تقوى الله.

وقد روي في الحديث أن =من عشق فعف، وكتم، وصبر، ثم مات كان شهيداً (٨٩).

---

(٨٦) ذم الهوى ص ٤٩٦.

(٨٧) مجموع الفتاوى ١٤/ ٢٠٧.

(٨٨) مجموع الفتاوى ١٠/ ١٣٧.

(٨٩) مضى تخريج الحديث، ص ١٧٠.

وهو معروف من رواية يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً، وفيه نظر، ولا يحتج بهذا.

لكن من المعلوم بأدلة الشرع أنه إذا عف عن المحرمات نظراً، وقولاً، وعملاً، وكتم ذلك فلم يتكلم به حتى لا يكون في ذلك كلام محرم: إما شكوى إلى المخلوق، وإما إظهار فاحشة، وإما نوع طلب للمعشوق.

وصبَرَ على طاعة الله، وعن معصيته، وعلى ما في قلبه من ألم العشق كما يصبر المصاب عن ألم[٩٠] المصيبة فإن هذا يكون ممن اتقى الله وصبر[٩١].

وقال في موضع آخر: فإن الله أمر بالتقوى والصبر؛ فمن التقوى أن يعف عن كل ما حرم الله، من نظر بعين، ومن لَفْظ بلسان، ومن حركة برجل.

والصبر أن يصبر عن شكوى ما به إلى غير الله؛ فإن هذا هو الصبر الجميل.

وأما الكتمان فيراد به شيئان:

أحدهما: أن يكتم بثَّه وألمه، ولا يشكو إلى غير الله؛ فمتى شكى إلى غير الله نقص صبره.

وهذا أعلى الكتمانين، ولكن هذا لا يصبر عليه كلُّ أحد، بل كثير من الناس يشكو ما به، وهذا على وجهين: فإن شكى إلى طبيب يعرف طبَّ النفوس؛ ليعالج نفسه بعلاج الإيمان؛ فهو بمنزلة المستفتي، وهذا حسن.

وإن شكى إلى من يعينه على المحرم فهذا حرام، وإن شكى إلى غيره؛ لما في الشكوى من الراحة_كما أن المصاب يشكو مصيبته إلى الناس من غير أن يقصد تعلُّم ما ينفعه، ولا الاستعانة على معصيته فهذا ينقص صبره، لكن لا يأثم مطلقاً إلا إذا اقترن به ما يحرم، كالمصاب الذي يتسخط.

والثاني: أن يكتم ذلك فلا يتحدث به مع الناس؛ لما في ذلك من إظهار السوء والفحشاء؛ فإن النفوس إذا سمعت مثل هذا تحركت، وتشهَّت، وتمنت، وتتيمت.

والإنسان متى رأى، أو سمع، أو تخيَّل من يفعل ما يشتهيه كان ذلك داعياً إلى الفعل[٩٢].

(١٦) أن يعلي همته ويتدبر قصة يوسف :

---

(٩٠) هكذا وردت في الأصل ولعلها: على.

(٩١) مجموع الفتاوى ١٠/ ١٣٣.

(٩٢) مجموع الفتاوى ١٤/ ٢٠٧_٢٠٩.

وكذلك أن يعلي الإنسان همته، فيحاول أن يصل إلى معالي الأمور، وليس سفسافها وحقيرها. وكذلك تدبر قصة يوسف عليه السلام، لأنها من أنفع الأشياء، حتى قال ابن القيم رحمه الله: وفي هذه القصة نحواً من ألف فائدة، ولعل الله أن يعينني لإفرادها بمصنفٍ مستقلٍ، يقول ابن القيم في الجواب الكافي : ألف فائدة. وكذلك البعد عن أسباب الفتنة، وكتمان العاطفة، فإنه من الحزن كتمان العاطفة.

باب زَلَة الأقدام في العشق الحرام

[*]عناصر الباب :

- نداء إلى من يزين الشيطان له أنه جميل جذاب وأن الطرف الآخر معجب به أشد الإعجاب :
- من الذي يفتح المجال للعشق الحرام الرجل أم المرأة :
- كيف يقع العشق المحرم :
- ماذا تصنع المرأة الفاسدة لتصل إلى معشوقها :
- سوء عاقبة المرأة الفاسدة التي قبلت الإفساد على زوجها :
- ماذا يصنع العاشق المحتال حينما تصل إليه معشوقته :

وهاك تفصيل ذلك في إيجازٍ غيرِ مُخِّلٍ :

نداء إلى من يزين الشيطان له أنه جميل جذاب وأن الطرف الآخر معجب به أشد الإعجاب :

وقد يزين الشيطان للفتى أو الفتاة أنه جميل جذاب وأن الطرف الآخر معجب به أشد الإعجاب. وإذا مشى في الأسواق أو ضاحك الرفاق ظن أنه يلفت الأنظار ويفتن الواقف والمارّ فيدفعه ذلك للتعرض والتبذل ويحتال عليه أصحاب الشهوات حتى يعبثوا به أو بها فإذا قضوا شهواتهم منه أو منها ذهبوا يبحثون عن فريسة أخرى. ولو أنه ترفع عن ذلك، واشتغل بما خلق من أجله، لكان أسلم لدينه وعقله.

وتأمل بعين البصيرة في حال يوسف عليه السلام، الذي أوتي من البهاء والحسن والجمال، ما يفوق الخيال،

تراوده الملكة، وهو عبد مملوك، اشتراه زوجها بثمن بخس، ليخدمها، وهو إلى ذلك غريب لا يخشى فضيحة، شاب أعزب تشتاق نفسه إلى مثلها، وهي ذات منصب وجمال، وهي تتوعده بالسجن والصغار، وتراوده، وتبذل كلَّ ما عندها لإغرائه، أسرعت إلى أبوابها فغلقتها، وإلى ثيابها فجملتها، وإلى فرشها فزينتها، ثم قالت في تغنج ودلال: هيت لك، فيصرخ بها العفيف عليه السلام (مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) [يوسف: ٢٣]

بل تأمل في حاله عليه السلام لما جمعت امرأة العزيز زوجات الكبراء، وحليلات الأمراء، ووضعت لهن أطايب الفاكهة، وآتت كل واحدة منهن سكيناً، ثم جعلت يوسف يمرّ أمامهن، فلما رأينه، ما تحملن النظر إليه، وغابت عقولهن من حسنه وبهائه، فقطعن أيديهن بالسكاكين، وقلن (حَاشَ لِلّهِ مَا هَـذَا بَشَراً إِنْ هَـذَآ إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ) [يوسف: ٣١]

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن ؟

هل التفت يوسف إليهن؟ أو اغترّ بشبابه وجماله؟ كلا، بل صاح بأعلى صوته (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ) [يوسف: ٣٣]

قال تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [يوسف: ٣٤]

نعم السجن خير له من الفاحشة .

➢من الذي يفتح المجال للعشق الحرام الرجل أم المرأة :

الذي يفتح المجال للعشق الحرام هي المرأة بلا شك ، وذلك لأن الافتتان بالمرأة له ركنان متلازمان أحدهما من المرأة ولابد أن تكون هي البادئة والثاني من الرجل .

والجدير بالذكر أن هذين الركنين مجتمعين في قوله تعالى من سورة الأحزاب: (فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً) [الأحزاب / ٣٢]

☜فأما الركن الذي من المرأة : فهي أن تخضع بالقول والعياذ بالله ، والخضوع بالقول هو أن تلين الكلام وترقق الكلام مع الرجال الأجانب ، « ولولا أن المرأة ألانت الجانب ما اقترب منها أحدٌ من الأجانب ، ولا أظهروا لها المخالب ، ولو كانت غير ذلك ما كانت مطمعاً لكل هالك »

فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ : أي لا تلن في الكلام فيطمع الذي في قلبه فجور ،وإذا كانت الآية في حق أمهات المؤمنين رضي الله عنهن فغيرهن من باب أولى !

[*] قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤٠٩/٧):

« ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم ، أي : لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها » ا.هـ.

[*] قال الإمام ابن القيم في إغاثة اللهفان (١٤/١) :

« أَمَرَهُنَّ أن لا يلن كلامهن كما تلين المرأة المعطية الليان في منطقها فيطمع الذي في قلبه مرض الشهوة » .

➢والمرأة ينبغي لها إذا خاطبت الأجانب أن تقوي كلامها ، فإن ذلك أبعد من الريبة والطمع فيها ،ولا تلينه وتكسره ، لأن ذلك يغري بها الرجال وتكون فتنة لهم [٩٣] .

☜وأما الركن الذي من الرجل لكي يفتتن بالمرأة التي خضعت بالقول : أن يكون الرجل مريض القلب والعياذ بالله ، ومرض القلب هنا هو التشوفُ للفجور والعياذ بالله تعالى من ذلك ، فلو كان الرجل تقياً نقياً لما تَهَافَت على كل من ظهر منها اللين ، فلو كان عنده صلابةٌ في الدين لصان أعراض المسلمين ، ونأى بنفسه عن أي فعلٍ مَشِين ، وأصدق دليلٍ على ذلك قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز ، فهي امرأةٌ ذات منصب وجمال وقد راودته عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك ، لكنه عليه السلام من عباد الله المخلصين صادقاً النية في عدم الاقتراب من الرذيلة فضلاً عن الانغماس فيها فكان حقاً على الله تعالى أن يُنَجِّيْه ، فأنجاه بحوله وقوته وعصمه بعصمته قال تعالى: (وَرَاوَدَتْهُ الّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نّفْسِهِ وَغَلّقَتِ الأبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنّهُ رَبّيَ أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنّهُ لاَ يُفْلِحُ

(٩٣) ينظر : مفتاح دار السعادة للإمام ابن القيم (٣٦٨/١) الكلام على مرض الشهوة .

الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلآ أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَآءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) [يوسف ٢٣، ٢٤]

وهاك قصة العبدين الصالحين الربيع ابن خيثم وعطاء ابن يسار فتأملهما بعين البصيرة :

﴿ قصة الربيع بن خيثم وامرأة بارعة الجمال ﴾

أمرَ قومٌ امرأةً ذات جمال بارع أن تتعرض للربيع ابن خيثم لعلها تفتنه ، وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم !

فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب ، وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه ، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده . فنظر إليها، فراعه أمرها، فأقبلت عليه وهي سافرة .

فقال لها الربيع : كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك ، فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك ؟ أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت ، فقطع منك حبل الوتين ؟

أم كيف بك لو سألك منكر ونكير؟

فصرخت المرأة صرخة، فخرت مغشيا عليها، فوالله لقد أفاقت ، وبلغت من عبادة ربها ما أنها كانت يوم ماتت كأنها جذع محترق .

﴿تنبيه﴾ : تأمل بعين البصيرة كيف حصلت النجاة للربيع ابن خيثم رحمه الله تعالى

«فالمرأةُ خضعت بالقول لكن الربيع ابن خيثم لم يكن في قلبه مرض» كحال الذين يسيل لعابهم وراء الشهوات والعياذ بالله فحصل له النجاة لذلك .

تفسير موقف المجرمين الذين أرادوا افتتان الربيع ابن خيثم :

هذا هو مذهب المجرمين دوماً وأبداً على مر العصور والأزمان مصداقاً لقول الله تعالى :

{وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا} (سورة النساء/٢٧)

﴿ قصة عطاء بن يسار ﴾

خرج عطاء بن يسار وسليمان بن يسار حاجين من المدينة ، ومعهم أصحاب لهم، حتى إذا كانوا بالأبواء نزلوا منزلا لهم . فانطلق سليمان وأصحابه لبعض حاجتهم ، وبقي عطاء قائما

يصلي . فدخلت عليه امرأة من الأعراب جميلة! فلما شعر بها عطاء ظن أن لها حاجة، فخفف صلاته ، فلما قض صلاته . قال لها : ألك حاجة؟

قالت : نعم .

فقال : ما هي ؟

قالت : قم . فأصب مني ، فإني قد ودقت (أي رغبت في الرجال) ولا بعلَ لي .

فقال : إليك عني . لا تحرقيني ونفسك بالنار .

ونظر إلى امرأة جميلة، فجعلت تراوده عن نفسه ،وتأبى إلا ما تريد ، فجعل عطاء يبكي ويقول : ويحك ! إليك عني . إليك عني .

واشتد بكاؤه ، فلما نظرت المرأة إليه وما دخله من البكاء والجزع بكت المرأة لبكائه ! !

فبينما هو كذلك إذ رجع سليمان بن يسار من حاجته ، فلما نظر إلى عطاء يبكي ، والمرأة بين يديه تبكي في ناحية البيت ، بكى لبكائهما، لا يدري ما أبكاهما .

وجعل أصحابهما يأتون رجلا رجلا، كلما أتاهم رجل فرآهم يبكون جلس يبكي لبكائهم ، لا يسألهم عن أمرهم حتى كثر البكاء، وعلا الصوت .

فلما رأت الأعرابية ذلك قامت فخرجت ، وقام القوم فدخلوا، فلبث سليمان بعد ذلك وهو لا يسأل أخاه عن قصة المرأة إجلالا له وهيبة .

ثم إنهما قدما مصر لبعض حاجتهما، فلبثا بها ما شاء الله ، فبينما عطاء ذات ليلة نائما استيقظ وهو يبكي : فقال سليمان : ما يبكيك يا أخي ؟

قال عطاء : رؤيا رأيتها الليلة .

قال سليمان : ما هي ؟

قال عطاء : بشرط أن لا تخبر بها أحدا مادمت حيا .

قال سليمان : لك ما شرطت .

قال عطاء: رأيت يوسف النبي عليه السلام في النوم ، فجئت أنظر إليه فيمن ينظر، فلما رأيت حسنه ، بكيت ، فنظر إلي في الناس .

فقال : ما يبكيك أيها الرجل ؟

قلت : بأبي أنت وأمي يا نبي الله ، ذكرتك وامرأة العزيز، وما ابتليت به من أمرها، وما

لقيت من السجن ، وفرقة الشيخ يعقوب ، فبكيت من ذلك ، وجعلت أتعجب منه .

فقال يوسف عليه السلام : فهلا تعجب من صاحب المرأة البدوية بالأبواء؟ فعرفت الذي أراد، فبكيت واستيقظت باكيا .

فقال سليمان : أي أخي وما كان حال تلك المرأة ؟ فقص عليه عطاء القصة، فما أخبر بها سليمان أحدا حتى مات عطاء، فحدث بها امرأة من أهله .

﴿تنبيه﴾ : انظر رحمك الله كيف كان موقف عطاء بن يسار رحمه الله لم يجترئ على معصية الله في الخلوات لأنه رحمه الله لم يكن ممن (إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها) لعلمه بشناعة معصية الله في الخلوات ، وتأمل في الحديث الآتي بعين البصيرة وأمْعِنِ النظر فيه واجعل له من سمعك مسمعا وفي قلبك موقِعاً عسى الله أن ينفعك بما فيه من غرر الفوائد ، ودرر الفرائد .

◆(حديث ثوبان رضي الله عنه الثابت في صحيح ابن ماجه) أن النبي ﷺ قال :لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاً فيجعلها الله عز وجل هباءاً منثوراً قال ثوبان يا رسول الله صفهم لنا جلِّهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم قال أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها .

[*] قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ : الحذرُ الحذر من المعاصي فإنها سيئة العواقب ، والحذر الحذر من الذُّنُوب خصوصًا ذنوب الخلوات فإن المبارزة لله تَعَالَى تسقط الْعَبْدَ من عينه سُبْحَانَهُ ولا ينال لذة المعاصي إلا دائم الغَفْلَة ، فأما المُؤْمِن اليقظان فإنه لا يلتذ بها ، لأنه عَنْدَ التذاذه يقف بإزائه علمه بتحريمها وحذره من عقوبتها ، فإن قويت معرفته رأى بعين علمه قرب الناهي وَهُوَ الله فيتنغص عيشه في حال التذاذه فإن غلبه سكر الهوى كَانَ الْقَلْب متنغصاً بهذه المراقبات وإن كَانَ الطبع في شهوته فما هِيَ إلا لحظة ثُمَّ خزي دائم وندم ملازم وبُكَاء متواصل وأسف على ما كَانَ مَعَ طول الزمان حتى إنه لو تيقن العفو وقف بإزائه حذار العتاب فأف للذنوب ما أقبح آثارها وأسوء وأخبارها . انتهى .

➢كيف يقع العشق المحرم :

يقع العشق المحرم بشيئين متلازمين هما :

(١) مخالفة المرأة ــ التي تفتح المجال للعشق الحرام ــ أمر الله تعالى بغض البصر حيث قال تعالى: (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنّ) [النور / ٣١]

فتمتد عينها اللئيمة الخائنة الأثيمة إلى غير زوجها ، فغض البصر لا يخطر لها ببال ولا يدور في الخيال .

[*]قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى :

سبب العشق مصادفة النفس ما يلائم طبعها فتستحسنه وتميل إليه وأكثر أسباب المصادفة النظر « ولا يكون ذلك باللمح بل بالتثبت في النظر ومعاودته »، فإذا غاب المحبوب عن العين طلبته النفس ورامت القرب منه ثم تمنت الاستمتاع به فيصير فكرها فيه وتصويرها إياه في الغيبة حاضرا وشغلها كله به فيتجدد من ذلك أمراض لانصراف الفكر إلى ذلك المعنى وكلما قويت الشهوة البدنية قوى الفكر في ذلك .أهـ

ولله درُّ من قال :

كل الحوادث مبداها من النظر * ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها * فتك السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها * في أعين الغيد موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته * لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

وإطلاق البصر في الشهوات سبب لسوء الخاتمة والعياذ بالله..

هل سمعتم بالرجل الذي قيل له عند موته قل لا إله إلا الله.. فجعل يقول : أين الطريق إلى حمام منجاب ؟

ذاك رجل.. كان واقفاً بإزاء داره.. وكان بابها يشبه باب هذا الحمام.. فمرت به جارية لها منظر.. فقالت : أين الطريق إلى حمام منجاب ؟ فأشار إلى باب بيته وقال : هذا حمام منجاب.. فدخلت الدار ودخل وراءها فلما رأت نفسها في داره.. وعلمت أنه قد خدعها.. أظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه.. وقالت : خدعة منها له وتحيلاً لتتخلص مما أوقعها فيه.. وخوفاً من فعل الفاحشة.. يصلح أن يكون معنا ما يطيب به عيشنا وتقرّ به عيوننا..

فقـــــــال لهــــــا : الســـــــــاعة آتيــــــــك بكــــــل مـــــــا تريـــــــدين ..

وخرج وتركها في الدار ولم يغلقها.. فأخذ ما يصلح ورجع.. فوجدها قد خرجــت.. فهــام الرجــل.. وأكثــر الــذكر لهـــا.. وجعــل يمشـــي فـــي الطــرق ويقـــول:

يـــا رب قائلـــة يومـــاً وقــد تعبــت * أيــن الطريـــق إلـــي حمـــام منجـــاب

فبينــــــا يقـــــول ذلــــــك وإذا بجاريتـــــــه أجابتـــــــه قائلـــــــة:

هـــلا جعلــت ســريعاً إذ ظفــرت بهـــا *حـــرزاً علـــى الـــدار أو قفـــلاً علـــى البـــاب

فـــــازداد هيجانــــــه ولـــــم يـــــزل هـــــذا البيــــــت حتـــــى مــــــات..

(٢) تزيين الشيطان :

ولا يقع تزيين الشيطان إلا بعد أن يتخلى الله تعالى عن الإنسان لمخالفته أمره بغض البصر ، لأنه لما انسلخ الإنسان من خشية الرحمن وامتثال القرآن وكَلَه الملك الدّيان إلى العصيان والخذلان واستحواذ الشيطان .

➢ماذا تصنع المرأة الفاسدة لتصل إلى معشوقها :

تعمد المرأة الفاسدة الغارقة إلى الأذقان في العصيان والخذلان واستحواذ الشيطان ، والتي بلغ فسادها عنان السماء ،والتي ضربت أسوأ المثل في جحود العِشْرَة ونكران الجميل والحرمان من توفيق الله وعصمته ، تعمد بتفكيرها المذموم وعقلها المشئوم وبوحيٍ من الشيطان ــ فقد صيَّرت نفسها أحد جنوده ــ على تخطيط خطة فاسدة لتنسلخ من زوجها وتذهب إلى عشيقها ، وهذه الخطة تعتمد على ركنين أساسيين : ☜

➢الركن الأول :

«تذم في زوجها وَتُشَوِّهُ صورتَه» عند أهلها وأهله وعند الغريب قبـل القريــب ، وجــديرٌ بالذِكر أن هناك فرقٌ شاسع وبونٌ واسع بين منهج المرأة الصالحة والمرأة الفاسدة في هذا الشأن ، فالمرأة الصالحة « دأْبُها وعادتُها وَدَيْدَنُهَا » المدحُ في زوجهــا ، وتفتخــر بــه ، وتعيش معه تحت جناحيه في دفءٍ وحنان وأمنٍ وأمان وسعادةٍ واطمئنان ، وتستر عيبــه وتجبر كسره ، وترأب صدعه ،وتنافح عنه «فهي كِرْشُهُ وَعَيْبَتُهُ وَوِطَاءَهُ وغطاءَه »وأمينةُ سِرِّه ، وأما المرأة الفاسدة ــ قاتلها الله ــ«دأْبُها وعادتُها وَدَيْدَنُهَا» الذمُ في زوجها عنــد

أهلها وأهله وعند الغريب قبل القريب ، وتُفْشي سِرِّه ، وتدفن الحسنات وتفشي السيئات ، وتفضحه في كل مكان وزمان وعند كل بني الإنسان ، فقد ضربت أسوأ المثل في جحود العِشْرَة ونكران الجميل والحرمان من توفيق الله وعصمته .

➢الركن الثاني :

«اصطناع المشكلات بينها وبين زوجها لأتفه الأسباب» ثم تغضب عند أهلها وتطلب الطلاق أو الخلع ــ وتفضل الخلع لأن الخلع فسخ ، تعتد منه بحيضة فتصل إلى العشيق سريعاً ــــ ، فإن صادفت من أولياءها قوماً فُسَّاقا وليس لديهم من الفطنة نصيب التمسوا لها عذراً في طلبها الطلاق أو الخلع من زوجها لتصل إلى معشوقها ، ولم يفطنوا إلى مأربها الخبيث ومقصدها العَفِن وتدبيرها النَتِن ونيتها اللئيمة الخائنة الأثيمة التي تدل على فساد النية وسوء الطوية و سقامة الضمائر ولؤم السرائر ، فانظر كيف وصل بها تفكيرها المذموم وعقلها المشئوم المحروم من توفيق الله تعالى وعصمته إلى الهاوية جزاءاً وفاقاً ولا يظلم ربك أحدا .

➢سوء عاقبة المرأة الفاسدة التي قبلت الإفساد على زوجها :

إن الذي يمعن النظر بعين البصيرة في ما يؤول إليه حال هذه الشيطانة المريدة الشقية التَعِسة المحرومة من توفيق الله وعصمته يجد أن عاقبتها وخيمة جزاءاً وفاقاً لامتداد عينها اللئيمة الخائنة الأثيمة لغير زوجها لأن الجزاء من جنس العمل « من سنن الله الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل » وتأمل في النصوص الآتية بعين البصيرة وأمْعِن النظر فيها واجعل لها من سمعك مسمعا وفي قلبك موقِعاً عسى الله أن ينفعك بما فيها من غرر الفوائد ، ودرر الفرائد .

قال تعالى :(وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ) [فاطر : ٤٣]

[*] قال الإمام ابن كثير رحمه الله :

أي: وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم.

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ) [يونس : ٢٣]

[*] قال الإمام ابن كثير رحمه الله:

أي: إنما يذوق وبال هذا البغي أنتم أنفسكم ولا تضرون به أحدا غيركم ، أهـ
وتأمل في الأحاديث الآتية بعين الاعتبار :
(حديث أنس في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا : البغي و العقوق .
الشاهد :
قوله ﷺ (بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا) أي قبل موت فاعليها
(البغي) أي مجاوزة الحد والظلم وليس هناك ظلمٌ أفحش من (حديث أبي صِرْمَةَ في صحيحي أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ قال : من ضَارَّ أضرَ الله به و من شاقَّ شاقَّ الله عليه .
(من ضارّ) بشد الراء أي أوصل ضرراً إلى مسلم بغير حق
(أضرَ الله به اللّه به) أي أوقع به الضرر وشدد عليه عقابه في العقبى
(ومن شاق) بشد القاف أي أوصل مشقة إلى أحد بمحاربة أو غيرها
(شق اللّه عليه) أي أدخل عليه ما يشق عليه مجازاة له على فعله بمثله وأطلق ذلك ليشمل المشقة عليه
نفسه وعلى الغير بأن يكلف نفسه أو غيره بما هو فوق طاقته .
(حديث جابر في صحيح أبي داود) أن النبي ﷺ قال : ما من امرئ يخذُل امرءاً مسلما في موطن يُنْتَقَصُ فيه من عِرْضِهِ و يُنْتَهَكُ فيه من حُرْمَتِهِ إلا خَذَلَه الله تعالى في مَوْطِنٍ يُحِبُ فيه نُصْرَتِه و ما من أحد ينصر مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه و ينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته .
(ما من امرئ يخذل) بذال معجمة مضمومة قال تعالى { وإن يخذلكم }
(امرءاً مسلماً) أي لم يحل بينه وبين من يظلمه ولا ينصره
(في موضع ينتقص فيه من عرضه) بكسر العين (وينتهك فيه من حرمته) بأن يتكلم فيه بما لا يحل والحرمة هنا ما لا يحل انتهاكه قال الجوهري : انتهك عرضه بالغ في شتمه (إلا خذله اللّه في موطن يحب فيه نصرته) أي في موضع يكون فيه أحوج لنصرته وهو يوم القيامة فخذلان المؤمن حرام شديد التحريم دنيوياً كان مثل أن يقدر على

دفع عدو يريد البطش به فلا يدفعه أو أخروياً كأن يقدر على نصحه من غيه بنحو وعظ فيترك

(وما من أحد ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره اللّه في موطن يحب فيه نصرته) وهو يوم القيامة .

(حديث المستورد رضي الله عنه الثابت في صحيح أبي داوود) أن النبي ﷺ قال :من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه مثلها من جهنم ومن كسي ثوبا برجل مسلم فإن الله يكسوه مثله من جهنم ومن قام برجل مقام سمعة ورياء فإن الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة .

وأصدق وصفٍ لما يؤول إليه حال هذه الشيطانة المريدة هو ما يلي :

أنها لمَّا جَحَدَت ما أنعم الله عليها من النِعَم وتناست ما غمَرها من المِنَنْ ، وألْقَت بنفسها في براثنِ الفتن ، صارت أهونَ على الله تعالى من الجِعْلان (الخُنْفِساء) التي تدفَعُ بأنفها النَتَن ، ولا عجَب فقد زهدت في الطهارة وغَرِقت في القذارة ، كحالِ الجعلان تماماً فإنها لا تجد بُغْيَتها إلا في القذارة ومواطن النَتَن ، وما ذلك إلا لِخِسَةِ نفْسِها ودناءةِ طَبْعِها وسواد قلبها ورداءةِ معدنها ، ولو أحبها ربها «لعَصَمَها من الزلل ووفقها لصالح العمل» ، وكان سَمْعَها التي تسمعُ به وبصرَها التي تُبْصِرُ به ، ويدها التي تبطشُ بها ورجلها التي تمشي بها ، ولئن سألته لَيُعْطِيَنَّها ، ولئن استَعاذَته لَيُعِذَنَّها ، لكنه سبحانه لما اطَّلع على قلبها ووجده خربٌ وبور وما فيه من نور سَقَطت من عين الملكِ العلاّم ، وتركَها فريسةً للرزايا والآثام ، ثم يُحَاسبها لا مَحالةَ على هذا الإجرام .

فصارت تنتقلُ من دمارٍ إلى دمار ، ومن خِزيٍ إلى عار ، ومن عارٍ إلى شَنَار ، وصار زوجها أشقى الناس بِجُرمها لأنه لم تُكْسَرْ شوكَتُه إلا بها ، كسر الله ظهرها ، وأعمى بصرها ، ودمَّر أعضاءَهَا ، وهتك سِترَها ، وأفْرَطَ عِقدَها وعَجَّلَ حَتفَهَا ، وأخرجها من الدنيا كلِّها ، فقد جحدت منة الله عليها بزوجٍ صالحٍ يأوي إليها ، وتحتمي به دون من حَوَالَيْها ، فبدَّلت الشكر الجزيل ، والعرفان بالجميل ، بالفعلِ الوبيل .

وبعد أن كانت في حَرَمِ زوجها جوهرةً مصونة ، ولؤلؤةً مكنونة ، صارت بجُرمها خائنةً مفتونة ، وسِلْعَةً مَعْفُونة ، وسِيرتها بين الناسِ سيرَةً ملعونة *

➢وبعد أن كانت في حُرمةِ زوجها في حِصنٍ ومَناعة ، صيَّرت نفسها كلأً مباحا ، وسلعةً متاحة *

➢وبعد أن كانت مع زوجها في عزةٍ ووقار ، وسكينةٍ واستقرار ، ونقاءٍ يُشْبِهُ الأبرار ، صيَّرت نفسها في ذِلةٍ وَصَغَار ، وتَشَتُّتٍ ودَمَار ، وخِزيٍ وعار ، كأنها مَطْلِيَةٌ بالقار *

➢وبعد أن كان زوجُها يفتخرُ بها ، ويتقرَبُ إلى الله بودِّها ، ويبذلُ نفسَه من أجلها ، عسى الله أن ينفعَه بها ، صار أشقى الناس بِجُرْمِها ، وأبغضَ الناسِ لها ، وصار يختفي من ذِكْرِها ، ويتبرأ إلى الله من فِعلها ، وتقرَّب إلى الله بطلاقها ، وطهَّر اسمه من دنسِ الاقتران بها ،وصبَّ عليها الدعاء صباً حتى ينفرط عقدها ، وكَرِه الدنيا كلَّها من أجلها ، فَلَيْتَهَا ماتت قبل ذلك ، قبل أن تُوْرِد نفسَها المهالك ، وتصيرَ مَطْمَعَاً لكلِ هالك .

➢ماذا يصنع العاشق المحتال حينما تصل إليه معشوقته :

وجدنا في معظم القضايا المعاصرة المتعلقة بجريمتي العشق الحرام والتخبيب ، أن المرأة المحتالة إذا وصلت إلى معشوقها المحتال الذي هو منبع الأنذال وقدوة الأرذال ، فإنه يتزوجها شهراً أو شهرين وبعد أن يأخذ شهوته منها ويذوق عسيلتها ، يُفِيقُ من نومه ويستيقظ من سُباته العميق ، فيطلقها ويزهد فيها زهد من في القبور لأنه يعلم أن قلبها خربٌ وبور وما فيه من نور ، ولأنه يعلم علم اليقين الذي لا يخالطه أشك أنها امرأةٌ خائنة لا وفاءَ لها البتة ، فكما لم تكن وفيةً لزوجها الأول فمن باب أولى لا تكن وفيةً له .

باب جريمة إفساد المرأة على زوجها :

[*]➢عناصر الباب :

➢الترهيب من إفساد المرأة على زوجها :

➢صور إفساد المرأة علي زوجها:

➢حكم المرأة التي تقبل التخبيب والإفساد على زوجها :

➢سوء عاقبة التخبيب :

➢قصص مأساوية دامية لسوء عاقبة التخبيب :

➢قصص لابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار:

وهاك تفصيل ذلك في إيجازٍ غيرِ مُخلّ :

◆➢جريمة إفساد المرأة على زوجها :

➢الترهيب من إفساد المرأة على زوجها :

إن إفساد المرأة على زوجها من كبائر الذنوب وفواحش العيوب بل هو داءٌ عضال ومرض قتَّال أمره خطير وشره مستطير أشر من البرص وأضر من الجرب كالسرطان يأكل الخلايا ، ومثل السوس الذي ينخر عظامهم من الداخل ، وهو مسلك خطر، وموطئ زلق، غوائله لا تؤمن، وضحاياه لا تحصى، وأضراره لا يحاط بها ، وذلك للأسباب الآتية :

(١) الإفساد بين الزوجين من جنس عمل الساحر قال تعالى: (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ) [البقرة: ١٠٢]

(٢) التفريق بين الزوجين من أعظم ما يفرح به إبليس عليه لعنة الله ، وتأمل في الحديث الآتي بعين البصيرة وأمْعِنِ النظر فيه واجعل له من سمعك مسمعا وفي قلبك موقِعاً عسى الله أن ينفعك بما فيه من غرر الفوائد ، ودرر الفرائد .

◆(حديث جابر رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال :إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه ، فأدناهم منه منزلة: أعظمهم فتنة يجيء أحدهم، فيقول :فعلتُ كذا وكذا، فيقول: ما صنعتَ شيئاً. ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فَرَّقْتُ بينه وبين امرأته، فيدنيه منه ويقول: نِعْمَ أنتَ، فيلتزمه .

(٣) حذَّر النبي ﷺ من إفساد المرأة على زوجها أيما تحذير وورد النكير الشديد على ذلك ، وتأمل في الحديث الآتي بعين البصيرة وأمْعِنِ النظر فيه واجعل له من سمعك مسمعا وفي قلبك موقِعاً عسى الله أن ينفعك بما فيه من غرر الفوائد ، ودرر الفرائد .

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح أبي داود) أن النبي ﷺ قال : ليس منا من خَبَّبَ امرأة على زوجها أو عبدا على سيده .

(من خَبَّبَ امرأة على زوجها) : التخبيب هو إفساد الزوجة على زوجها بأن يذكر مساوئ الزوج عند امرأته ، أو محاسن أجنبي عندها أو حَسَنَ إليها الطلاق ليتزووجها هو أو يزوجها لغيره أو غير ذلك.

صور إفساد المرأة علي زوجها:

إفساد المرأة علي زوجها له صور وأشكال متعددة منها ما يلي :

(١) تخبيب المرأة على زوجها وإيغار صدرها بذكر مساويه، أوتحريضها على الخلع والطلاق أو المطالبة بما لا يحق لها ، أو نشوزها والخروج عن طاعته .

(٢) المشي بين الزوجين بالنميمة ، وكلام السوء في سائر الأحوال .

(٣) تخبيب رجلٌ أجنبي امرأة متزوجة وإقناعها بطلب الطلاق من زوجها الأول!! فإذا حصل الطلاق تزوجها، فيحرُم ذلك ولو كان الزوج الأول ظالماً لها، وذهب المالكية إلى فساد عقدة معاملة له بنقيض قصده .

(٤) وقد يكون بالتعريض أو التلميح أو التحريض. والتعالي لإظهار عجز الطرف الآخر.. إلي غير ذلك من هذه السلوكيات وأمثالها التي تدفع صاحبها بأنه يسعى لتعكير صفو العلاقة بين المرأة وزوجها، والتخبيب من كبائر الذنوب وفواحش العيوب ، وأكثر ما يدخل على الأسرة في إفسادها من قبل المرأة ، لكونها ضعيفة تغلبها العاطفة وتؤثر فيها الكلمة وتقلبها رأساً على عقب وتعمل فيها عمل السيف في نحور الرجال وهذا أمرٌ مشاهد ؟؟

ويجب على كلا الزوجين تجنب مجالس الفتنة والابتعاد عن أصدقاء السوء الذين يؤججون نار الفتنة ، وان ابتليت الزوجة بأهل سوء يغرونها بالفرقة أو يوقعونها بالمشاكل فلتحذر منهم ولتؤدِ فيهم حق الله من الصلة على قدر الحاجة ولا تسترسل معهم في باطلهم .

[*] وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله: -

عن إمام المسلمين : خبب امرأة على زوجها حتى فارقته وصار يخلو بها ، فهل يُصَلَّى خلفه ؟ وما حكمه ؟

فأجاب :

في المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ليس منا من خبب امرأة على زوجها أو عبدا على مواليه) فسعي الرجل في التفريق بين المرأة وزوجها من الذنوب الشديدة ، وهو من فعل السحرة ، وهو من أعظم فعل الشياطين ، لا سيما إذا كان يخببها على زوجها ليتزوجها هو ، مع إصراره على الخلوة بها ، ولا سيما إذا دلت القرائن على غير ذلك ، ومثل هذا لا ينبغي أن يولى إمامة المسلمين إلا أن يتوب ، فان تاب الله عليه ، فإذا أمكن الصلاة خلف عدل مستقيم السيرة فينبغي أن يصلى خلفه ، فلا يصلَّى خلفَ من ظَهَرَ فجوره لغير حاجة ، والله أعلم.

"مجموع الفتاوى " (٢٣ / ٣٦٣)

[*] وقال ابن القيم – رحمه الله: -

وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك ، وتبرأ منه ، وهو من أكبر الكبائر ، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه فكيف بمن يسعى بالتفريق بينه وبين امرأته وأمته حتى يتصل بها ، وعشاق الصور ومساعدوهم من الديثة لا يرون ذلك ذنبا ؛ فإن في طلب العاشق وصل معشوقه ومشاركة الزوج والسيد ففي ذلك من إثم ظلم الغير ما لعله لا يقصر عن إثم الفاحشة إن لم يربُ عليها ، ولا يسقط حق الغير بالتوبة من الفاحشة ، فإن التوبة وإن أسقطت حق الله فحق العبد باق ، له المطالبة به يوم القيامة ، فإنَّ ظُلْمَ الزوج بإفساد حليلته والجناية على فراشه أعظمُ مِن ظلمه بأخذ ماله كله ، ولهذا يؤذيه ذلك أعظم مما يؤذيه بأخذ ماله ، ولا يعدل ذلك عنده إلا سفك دمه ، فيا له من ظلم أعظم إثما من فعل الفاحشة ، فإن كان ذلك حقّاً لغازٍ في سبيل الله وقف له الجاني الفاعل يوم القيامة ، وقيل له : خذ من حسناته ما شئت ، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : فما ظنكم ؟! أي : فما تظنون تبقى له من حسناته ؟،

(حديث بريدة الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : حُرْمَة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم و ما من رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وُقِفَ له يوم القيامة يأخذُ من عمله ما شاء فما ظنكم ؟

فإن انضاف إلى ذلك أن يكون المظلوم جاراً ، أو ذا رحم محرم : تعدد الظلم ، وصار ظلما مؤكدا لقطيعة الرحم وأذى الجار ، ولا يدخل الجنة قاطع رحم ، ولا من لا يأمن جاره بوائقه.

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال: لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه .

"الجواب الكافي " (ص ١٥٤)

[*] ويقول الدكتور أحمد الشرباصي ـ رحمه الله ـ من علماء الأزهر:

لقد حَرَّمَ الله – جلَّ جلاله - زَوَاجَ المرأة المتزوجة، وذلك بنص القرآن الكريم، حين ذَكَرَ ذلك ضمن المُحَرَّمَات بقوله تعالى : (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ) (النساء: ٢٤)

ومن الكبائر التي يلجأ إليها مَن ليس له دين ولا خُلُق ولا ضمير أن تتطلَّع عينُ الإنسان الخبيثة إلى زوجة غيره، فيطمع فيها، ثم يُحاول هَدْمَ بيت الزوجية، مُنْدفعًا بشيطانه وشهوته، يُريد مِن وراء ذلك أن يُفسد الحياة الزوجية؛ وأن يَهدم بيتها الذي حَصَّنَه الله ورسوله، وإنما يُريد ذلك الأثيم من وراء محاولته أن يستجيب لشهوته المُنْحَرِفَة التي لا يرضى عنها الله ولا رسوله .

ولا ندري كيف يستحق وصف الإسلام مَن يفكر في ذلك الإثم، و يقدم على ارتكابه؟ إن مثل هذا الإنسان الدنيء يُسيء إلى دينه أولًا، وهو الإسلام الحنيف، ويُسيء إلى الزوج ثانيًا؛ لأنه يسعى في خراب بيته، وإفساد زوجته عليه، وهذا من أقبح أنواع السعي بالفساد في الأرض، وإهلاك الحرث والنسل، وهو يُسيء كذلك إلى الزوجة المسكينة المُضَلَّلَة؛ لأنه يهدم بيت زواجها، ويُغريها حتى تستجيب له، وترتكب الجريمة الفاحشة، بقطع ما وَصَلَهُ الله من مِيثاق الزواج بينها وبين زوجها، دون أن ترى من هذا الزوج انحرافًا، أو اعتسافًا يستدعي إصلاحَه أنْ نُفَرِّقَ بينه وبين زوجته .

[*] ألا فليعلم هذا المُخَبِّب الفاسد المروءة والضمير الشقي التَعِس أنه صيَّر نفسه جندٌ من جنود إبليس ، فلقد زاد فساده واستشرى وتمادى في غيِّه وأصرَّ على باطله ، وأظهر العداوة وكشف فيها قِناعه وحسَر لِثَامَه وكشف عن أنيابه يلتمس العثرات ويترقب الهفوات

وتناسى مراقبة ربِ الأرضِ والسماوات ، فورب السماوات والأرض إنما توعدون لآت ، هذا المُخادع المُصانع الذي ينصب المكائد والفِخَاخ ويَدُسُّ السمَّ في العسل ويتكلم بلسان الواعظ الأمين وهو عدوٌ مبين ، وهو قاتله الله أروغ من ثعلب وأحقدُ من جمل وأكذب من مُسَيلمة ، وهو كذلك أذل من نعل وأهونُ من المَهَانة وأضلُ من حِمارِ أهله ، وهو كذلك أعقٌ من ضَب وأضرٌ من الجرب وأشرُ من البرص ، هذا العتي الغوي الظالم الغاشم المتغطرس ، بظلمه وبطشه أورد نفسه المهالك وحملها على الأمورِ الموبقة ، استحوذ عليه الشيطان واتخذه مَرْكَباً فصدَّه عن الإنابة وأملى له فورَطَّه في الغرور وزين له سوء عمله فصدَّه عن سواء السبيل ،

قد صَادَهُ إبليسُ في فِخَاخه	بل قَدْ صَار من أفْرَاخِه
فليتَ شِعْري من أباح ذلك	وأورد نفسه في المَهالك

قاتله الله وصدَّع بنيانه ، وأتلفه وشلَّ أركانه وجمد الدماء في عروقه ، كسر الله ظهره وأعمى بصره ودمَّر أعضائه وهتك ستره وأتلفَه كلَه ، اللهم العنه لعنةً تُدَمِرْه في نفسهِ وتَدْخُلُ معه في قبرهِ وتُهْلكْه يوم عَرْضِهِ على ربه ، اللهم اجعل الدائرةَ عليه وأصبْه بنفسه وأهله ودمرْه تدميرا ، اللهم أنزل عليه بأسك الذي لا يُرَد عن القومِ المجرمين ، لا رَحِمَ الله فيه مَغْرَزَ إبره ، حتى يكون عبرةً لمن يعتبر لئلا يستشرى هذا المرضِ العِضَال بين المسلمين ، ولئلا يستهينُ بِفِعْلِه من سوَّلَت له نفسه أن يفعل هذا الفعل المَشِين .

➢و ليعلم هذا الشقي المَهين علم اليقين أنه سيرى عاقبة ظلمه وبغيه في الدنيا قبل الآخرة فإن الجزاء من جنس العمل لا محالة بنص الكتاب والسنة الصحيحة

قال تعالى :(وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ) [فاطر : ٤٣]

[*] قال الإمام ابن كثير رحمه الله :

أي: وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم.

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ) [يونس : ٢٣]

[*] قال الإمام ابن كثير رحمه الله:

أي: إنما يذوق وبال هذا البغي أنتم أنفسكم ولا تضرون به أحدا غيركم ، أهـ

وتأمل في الأحاديث الآتية بعين الاعتبار :

(حديث أنس في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا : البغي و العقوق .

الشاهد :

قوله ﷺ (بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا) أي قبل موت فاعليها

(البغي) أي مجاوزة الحد والظلم وليس هناك ظلمٌ أفحش من خياتة

(حديث أبي صِرْمَةَ في صحيحي أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ قال : من ضَارَّ أضرَ الله به و من شاقَّ شاقَّ الله عليه .

(من ضارّ) بشد الراء أي أوصل ضرراً إلى مسلم بغير حق

(أضرَ الله به اللّه به) أي أوقع به الضرر وشدد عليه عقابه في العقبى

(ومن شاق) بشد القاف أي أوصل مشقة إلى أحد بمحاربة أو غيرها

(شق اللّه عليه) أي أدخل عليه ما يشق عليه مجازاة له على فعله بمثله وأطلق ذلك ليشمل المشقة عليه

نفسه وعلى الغير بأن يكلف نفسه أو غيره بما هو فوق طاقته .

(حديث جابر في صحيح أبي داود) أن النبي ﷺ قال : ما من امرئ يخذُل امرءاً مسلما في موطن يُنْتَقَصُ فيه من عِرْضِهِ و يُنْتَهَكُ فيه من حُرْمَتِهِ إلا خَذَلَه الله تعالى في مَوْطِنٍ يُحِبُ فيه نُصْرَتِهِ و ما من أحد ينصر مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه و ينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته .

(ما من امرئ يخذل) بذال معجمة مضمومة قال تعالى { وإن يخذلكم }

(امرءاً مسلماً) أي لم يحل بينه وبين من يظلمه ولا ينصره

(في موضع ينتقص فيه من عرضه) بكسر العين (وينتهك فيه من حرمته) بأن يتكلم فيه بما لا يحل والحرمة هنا ما لا يحل انتهاكه قال الجوهري : انتهك عرضه بالغ في شتمه (إلا خذله اللّه في موطن يحب فيه نصرته) أي في موضع يكون فيه أحوج لنصرته وهو يوم القيامة فخذلان المؤمن حرام شديد التحريم دنيوياً كان مثل أن يقدر على دفع عدو يريد البطش به فلا يدفعه أو أخروياً كأن يقدر على نصحه من غيه بنحو وعظ فيترك

(وما من أحد ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره اللّه في موطن يحب فيه نصرته) وهو يوم القيامة .

(حديث المستورد رضي الله عنه الثابت في صحيح أبي داوود) أن النبي ﷺ قال :من أكل برجل مسلم أكله فإن الله يطعمه مثلها من جهنم ومن كسي ثوبا برجل مسلم فإن الله يكسوه مثله من جهنم ومن قام برجل مقام سمعة ورياء فإن الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة .

➢حكم المرأة التي تقبل التخبيب والإفساد على زوجها :

مسألة : ما حكم المرأة التي تقبل التخبيب والإفساد على زوجها ؟

➢فصل الخطاب في هذه المسألة :

إن المرأة التي تقبل التخبيب والإفساد على زوجها امرأةٌ محرومة من توفيق الله تعالى وعصمته إذ لو وفقها الله تعالى لعلمت أن من السعادة في الدنيا والآخرة قناعة المرأة بزوجها ؛ فلا تمتد عينها إلى غيره ، وقد مدح الله عز وجل نساء الجنة بتلك الصفة فقال الله تعالى : (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) [الرحمن /٥٦]

[*] قال ابن عباس رضي الله عنهما معناها :لا يرين شيئاً في الجنة أحسن من أزواجهن .

☜ثم إن المرأة هي المسئولة عن قبولها التخبيب :

وذلك لأن الحلال بَين والحرام بَينْ ، «فمن الحلال البين أن تحب المرأة زوجها» ، «ومن الحرام البين أن تحب المرأة رجلا غير زوجها» ، تُفَكِّرُ فيه ، وتنشغل به ، ويصدر منها خائنة الأعين التي هي من دواهي الأمور ، وَتُعْرِض عن زوجها وشريك حياتها، وقد يدفعها ذلك إلى ما لا يحل شرعا من النظر والخلوة ، واللمس ، وقد يؤدي ذلك كله إلى ما هو أكبر وأخطر، وهو الفاحشة، أو نيتها، فإن لم يؤد إلى شيء من ذلك أدى إلى تشويش الخاطر، وقلق النفس ، وتوتر الأعصاب ، وتكدير الحياة الزوجية ، بلا ضرورة ولا حاجة ، إلا الميل مع الهوى، والهوى شر إلهٍ عُبِدَ في الأرض .

☜ثم إن المرأة هي المسئولة عن الوصول إلى هذه النتيجة لأنها هي التي أورطت نفسها في هذه الورطة ، وأدخلتها هذا المضيق باختيارها ، «ومن زرع الشوك لا يجني عنباً» ، والذي يرمي بنفسه في النار لا يملك أن يمنع النار من إحراقه، ولا أن يقول لها : كوني

بردا وسلاما عليَّ كما كنت على إبراهيم ، فإذا أحرقته النار وهو يصرخ ويطلب الإنقاذ دون جدوى ، كان هو الذي أحرق نفسه، لأنه الذي عرضها للنار بإرادته .

ثم إن هذه الحقيقة ليست غائبةً عن الكثيرات ، فإنها أمرٌ معلومٌ من الدين بالضـــرورة فلا يحتاج إلى زيادة عِلم ، ويستوي في عِلمِه المتعلمة و الأُميَّة ، والمَدَنيَّـــة والقرَوِيَّـــة ، والحَضَرِيَّة والبدويَّة ، فهو أمرٌ واضحُ البيان ولا يحتاجُ إلى برهان ولا مزيد عِرفان ، ولكن بعض النساء ممن تنكرن للأدب وانسلخن من الفضيلة تتغافل أو تتجاهل هذه الحقيقة ، فما أن تسمع داعيَ الفتنة إلا استجابت له وفتحت باب الفتنة على مصرعيه .

والمرأة بفعلها ذلك ذات نفسٍ لئيمةٍ خائنةٍ أثيمة أقول لها الآتي لأطْلِعها علـــى حقيقتهـــا المُرَّة:

أنتِ أيتها اللئيمة الخائنة الأثيمة يا من استجبت إلى من خببَّك علـــى زوجـــك وامتـــدت عينك اللئيمة الخائنة الأثيمة إلى غير زوجك ، فلم تَقْصِري طرفُك عليه ، وطمحتِ ببصـــرك إلى غيره ، أسأل الله تعالى أن يفقأ عينكِ جزاءاً بما امتدت إلى غير زوجك ، أيتها الشـــقية التَعِسَة المحرومةُ من توفيق الله تعالى وَعِصْمَتِه ، قاتلك الله وصدّع بنيانك ، وأتلفكِ وشـــلَّ أركانك ، ولا أرى ذلك يُطْفئُ لهيبَ صدرِ زوجك الذي التهب من جُرمُك ، فلقد ألهبـــتِ فـــي صدره لهيباً لا ينطفئُ ما دام حيا ، وألصقت به ذلاً لا يزال محفوراً في ذاكرته حتى يموت ، أيتها الشقية التَعِسَة عجبتُ لجرأتِكِ على الله مع حِلْمِهِ عليكِ ، ولـــو شـــاء لأهلكَـــكِ ومـــن حوالَيكِ ، وجَحدتِ مِنَته عليكِ بزوجٍ صالحٍ يأوي إليكِ وتحتمي به دون من حَوَاليكِ ، فبدلتِ الشكر الجزيل والعرفان بالجميل بالفعلِ الوبيل *

أين الصُحْبَة بالقناعة والمعاشرةُ بحُسن السمعِ والطاعة ؟ هل زَهِـــدَتْ فيهمـــا نفسُـــك الطمَّاعة ، الخائنة المُبَاعة ؟! * وأين الوفاءُ والأمانة ، من نفسكِ الخوَّانة ، اللئيمةِ المُهَانة ؟! *

وأين رعايتُك للحَشَمِ والعيال ، وأين صيانَتُكِ لكرامةِ زوجِك بين الرجال ؟ أكان ذلك منك على بال ؟! يا من كان بعقلكِ خَبَال .

هل سَيْطَرت الدناءةُ على نفسِكِ في كلِ حال ، ألم تَتْرُكْ الخِسةُ منكِ شيئاً يُقال ، يا مـــن أهدرتِ كرامةَ زوجِكِ من أجلِ إنسانٍ مُحْتَال ، خوَّانٍ مُخْتَال ، أفَّاكٍ من الأرذال ! وأنتِ أسوءُ

منه بكلِ حال ، لأنَّكِ التي فتحتِ له المجال ، ومنحتيه السلاح القتَّال ، ليهدِرَ كرامةَ زوجِك بين الرجال ، فأهدَرَ كرامتَه بكلِ اختيال ، صبَّ الله عليكما لعائنَه تترى من غيرِ انفصال ، وسلَّط عليكما ذُلاً تتقلبون فيه في الحالِ والمآل ، وأصابكما بمصائبَ عِظام أمثال الجبال ، ودمركما ببطشِ شديدِ المِحَال ، وصيّر الله كَيدَكم في ضلال ، وأمركم إلى زوال ، ونعمتكم إلى انتقال ، وجدَّكم في سفال ، وعافيتكم إلى شر مآل ، يا منبع الأنذال والأرذال ، جزاءاً بما انتهكتم محارمه بكلِ احتيال ، وألحقتم بعبدهِ الخزي والنكال ، والذُلَ والوبال .

☜اعلموا أن من خان الله سراً هتك سِتْرَه علانيةً لا مَحال ، فإنها سنةُ الكبيرِ المُتعال ، في هتكِ سِتْرِ المُحتال ، هتكاً بيناً لا يَخْطُرُ على بال ، هتكاً واضحاً يزول معه أي لَبْسٍ أو إشكال ، ولا ينفعُ معه حِيْلَةٌ أو جِدال ، أسأل الله أن يَكِبَّكُم على وجوهكم في النار ، وأن يجعل مأواكم دار الخزي والبوار ، وأن يصليكم نار جهنم وبئس القرار *

☜وأنتِ يا مَنْ أعْمَاها سوادُ قلبها عن رؤيةِ قُبْحِ الفِعال ، يا من ران على قلبها قبائحَ الأعمال ، يا من ضُرِبَ على قلبها وسمعها من الذُّنُوب أقفالٌ ، هل علمتِ ما فعلتِ بزوجِك في هذا الحال ؟ من الذلِ والوبال ، والخِزي والنكال ؟ أتى الذلُ منكِ لزوجكِ فوق ما يخطرُ ببال أو يدور في الخيال ، فصار زوجُك خَصِيمُك عند ربكِ الكبيرِ المُتَعَال ، يقتصُ منك على سوء الحالِ وقُبْحِ الفِعَال ، و يقتصُ منك على ذَنبكِ العِضال وجُرْمِكِ القَتَّال ، و يقتصُ منك على أن أهدرتِ كرامتَه بين الرجال ، فصار مَذْلولاً بكلِ حال ، وستذُوقين عاقبةَ بَغيكِ لا مَحال ، في الحالِ والمآل * لقد نَكَّستِ رأسَه بين الرجال ذليلاً ، وحكايتَه صارت أُحْدُوثةً لكلِ قِيلا ، فكان بجُرْمِكِ قَتِيلا ، فكيف بك إذا سألك الجبارُ عن هذا الفعلِ الوبيلا ، ثم لم تجدِي لكِ مَقِيلا ، فلم تجدي للسؤالِ جوابا ، ولا للجوابِ صوابا ، ولا تملكين حينذاك توبةً أو مآبا ، فأُسقِطَ في يَدَيْكِ ، ولا ينفَعُك من حَوَالَيْكِ ، فعند الله تجتمعُ الخصوم ، ويُقْتَصُ من الظالمِ للمظلوم ، هنالك ينتصرُ زوجُك لجُرحِه المَكلُوم وحق كرامتِهِ المهضوم من فعلك المشئوم *

☜لماذا الميلُ إلى الحرام ، يا مَنْبَعَ اللئام ، يا شرَ الأنام ، يا نَفْساً مفلوتةً بلا خِطَام ، ولماذا الإقدامُ على هذا الإجرام ، ولماذا لم يُوَفِقكِ الملكُ العلاّمُ إلى الإحجامِ عن الرزايا

والآثام ، هل سألتِ نفسَكِ عن ذلك ؟ أما زال لديكِ بقيةُ إفهام ؟! أهو من سَوَادِ قلبكِ أم كان على قلبكِ أختام ؟! ،

يا مَنْ اسْتَهَانَتْ بمراقبةِ الملكِ العلاّم ، الحَيِّ القَيُّومِ الذي لا يغفل ولا ينام ، كيف نسَيْتِ عِقَابَ رَبِّكِ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ ، أمَا عَلِمْتِ أن الله عزيزٌ ذو انتقام ، سَيهتِكُ الله سِتْرَكِ يوماً مَا مهما مَرَتْ السنون وانْصَرَمَتْ الأيام ، جزاءاً على هذا الإجْرَام ، اعلمي أن الله لا يُسَدِدُ صنيعَ من خان ولا يجعله أبداً يعيشُ في أمان ، وسَيَهْتِكُ سِتْرَه في أي زمانٍ أو مكان .

يا مَنْ صار قلبها من الخراب بُور ، يا من فرحت بخائنة الأعين وكأنها ليست من دواهي الأمور !!، وكأنها أمرٌ مباحٌ غير محظور!! ، يا مَنْ تناست بشؤمها أن الله تعالى (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) [غافر : ١٩] ، أما تفكرتِ في قبركِ المحفور وما فيه من الدواهي والأمور تحت الجنادل والصخور ، أما أعددتِ جواباً للعزيزِ الغفور حين يسألكِ عن دواهي الأمور ، هنالك تعلمين مُوقِنَةً أنك ما كنتِ إلا في غرور ، فتندمين ندماً لا يخطرُ على الصدور ، ولا يُكْتَبُ بالسطور ، لكنه ندمٌ لا يدفع ولا يمنع ، ولا ينفعُ في أي أمرٍ من الأمور .

يا من جعلت الله أهون الناظرين إليها ، وهو سبحانه قادرٌ عليها ، ولو شاء لأهلكها ومن حَوَالَيْها ، وجحدت مِنَّتَه عليها بزوجٍ صالحٍ يأوي إليها ، وتحتمي به دون من حَوَالَيْها ، فبدَّلت الشكر الجزيل ، والعرفان بالجميل ، بالفعلِ الوبيل .

يا مَنْ سَقَطَتْ في الخيانةِ بِمَسْلَكِهَا المشين ، وكانت ممن قال الله فيه : (وَأَنّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ) [يوسف : ٥٢] ، اعلمي علمَ اليقين أنَّ الله تعالى سَوف يُظْهِرُ الحقَ ولو بعد حِيْن ، ولو طَال ذلك الحِيْن إلى بِضْعِ سنين ،

فالموعدُ (الآنَ حَصْحَصَ الْحَقّ) حين يأذن خالقٌ الخلق ، فيأذنُ للقضَاء أن يَكْشِفَ الغطاء ، فانكشفَت السرائر وبَدَتْ سَقَامَةُ الضمائر، وَهُتِكَتِ الحُجُبُ وَالأَسْتَار وَبَانَتْ العُيُوبُ وَالأَسْرَار .

واعلمي أن حقَّ زوجكِ عند ربكِ باقٍ لم يُسْقِطْهُ ، وإن الله تعالى يُملي للظالمِ حتى إذا أخذَهُ لم يُفْلِتْهُ ، واعلمي كذلك أن خيانتكِ لِزوجكِ هي بئس الزادُ ليومِ المعاد ، فكيف بكِ

وأنت بين يدي ربُكِ يوم المَعَاد ، ويسألك لماذا نَكَّستِ رأسَ زوجك بين العباد ، فصار حالُهُ يُبْكي الفؤاد ويُفْري الأكباد ويُذِيبُ الأجساد ، صار حالُه يخلعُ القلوب من حق كرامته المَسْلوب ، لأنه لم تُكْسَرْ شوكتَه إلا بكِ ، كَسرَ الله ظَهْرَكِ وأعمى بصرك ودمَّر أعضائكِ وأتلفكِ كُلَكِ .

☜كان زوجكِ يطْمَح في زوجةٍ تقيةٍ نقية ، عفيفةٍ حَييَّة ، حُرةٍ أبيَّة ، زوجةٍ تحفظ غيبته وتصون كرامته وترافقه حتى تأتيه المَنِيَّة ، زوجةٍ تحْفَظُه في نفسها ، ويبذلُ نَفْسَه من أجلها ، زوجةٍ تُعِينُه على الطاعة ، وتُعِدُّ معه لقيامِ الساعة ، لكن خاب أملُه بك ، وكَره الدنيا من أجلِكِ ، وقَتَلَه سَوَادُ قلبِك ، قلبٌ لم يؤثر القرآن فيه ولم يعي معانيه ، قلبٌ لم تدخل الخشيةُ فيه ولا التقوى تحتويه، قلبٌ لم يُلَيِّنْه القرآن ولم يخش الرحمن ، قلبٌ جحد معنى قوله تعالى :(هَلْ جَزَآءُ الإِحْسَانِ إِلاّ الإِحْسَانُ) [الرحمن:٦٠]، قلبٌ صار أسيرَ العصيان والخذلان واستحواذ الشيطان ، صار حالُه يُنَغَّصُ مِن ذِكْرِك ، فلا يَهْنَأُ بنومٍ كلما ذكر فِعلك ، ولا ينطفئُ لهيبُ صدره من فُحْشِك ، ولا يغيبُ فِكرُه عن جُرْمِك ، يتقلبُ في همٍ وغم ، كأنما يبكي الدم * قَتَلَه سوادُ قلبِكِ الحالك كيف أوردكِ المهالك ، وصيَّركِ مطمعاً لكل هالك ، هل أعددت لهذا السؤال جوابا ، وللجواب صوابا ، وأنت لاتملكين حينذاك توبةً أو مآبا *

☜يا أسوةً للمفسدين ، يا قدوةً للطاغين ، يا أساس الفاسقين ، يا إمام الخائنين الذين هُمْ لِنِعَمِ الله جاحدين ، والذين هم للرذائل ناشرين ، وللفضائلِ مُدبرين ، وعلى انتهاكِ الحُرُمات مُقْبلين ، ولتوفيق الله وعِصْمَتِه محرومين ، يا مَنْبَعَ الأرذلين ، يا خَصِيمَةَ الأكرمين بِمَسْلَكِك المَشين وفِعْلِك المُهين ، يا جُنْدَ الشيطانِ اللعين ، يا شرَ الناسِ أجمعين ، يا عدوٌ مبين لأعراضِ المسلمين ، سَلَّطَ الله عليكِ سخطَ الجبارِ ذي القوةِ المتين ، وصبَّ عليكِ أشدَّ العذاب في كل وقتٍ وحين ، وأذاقكِ ألواناً شتى من العُذابِ المُهين ، حتى تكوني عبرةً للناسِ أجمعين .

☜اعلمي أيتها اللئيمة الخائنة الأثيمة أنك ستذُقِين مرارةَ خيانتك لزوجك وامتداد عينك لغيره ـ فقأ الله عينك ـ ستذُقين عاقبة بغيك في الدنيا قبل الآخرة لا محالة مصداقاً لقول النبي ﷺ في الحديث الآتي :☞

(حديث أنس في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا : البغي و العقوق .

وهآنذا أسوق إليكِ هذه القصة لتعلمي علم اليقينِ مدى خِسّةَ نَفْسِكِ ودناءة طبعك وسوادِ قلبكِ ورَدَاءَةِ مَعْدَنَكِ بين الصالحات القانتات الحافظات للغيب بما حفظ الله :

الأصمعي والمرأة الصابرة

كان الأصمعي وزيراً للمأمون ، ذلك المأمون الذي كان أحد شياطين عصره، وأحد دهاة زمانه، وكان الأصمعي عالماً يُشكّ في أمره.

قال الأصمعي : كنت أرافق المأمون في قافلة صيد ترفيهية ــ والصيد الترفيهي الذي كان يقوم به حكام بني أمية وبني العباس حرام بنظر الإسلام، كونه تبذير وإسراف وإتلاف لثروات وأموال المسلمين ــ، وفي أثناء المسير أضعت القافلة لأرى نفسي وحيداً في صحراء قاحلة، وبعد مسيرة تحمّلية شاهدت من بعيد خيمة تلوح في الأفق فتحركت صوبها لأجد فيها امرأة شابة جميلة فسلمت عليها، وجلست في ظل خيمتها وقلت لها : هل لي شربة ماء؟ فتغيّر لونها وقالت: لم اكتسب إذناً من زوجي في مثل هذا الأمر ، وإن كان لك أن تشرب شيئاً فهذا غدائي أقدّمه لك وهو ضياح من لبن .

يقول الأصمعي : شربتُ اللبن وجلست في ظل الخيمة ساعة، بعدها شاهدت فارساً على جمل ، فقامت المرأة من جلساتها وحملت بيدها قليلاً من الماء وكأني بها تنتظر ذلك الفارس .

نعم ، وصل الفارس إلى الخيمة وكان زوجها ، فقدمت له الماء ليشرب ثم نزل من جمله وإذا به رجل عجوز ، أسود الشكل قبيح، لا يُطاق منظره ، سيء الخلق والأخلاق ، فَهَمّت المرأة نفسها وجاءته بطبقٍ وإبريقٍ لتغسل له يديه ورجليه ووجهه .

بدأ زوجها بالتحجج ، وإثارة ما لا يثيره العاقل الفطن ، حيث كان يسيء مخاطبتها، وتتلطف له بالردّ ، ولسوء خلقه لم أتحمل الجلوس في ظل خيمته بل فضلت الجلوس في الشمس المحرقة بعيداً ، على أن أجلس إلى خيمته واستمع إلى سوء أدبه.

وما إن تحركت حتى قامت امرأته لتوديعي ، حيث لم يكن هو مهتماً لهذا الموضوع بالمرة ، وعندما دنت المرأة مني قلت لها .

أيها المرأة ، إنك شابة جميلة ، فلِمَ ارتباطك بهذا الشيخ العجوز الذي لا يمتلك من حطام الدنيا إلا أخلاقاً سيئة وجملاً هزيلاً ، بالإضافة إلى شكله القبيح؟!.

فأجابت بعد أن بان عليها الامتعاض : أيها الرجل أتريد الإيقاع بيني وبينه، ألم تعلم بأن الدنيا زائلة والآخرة دائمة ، وإنني بعملي هذا أروم رضا الله تعالى، ألم تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وآله:

"الإيمان نصفان: نصف في الصبر، ونصف في الشكر".

وإن تحمّلي لسوء خلقه يصل بي إلى درجات الصابرات الساميات ، وعليه يجب أن أشكر الباري تعالى على هذه النعمة، فنعمة الصبر تحتاج إلى شكر، لذا سأديم خدمتي لزوجي حتى يكتمل إيماني.

هذه هي المرأة المسلمة الحقيقية ، لا تلك التي تنساق وراء المغريات بسهولة، ولا التي تمتد عينها إلى غيرِ زوجها ، وهذا ما شاهدناه ــ مع الأسف ــ في بعض النساء اللواتي تنكّرن للأدب ، وانسلخن من العِفة والفضيلة واستوطنّ الرزيلة ، وكان فيهن مَيلٌ إلى الحرام والعياذ بالله كقوله ﷺ في صحيح مسلم (**مائلاتٍ مميلات**) .

➢**«ثم أرى أنه لِزاماً عليّ أن أُبيِنَ أصناف النساء في حفظهن لغيبة أزواجهن »**

◆➢**أصناف النساء في حفظهنَّ لغيبة أزواجهن :**

---

[*] للنساء في حفظهنَّ لغيبة زوجها صنفان لا ثالث لها : (صنفٌ نفيس وآخر خسيس)

➢**فأما الصنف الأول :** صنفٌ نفيسٌ أنفسُ من الذهب الخالص وأعز من الكبريت الأحمر وأندر من الغراب الأعصم، فإذا قَسَا عليها زوجُها ــ وهو حاصل من أي زوجٍ أحياناً ــ ألْجَمَتْ نفْسَها بِلِجَامِ الخشيةِ المُحْكَم ، وهرعت إلى زوجها تقول له **« هذه يدي في يدك لا أذوق غَمْضاً حتى ترضى»** امتثالاً لقول النبي ﷺ في الحديث الآتي :☜

◆(حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة ؟ النبي في الجنة و الشهيد في الجنة و الصديق في الجنة و المولود في الجنة والرجل يزور أخاه في ناحية المصر في الله في الجنة ؛ ألا أخبركم

بنسائكم من أهل الجنة ؟ الودود الولود العئود التي إذا ظُلِمَتْ قالت : هذه يدي في يدك لا أذوق غَمْضاً حتى ترضى .

هذه المرأةُ «دُرَّةٌ مَصُونةٌ وجوهَرةٌ مكنونة» «حَصَانٌ رَزَانٌ لا تُزَنُ بِرِيبَةٍ» فإذا قَسَا عليها زوجُها ــ وهو حاصل من أي زوجٍ أحياناً ــ حفظت غيبتة أيَّما حفظ ولم تلتفت إلى غَيْرِه ، ولم تمتد عينها إلى غير زوجها صيانةً لدينها وحفظاً لغيبة زوجها ، وذلك لأنها تخشى ربها قبل زوجها ، ولأن قلبَها عامرٌ بالإيمان ، قلبٌ يخشى الرحمن ويمتثل القرآن ، قلبٌ معمورٌ بالعِفةِ والعِرْفان ، قلبٌ يَمْلَؤُه الرضْوان بما قَسَمَ الرحمن ، قلبٌ ذاق حلاوة الإِيمَانِ ، ولذةَ العبودية للرحمن ، قلبٌ يخشى لَفَحَاتِ النِّيرَان ، قلبٌ لا يعرفُ العصيان والخذلان واستحواذ الشيطان .

وأما الصِنْف الثاني : صِنفٌ خَسِيْس ، أخسُّ من الخِنْزِير ، وأخسُّ من الجِعْلانِ (الخُنْفِساء) التي تَدْفَعُ بأنفِها النَتَنْ ، تَتْرُكُ الطهارةَ ولا تَجِدُ بُغْيَتَهَا إلا في القَذارةِ ومواطِنِ النَتَنْ ، هذا الصنف الحقِير إذا قَسا عليها زوجُها ــ وهو حاصل من أي زوجٍ أحياناً ــ خَلَعَتْ لِجَامِ الخشيةِ عن نفسِها ، وصارت مَفْلُوتةَ الزمام بلا خِطام ، وذلك لأنها في الأساس عندها مَيْلٌ إلى الحرام كقوله ﷺ في صحيح مسلم (مائلاتٍ مميلات) ولا يظهر ذلك إلا في هذه المواطن ، فلم تَحْفظ غيبةَ زوجها ، والتَفَتْ إلى غَيْرِه ، وامتدت عينها اللئيمةِ الخائنة الأثيمة إلى غير زوجها ، وتَشَوَّفَتْ إلى الحرام ، وسَعَتْ إلى الفِجُورِ بكلِ طريق ، واستبدلت بالاستقامة روغانَ الثعالب ، ورَاحَت تبحثُ عن المثالب ، ولولا أنها ألانَت الجانب ما اقترب منها أحدٌ من الأجانب ، ولا أظهروا لها المخَالب .

والحاصلُ : أنهم لم يفترسوها إلا لأنها كانتْ ممن (إذا خلوْا بمحارِمِ اللهِ انتهكوها) ، ولو كانت غيرَ ذلك ما اقترب منها هالك ، فلما قدَّمت اللين ، فعلوا بها الفعلَ المَشِين ، وخانت زوجَها الأمين ، فخَسِرت الدنيا والدين ، وتَعَرَضت إلى سخط الجبارِ ذي القوةِ المتين ، صَبَّ الله عليها أشدَّ العذابِ في كلِ وقتٍ وحين ، وأذاقها ألواناً شَتى من العذاب المُهين *

☜فلما خَضَعَتْ بالقول أنشأت في نفس كل هالكٍ منها غَرَض ، وتناست أن الله تعالى يقول " فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ " وما ذلك إلا لِخِسةِ طَبْعِها ودناءةِ نفسها وسوادِ قلبها ، ورداءةِ معدنها، فما أحْلَكَ سوادِ قَلبها،

قلبٌ خَرِبٌ وبور، وما فيه من نور ، قلبٌ لم يؤثر القرآن فيه ولم يعي معانيه ، قلبٌ لم تدخل الخشيةُ فيه ولا التقوى تحتويه ، قلبٌ لم يُلَيِّنْه القرآن ولم يخش الرحمن ، قلبٌ جحد معنى قوله تعالى " هل جزاء الإحسان إلا الإحسان" ، قلبٌ صار أسيرَ العصيان والخذلان واستحواذ الشيطان ، لعن الله كلَّ خائنةٍ لعنةً تُدَمِرُها في نفسها ، وتدخل معها قبرها ، وتُهْلِكْها يوم عرضها على ربها .

﴿تنبيه﴾ :<هذه الشقية التَعِسة ــ قاتلها الله ــ تناست أن الله تعالى أمرها بحفظ نفسها عن الحرام سواء كان لها زوجٌ أم لا ، وإنما جُعلت عقوبة الزنى في المرأة المتزوجة أشنع عقوبة (الرجم) لحصول تمام النعمة على المرأة بالزواج والإحصان ، فمن التفتت بعد ذلك إلى الحرام دلَّ ذلك على أنها جِبِلَةٌ نَكِدةٌ فيها عِوَجٌ لا يُرْجى اعتداله وفيها مَيلٌ إلى الحرام كقوله ﷺ في صحيح مسلم (مائلاتٍ مميلات) ، وكان ذلك دليلاً على دناءةِ نفسها وخِسة طبعِها وسوادِ قلبها ورداءة مَعْدَنِها وهوانها على ربها فصارت أهون على الله من الجِعلان (الخُنْفِساء) التي تدفع بأنفها النَتَن لأنها كفرت بنعمةِ الله تعالى وجحدت منته عليها بزوجٍ صالحٍ يأوي إليها وتحتمي به دون من حوَاليها فبدلت الشكر الجزيل والعرفان بالجميل بالفعل الوبيل .

وأنْتَ إذا أمعنت النظر في حال هذه الشيطانة المَرِيدة ــ قاتلها الله ــ وجدت حالها أنها تناءت عن شرع الحميد المجيد وكأنها جاءت بشرعٍ جديد مصدره إبليس عليه لعنة الله فقد صيَّرت نفسها أحد جنوده تقول فيه لزوجها بلسان حالها : إذا عاملتني كما أريد صِرت مُخلِصةً لك وإلا قمت بالخيانة مع غيرك ، وكأنها قاتلها الله جعلت حفظها لنفسها عن الحرام مكافأةً لزوجها إذا عاملها كما تريد هي بتفكيرها المذموم وعقلها المشئوم ، فهي لا تريد تقويماً ولا تفهيماً ولا تقبل تأديباً ولا تهذيبا ، تريد أن تكون مفلوتة الزِمام بلا خِطام ، فإذا قَسَا عليها زوجها ــ وهو حاصلٌ من أي زوجٍ أحياناً ــ ذهبت إلى الحرام وكأنها تُعاقِبه أو تنتقم منه فتطعنه في أعز ما يملك وهو عِرْضه وشَرَفه ، وتناست هذه الشيطانة

المريدة الشقية التَعِسة المحرومة من توفيق الله وعِصمَته أنها لم تنتقم إلا من نفسها ولم تُفْسِدْ إلا قلبها ولم تُهْلِك إلا دينها ودنياها لأنها بفُحْشِها قد أَوْرَطَتْ نفسها في ورطةٍ لا مخرج لها منها أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة على التفصيل الآتي :

[*] أما في الدنيا : فإن زوجها متى تبين من جنايتها وخيانتها تقرَّب إلى الله تعالى بطلاقها ، وطهَّر اسمَه من دَنَسِ الاقتران بها ، وتبرأ إلى ربه من فِعلها ، وصبَّ عليها الدعاء صبَّاً حتى ينفَرِطَ عِقدُها ، جزاءاً لارتكابها لأشنعِ جنايةٍ في حقه .

وهي كذلك لابد أن ترى عقوبة خيانتها لزوجها في الدنيا قبل الآخرة إيماناً وتصديقاً بقول النبي ﷺ في الحديث الآتي :

(حديث أنس في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا : البغي و العقوق .

الشاهد :

قوله ﷺ (بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا) أي قبل موت فاعليها .

(البغي) أي مجاوزة الحد والظلم وليس هناك ظلمٌ أفحش من خياتة الزوجة لزوجها .

[*] وفي الآخرة : يأخذ من حسناتها بقدر مظلمتها له ، فعند الله تجتمعُ الخُصوم ويُقْتَصُ من الظالمِ للمظلوم ، فيقتصُ لجُرْحِه المكلوم وحقِ كرامته المهضوم من فعلها المشئوم ، وليس هناك أبشع من مظلمةِ خيانةِ الزوجةِ لزوجها وتأمل في الحديث الآتي بعين البصيرة:

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : (من كانت له مظلمة لأخيه من عِرْضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لايكون دينارا ولا درهما، إن كان له حسنات أُخِذَ منه بقدرِ مظلمته وإن لم تكن له حسنات أُخِذَ من سيئاته فَحُمِلَت عليه).

التفسير الشرعي لامتداد عين المرأة اللئيمة إلى غير زوجها :

مسألة:ما هو التفسير الشرعي لامتداد عين المرأة اللئيمة الخائنة الأثيمة إلى غير زوجها ؟

اعلمي أيتها الشقية التَعِسة أن ما حصل منك من امتداد عينك اللئيمة الخائنة الأثيمة إلى غير زوجك ما هو إلا من فسادِ النية وسوءِ الطوية وسقامة الضمائر ولؤمِ السرائر ،

بل هو من دناءة نفسك وخِسة طبعك وسواد قلبك ورداءةِ معدنكِ وهوانك على ربك ، إذ لو علم الله في قلبك خيراً لعصمك من الزلل ، ووفقكِ لصالح العمل والله تعالى يقول: (إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً) [الأنفال / ٧٠]

فإنه من يتحرَّ الخيرَ يُعطَه ومن يتق الشرَ يُوَقَّه مصداقاً لقول النبي ﷺ في الحديث الآتي :

(حديث أبي هريرة في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال إنما العلم بالتعلم و إنما الحلم بالتحلم و من يتحر الخير يعطه و من يتق الشر يوقه .

ولو أحبكِ الله تعالى لصانكِ بصيانتِه وحفَظَكِ بحفظه وكان سبحانه سمعك الذي تسمعين به ويدكِ التي تبطشين بها ، ورجلك التي تمشين بها مصداقاً لقول النبي ﷺ في الحديث الآتي : (حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح البخاري) أن النبي ﷺ قال : أن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى من عاد لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىَّ عبدي بشيءٍ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليِّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله الذي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنَّه ، وما ترددتُ عن شيءٍ أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته .

ولكنه سبحانه لما اطَّلع على قلبك ووجده خربٌ وبور وما فيه من نـور ، ورأى فيه المَيلُ إلى الحرامِ سقَطتِ من عين الملكِ العلاّم ، وتركَكِ فريسةً للرزايا والآثام ، ثم يُحَاسبكِ لا مَحالةَ على هذا الإجرام ، فسلب حفظه عنك وَوَكَلكِ إلى نفسك لأنك صِرْتِ بسواد قلبك أهون على الله من الجِعلان (الخُنْفِساء) التي تدفع بأنفها النَتَن والتي لا تجد بُغْيَتَها إلا في مواطن القذر والنَتَن .

ولو علم الله تعالى من قلبك الصدق في النجاة من الزلل لنجَّاكِ من الزلل ، ووفقكِ لصالح العمل ، وعصمَكِ الملكُ العلاّم من الرزايا والآثام على مدى انصرام العمر ومرورِ الأيام فإن الصدق منجاة وإن العبد إذا صدق مع الله تعالى صدقه الله مصداقاً لقول النبي ﷺ في الحديث الآتي :

(حديث شداد بن أوس في صحيح النسائي) أن النبي ﷺ قال : إن تصدق الله يصدقك .

[*] كان الحسن البصري رحمه الله تعالى إذا ذكر أهل المعاصي يقول :هـانوا علـى الله فعصوه ، ولو عزوا عليه لعصمهم .

فإذا اطَّلع الله تعالى على قلبها ووجد فيه صدق النية في عدم الوقوع في المعاصي لكتب الله تعالى لها النجاة لا محالة ، وما يعلمُ جنود ربك إلا هو ، فلا يتوهم إنسان أن الله تعالى يعلمُ من عبدهِ صدق النية في عدم الوقوع في الرذيلة ثم يتركه يقع فيها ، هذا أمرٌ مُحال عند ربنا الكبير المُتعال ، بل هو فوق ما يخطر ببال أو يدور في الخيال ، والله الذي لا إله غيره ما وقع إنسانٌ في الحرام إلا كان عنده مَيلٌ إلى الحرام والعياذ بالله ، ولا يظلمُ ربُك أحدا ، لكنَّ الإنسان إذا اتبع هواه وسار أسيراً ذليلاً وراء شهواته تراه يقيم العُذر لنفسه ويلتمس لها الدليل ويُلَفِق لها بزعمِهِ التأويل ، ويريد أن يُحَمِلَّ الناس جميعاً السبب في خطأهِ ويقول : هم السبب في زَلتي وهم الذين دفعوني إلى شِقْوَتي ، وأحياناً يلقي اللوم على القدر فيقول هو السبب في ذلك كما حصل في عهد الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب ﷺ حينما أتوْا بسارق فسأله عمر رضي الله تعالى عنه : ما حَمَلَك على ذلك ؟ فقال لـه : قَدَرُ الله يا أمير المؤمنين ، فقال له الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب ﷺ : ونحن نقطع يدك بقَدرِ الله ،فهو يحاول عَبَثاً أن يُخْفي الحقيقة المُرَّة المستقرة بين جنبيه والتي دفعته إلى الفجور وهي أنَّ عنده مَيلٌ إلى الحرام والعياذ بالله ، وهكذا تجد الإنسان إذا اتبع هواه وسار أسيراً ذليلاً وراء شهواته تراه يقيم العُذر لنفسه ويلتمس لها الدليل وَيُلَفِق لها بزعمِهِ التأويل ، ويريد أن يُحمِلَّ الناس جميعاً السبب في خطأهِ ويقول : هم السبب في زَلتي وهم الذين دفعوني إلى شِقْوَتي ، فلَيْتَه أحْسَنَ الظن بربه تعالى كما أحسن الظن بنفسه اللئيمة الخائنة الأثيمة التي أهلكته ورَمَتْ به في مستنقع الرذائل والآثام ، لكن هيهات فإن هذا لا يغير من الحقيقة شيئاً بل هو يزيد الأمرُ سوءاً ويزيدُ الطينُ بِلَة ، ويُضيفُ إليه ذنباً إلى ذنوبه وَعَيْباً إلى عيوبه ﴾ .

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح أبي داود) أن النبي ﷺ قال : ليس منا من خَبَّبَ امرأة على زوجها أو عبدا على سيده .

(من خَبَّبَ امرأة على زوجها) : التخبيب هو إفساد الزوجة على زوجها بأن يذكر مساوئ الزوج عند امرأته ، أو محاسن أجنبي عندها أو حَسَنَ إليها الطلاق ليتزوجها هو أو يزوجها لغيره أو غير ذلك .

﴿تنبيه﴾ وإفساد المرأة علي زوجها له صور وأشكال متعددة : بالتعريض أو التلميح أو التحريض ، والتعالي لإظهار عجز الطرف الآخر.. إلي غير ذلك من هذه السلوكيات وأمثالها التي تدفع صاحبه بأنه يسعى لتعكير صفو العلاقة بين المرأة وزوجها ، والتخبيب من كبائر الذنوب وفواحش العيوب .

[*] قال ابن القيم رحمه الله :

وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك ، وتبرأ منه ، وهو من أكبر الكبائر ، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه فكيف بمن يسعى بالتفريق بينه وبين امرأته وأمته حتى يتصل بها ، وعشاق الصور ومساعدوهم من الديثة لا يرون ذلك ذنبا ؛ فإن في طلب العاشق وصل معشوقه ومشاركة الزوج والسيد ففي ذلك من إثم ظلم الغير ما لعله لا يقصر عن إثم الفاحشة إن لم يربُ عليها ، ولا يسقط حق الغير بالتوبة من الفاحشة ، فإن التوبة وإن أسقطت حق الله فحق العبد باق ، له المطالبة به يوم القيامة ، فإنَّ ظُلْمَ الزوج بإفساد حليلته والجناية على فراشه أعظمُ مِن ظلمه بأخذ ماله كله ، ولَهَذا يؤذيه ذلك أعظم مما يؤذيه بأخذ ماله، ولا يعدل ذلك عنده إلا سفك دمه، فيا له من ظلم أعظم إثما من فعل الفاحشة ، فإن كان ذلك حقّاً لغازٍ في سبيل الله وقف له الجاني الفاعل يوم القيامة ، وقيل له : خذ من حسناته ما شئت ، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : فما ظنكم ؟! أي : فما تظنون تبقى له من حسناته ؟،

(حديث بريدة الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : حُرْمَة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم و ما من رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وُقِفَ له يوم القيامة يأخذُ من عمله ما شاء فما ظنكم ؟

فإن انضاف إلى ذلك أن يكون المظلوم جاراً ، أو ذا رحم محرم : تعدد الظلم ، وصار ظلما مؤكدا لقطيعة الرحم وأذى الجار ، ولا يدخل الجنة قاطع رحم، ولا من لا يأمن جاره بوائقه .

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال: لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه .

﴿تنبيه﴾ :ولعل المرأة الفاسدة الذي قَبِلَت التخبيب وامتدت عينها اللئيمة الخائنة الأثيمة إلى غير زوجها لعلها تقول مستخفةً : وكيف يعرف زوجي ذلك ؟!، وليس لديه بينةٌ تثبت ذلك ، فنقول هذا صحيح لكنه وإن لم يكن لديه بينة لكن لديه أقوى سلاح وهو تعليق الدعاء (اللهم إن كان قومٌ استغفلوني واستخفوا بحقي واجترءوا على عِرْضي وأهدروا كرامتي دون رادعٍ يردعهم ، اعتماداً منهم على أني لا أعلم بذلك، فإن كان علمي قاصر ــ وهو كذلك ــ فإني أُحيلُ ذلك على علمك الذي أحاط بكل شيء وأُحيلُ ذلك على غَيْرَتك على محارمك، فانتقم لي منهم ودمرهم تدميراً ولا ترحم فيهم مَغْرَزَ إبرة ، واحرمهم من عافيتك في الدنيا واحرمهم من جنتك يوم القيامة ، واجعلهم يطلبون الموت فلا يجدوه ، واقْسِمْ ظهورهم وأعمي أبصارهم ودمِّر أعضائهم واهتكْ سِتْرَهُم ، اللهم اقتلهم وصدِّع بنيانهم وأتلفهم وشِلَّ أركانهم واجعل الدائرةَ عليهم ، اللهم سلَّط عليهم كلَ داءٍ عضال وكلَ مرضٍ قَتَّال يتمنون منه الخلاص ولات حين مناص ، اللهم أحصهم عددا واقتلهم بِدَدًا ولا تغادر منهم أحدا .

سوء عاقبة التخبيب :

ألا فليعلم هذا المُخَبِّب الفاسد المروءة والعقل والدين والضمير ، الشقي التَعِس أنه صيَّر نفسه جندٌ من جنود إبليس ، فلقد زاد فساده واستشرى وتمادى في غَيِّه وأصرَّ على باطله ، وأظهر العداوة وكشف فيها قِناعه وحَسَرَ لِثَامه وكشف عن أنيابه يلتمس العثرات ويترقب الهفوات وتناسى مراقبة ربِ الأرضِ والسماوات ، فورب السماوات والأرضِ إنما توعدون لآت ، هذا المُخادع المُصانع الذي ينصب المكائد والفِخَاخ ويَدُسُّ السمَّ في العسل ويتكلم بلسان الواعظ الأمين وهو عدوٌ مبين ، لأنه أروغ من ثعلب وأحقدُ من جمل وأكذب من مُسَيلمة ، وهو كذلك أذل من نعل وأهونُ من المَهَانة وأضلُ من حِمارِ أهله ، وهو كذلك أعقُّ من ضَب وأضرُّ من الجرب وأشرُ من البرص ، هذا العتي الغوي الظالم الغاشم المتغطرس ، بظلمه وبطشه أورد نفسه المهالك وحملها على الأمورِ الموبقة ، استحوذ

عليه الشيطان واتخذه مَرْكَباً فصدَّه عن الإنابة وأملى له فورطَّه في الغرور وزين له سـوء عمله فصدَّه عن سواء السبيل ،

قد صَـادَهُ إبليـسُ في فِخـاخـه	بل قَـدْ صَـار من أفْرَاخِـه
فليـتَ شِـعْري من أبـاح ذلك	وأورد نفسـه في المَهالك

قاتله الله وصدَّع بنيانه ، وأتلفه وشلَّ أركانه ، كسر الله ظهـره وأعمـى بصـره ودمَّـر أعضائه وهتك ستره وأتلفَه كلَه ، اللهم العنه لعنةً تُدَمِرْه في نفسهِ وتَدْخُلُ معه فـي قبـرهِ وتُهْلِكْه يوم عَرْضِهِ على ربه ، اللهم اجعل الدائرةَ عليه وأصبْه بنفسه وأهله ودمرْه تدميرا ، اللهم أنزل عليه بأسك الذي لا يُرَد عن القومِ المجرمين ، اللهم سلِّط عليه كلَ داءٍ عضال وكلَ مرضٍ قَتَّال يتمنى منه الخلاص ولات حين مناص ،لا رَحِمَ الله فيه مَغْرِزَ إبره ، حتى يكون عبرةً لمن يعتبر لئلا يستشرى هذا المرضِ العِضَال بين المسلمين ، ولـئلا يسـتهينُ بِفِعْله من سوَّلَت له نفسه أن يفعل هذا الفعل المَشِين .

☜ و ليعلم هذا الشقي المَهين علم اليقين الذي لا يخالطه شك أنه سيرى عاقبة ظلمه وبغيه في الدنيا قبل الآخرة لا محالة فإن الجزاء من جنس العمل لا محالة بنص الكتاب والسـنة الصحيحة

قال تعالى :(وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ) [فاطر : ٤٣]

[*] قال الإمام ابن كثير رحمه الله :

أي: وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم.

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ) [يونس : ٢٣]

[*] قال الإمام ابن كثير رحمه الله:

أي: إنما يذوق وبال هذا البغي أنتم أنفسكم ولا تضرون به أحدا غيركم ، أهـ

وتأمل في الأحاديث الآتية بعين الاعتبار :

(حديث أنس في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :بابان معجلان عقوبتهما في الـدنيا : البغي و العقوق .

الشاهد :

قوله ﷺ (بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا) أي قبل موت فاعليها

(البغي) أي مجاوزة الحد والظلم وليس هناك ظلمٌ أفحش من إفساد المرأة على زوجها .

(حديث أبي صِرْمَةَ في صحيحي أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ قال : من ضَارَّ أضـرَ الله به و من شاقَّ شاقَّ الله عليه .

(من ضارّ) بشد الراء أي أوصل ضرراً إلى مسلم بغير حق

(أضرَ الله به اللّه به) أي أوقع به الضرر وشدد عليه عقابه في العقبى

(ومن شاق) بشد القاف أي أوصل مشقة إلى أحد بمحاربة أو غيرها

(شق اللّه عليه) أي أدخل عليه ما يشق عليه مجازاة له على فعله بمثله وأطلق ذلـك ليشمل المشقة عليه

نفسه وعلى الغير بأن يكلف نفسه أو غيره بما هو فوق طاقته .

(حديث جابر في صحيح أبي داود) أن النبي ﷺ قال : ما من امرئ يخذُل امرءاً مسلما فـي موطن يُنْتَقَصُ فيه من عِرْضِهِ و يُنْتَهَكُ فيه من حُرْمَتِهِ إلا خَذَلَه الله تعالى في مَوْطِنٍ يُحِـبُ فيه نُصْرَتِهِ و ما من أحد ينصر مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه و ينتهك فيه مـن حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته .

(ما من امرئ يخذل) بذال معجمة مضمومة قال تعالى { وإن يخذلكم }

(امرءاً مسلماً) أي لم يحل بينه وبين من يظلمه ولا ينصره

(في موضع ينتقص فيه من عرضه) بكسر العين (وينتهك فيه من حرمته) بـأن يتكلم فيه بما لا يحل والحرمة هنا ما لا يحل انتهاكه قال الجوهري : انتهك عرضه بـالغ في شتمه (إلا خذله اللّه في موطن يحب فيه نصرته) أي في موضع يكون فيه أحوج لنصرته وهو يوم القيامة فخذلان المؤمن حرام شديد التحريم دنيوياً كان مثل أن يقدر على دفع عدو يريد البطش به فلا يدفعه أو أخروياً كأن يقدر على نصحه من غيه بنحـو وعـظ فيترك

(وما من أحد ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره اللّه في موطن يحب فيه نصرته) وهو يوم القيامة .

(حديث المستورد رضي الله عنه الثابت في صحيح أبي داوود) أن النبي ﷺ قال :من أكل برجل مسلم أكله فإن الله يطعمه مثلها من جهنم ومن كسي ثوبا برجـل مسـلم فـإن الله

يكسوه مثله من جهنم ومن قام برجل مقام سمعة ورياء فإن الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة .

(حديث أنس في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا : البغي و العقوق .

الشاهد :

قوله ﷺ (بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا) أي قبل موت فاعليها

(البغي) أي مجاوزة الحد والظلم وليس هناك ظلمٌ أفحش من خياتة

وليضع نصب عينيه أن الجزاء من جنس العمل وأنه من ضَارَّ أضرَ الله به.

(حديث أبي صِرْمَةَ في صحيحي أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ قال : من ضَارَّ أضرَ الله به و من شاقَّ شاقَّ الله عليه .

(من ضارّ) بشد الراء أي أوصل ضرراً إلى مسلم بغير حق

(أضرَ الله به اللّه به) أي أوقع به الضرر وشدد عليه عقابه في العقبى

(ومن شاق) بشد القاف أي أوصل مشقة إلى أحد بمحاربة أو غيرها

(شق اللّه عليه) أي أدخل عليه ما يشق عليه مجازاة له على فعله بمثله وأطلق ذلك ليشمل المشقة عليه

نفسه وعلى الغير بأن يكلف نفسه أو غيره بما هو فوق طاقته .

(حديث جابر في صحيح أبي داود) أن النبي ﷺ قال : ما من امرئ يخذُل امرءاً مسلما في موطن يُنْتَقَصُ فيه من عِرْضِهِ و يُنْتَهَكُ فيه من حُرْمَتِهِ إلا خَذَلَه الله تعالى في مَوْطِنٍ يُحِبُ فيه نُصرْتِهِ و ما من أحد ينصر مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه و ينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته .

(ما من امرئ يخذل) بذال معجمة مضمومة قال تعالى { وإن يخذلكم }

(امرءاً مسلماً) أي لم يحل بينه وبين من يظلمه ولا ينصره

(في موضع ينتقص فيه من عرضه) بكسر العين (وينتهك فيه من حرمته) بأن يتكلم فيه بما لا يحل والحرمة هنا ما لا يحل انتهاكه قال الجوهري : انتهك عرضه بالغ في شتمه (إلا خذله اللّه في موطن يحب فيه نصرته) أي في موضع يكون فيه أحوج

لنصرته وهو يوم القيامة فخذلان المؤمن حرام شديد التحريم دنيوياً كان مثل أن يقدر على دفع عدو يريد البطش به فلا يدفعه أو أخروياً كأن يقدر على نصحه من غيه بنحو وعظ فيترك

(وما من أحد ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره اللّه في موطن يحب فيه نصرته) وهو يوم القيامة .

(حديث المستورد رضي الله عنه الثابت في صحيح أبي داوود) أن النبي ﷺ قال :من أكل برجل مسلم أكله فإن الله يطعمه مثلها من جهنم ومن كسي ثوبا برجل مسلم فإن الله يكسوه مثله من جهنم ومن قام برجل مقام سمعة ورياء فإن الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة .

➢قصص مأساوية دامية لسوء عاقبة التخبيب :

هآنذا أسوق لك قصصاً دامية تُدمِي القلوب تبين سوء عاقبة التخبيب لعلها تجد لك في سمعك مسمعاً وفي قلبك موقعاً من باب الذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهوشهيد :

➢﴿ قصة صاحب المِسحاة ﴾ :

عن عطاء بن السائب عن ميسرة قال كان رجل من بني إسرائيل من عباد بني إسرائيل يعمل بالمسحاة وكانت له امرأة من أجمل نساء بني إسرائيل فبلغ جبارا من جبابرة بني إسرائيل جمالها فأرسل إليها عجوزا فقال خببيها عليه وقولي لها ترضين أن تكوني عند مثل هذا الذي يعمل بالمسحاة ولو كنت عندي لحليتك بالذهب وكسوتك بالحرير وأخدمتك الخدم يعني فقالت لها

وكانت تقرب إليه فطره وتفرش له فراشا فلم تفعل وتغيرت عليه فقال يا هنتاه ما هذا الخلق الذي لا أعرفه ؟ قالت هو ما ترى قال فطلقها فتزوجها جبار بني إسرائيل فلما دخلت عليه وأرخيت الستور عمي وعميت فأهوى بيده ليلمسها فجفت يده وأهوت بيدها تلمسه فجفت يدها وصما وخرسا ونزعت منهما الشهوة ، فلما أصبحا رفعت الستور فإذا هم صم

عمي خرس فرفع خبرهما إلى نبي بني إسرائيل فرفع خبرهما إلى الله تعالى فقال إني لست أغفر لهما أبدا ظنا أن ليس بعيني ما عملا بصاحب المسحاة .

[*][*][*][*]

﴿ قصة أبي مسلم الخولاني ﴾ :

كان أبو مسلم الخولاني رحمه الله إذا انصرف من المسجد إلى منزله كبر على باب منزله فتكبر امرأته فإذا كان في صحن داره كبر فتجيبه امرأته فإذا بلغ باب بيته كبر فتجيبه امرأته فانصرف ذات ليلة فكبر عند باب داره فلم يجبه أحد فلما كان في الصحن كبر فلم يجبه أحد فلما كان في باب بيته كبر فلم يجبه أحد وكان إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه ونعليه ثم أتته بطعامه ، قال فدخل فإذا البيت ليس فيه سراج وإذا امرأته جالسة في البيت منكسة تنكت بعود معها

فقال لها: مالك ؟

فقالت أنت لك منزلة من معاوية وليس لنا خادم فلو سألته فأخدمنا وأعطاك فقال: اللهم من أفسد علي امرأتي فأعم بصره ، قال : وقد جاءتها امرأة قبل ذلك فقالت زوجك له منزلة من معاوية فلو قلت له يسأل معاوية يخدمه ويعطيه عشتم قال فبينا تلك المرأة جالسة في بيتها إذ أنكرت بصرها فقالت ما لسراجكم طفئ قالوا لا فعرفت ذنبها فأقبلت إلى أبي مسلم تبكي تسأله أن يدعو الله عز و جل لها يرد عليها بصرها

قال فرحمها أبو مسلم فدعا الله عز و جل لها فرد عليها بصرها .

﴿تنبيه﴾ :انظر إلى المرأة المُخَبِّبَة الفاسدة القلب والعقل والدين والضمير التي أفسدت زوجَ أبي مسلم عليه كيف أفسدت امرأته عليه وهي تدسُّ السم في العسل ، وتنصح بلسان الواعظ الأمين وهي عدوٌ مبين .

قصة بعنوان « زوجة رجل محترم » :

وبحزن تؤكد إحدى السيدات أن سبب تعاستها في الحياة هي إحدى صديقاتها، وتضيف:كنت زوجة لرجل محترم ولكن كان عصبياً للغاية، أنجبت منه ولدين وبنتاً وتحملت عصبيته من

أجل أولادي إلى أن ظهرت في حياتي إحدى الجارات التي سكنت بجواري حديثاً، وكانت تسمع زوجي وهو يرفع صوته عليّ وعلى الأولاد، وزارتني ذات يوم وسألتني عن سبب عصبية زوجي فقلت لها :هذا طبعه؟ انه عصبي لكنه طيب القلب ،فأبدت استياء ونصحتني ألا أسكت على هذا الوضع، وأن هذا غير لائق بي، ورفع صوته علي يعني أنه لا يحترمني ولا يحبني ..واتهمتني بالضعف وطالبتني أن آخذ حقي من زوجي ويكون لي موقفاً إيجابياً معه .

وبعد أسبوع زارتني ثانية وكررت نصائحها، وظلت تحكي لي عن شقيقها، وحنانه على زوجته رغم تسلطها، ورقته معها رغم نكدها .

وأيضاً تحكي لي عن شقيقها المثالي في معاملته للنساء وحنانه ورقته إلى آخره ..

إلى أن جاءتني يوماً وقالت لي إن شقيقها موجود وطلبت مني أن أجلس معه لأحكي له عن مشاكلي مع زوجي ولا أعرف كيف وافقتها وذهبت معها إلى شقتها، وبالفعل وجدت رجلاً وسيماً، هادئاً، رقيقاً، مثقفاً في حديثه وشعرت براحة شديدة وأنا أتحدث معه، وتكررت زياراته، وبالتالي لقاءاتنا، فطلبت من زوجي الطلاق وهدمت بيتي، وأبدى هو وشقيقته سعادة بالغة بهذا الخبر، وفي شهور العدة حاول أن يقيم معي علاقة غير شرعية ولما رفضت بشدة وإصرار اختفى فجأة هو وشقيقته من العمارة نهائياً، ولا أعرف أين ذهبا .. ولكن بعد أن فقدت زوجي وبيتي وأولادي واستقراري ..

ولم يبق لي إلا أصابع الندم أعضها ليل نهار وأقول: حسبي الله ونعم الوكيل في هذه الجارة الشيطانة، التي أحذّر كل النساء من أمثالها، وأنصحهن بألا يضعن أذنهن لنصائح الأخريات، وألا يسمحن لهن بالتدخل في حياتهن مهما كان الثمن .

➢قصة بعنوان «ضياع الأخلاق في مذهب العُشَّاق الفُساق» :

قصة مأساوية ترويها إحدى الفتيات لصديقتها ووالله إنها لعجب عجاب من المصائب والرزايا!! يتضح فيها ضياع الأخلاق في مذهب العُشَّاق الفُساق وضوحاً جلياً ، وتبين سوء عاقبة المرأة التي تقبل التخبيب والإفساد على زوجها فإلى هذه القصة.☞

☜لن تصدقي ما حدث لي وما فعلته بملء إرادتي، أنت الوحيدة في هذا العالم التي أبوح لها بما فعلت، فأنا لم أعد أنا، كل ما أريده من هذه الدنيا فقط المغفرة من الله عز وجل وأن

يأخذني الموت قبل أن أقتل نفسي. لا أدري ما سأفعله بنفسي حيث يغمرني اليأس وكل ما بين عيني ظلام في ظلام.

سوف تقرئين في السطور التالية مأساتي التي ربما تكرهين بعدها بنتاً اسمها (فلانة)، ولك كل العذر في ذلك، ولكن أرجو منك أن تنشري قصتي في صفحة من صفحات الإنترنت لكي تكون عبرة لمن تستخدم الإنترنت وخصوصاً التشات.

إن قصتي التي ما من يوم يمر علي إلا وأبكي حتى أني لا أقدر على الرؤية بعدها .كل يوم يمر أفكر فيه بالانتحار عشرات المرات.

لم تعد حياتي تهمني أبداً، أتمنى الموت كل ساعة، ليتني لم أولد ولم أعرف هذه الدنيا، ليتني لم أخلق، ماذا أفعل أنا في حيرة وكل شيء عندي أصبح بلا طعم ولا لون، لقد فقدت أعز ما أملك، بيدي هذه أحرقت نفسي وأسرتي، أحرقت بيتي وزوجي وأبنائي.

ستستسخفين كل شيء فعلته وما أقدمت عليه وتنعتينني بالساذجة والغبية والمغفلة والتافهة ووو ، لك كل الحق فأنا ربما أحمل من الصفات ما هو أكثر. ولكن لن يقدر أحد على إرجاع ما أضعت، لن يستطيع أحد مساعدتي أبداً. لقد وقع الأمر وأصبح وصمة عار في تاريخي.

إنني أضعها بين يديك لكي تنشريها حتى تكون علامة ووقاية لكل بنت تستخدم الإنترنت ولكي تعتبروا يا أولي الألباب.

إليك قصتي:

بدايتي كانت مع واحدة من صديقاتي القليلات، دعتني ذات يوم إلى بيتها وكانت من الذين يستخدمون الإنترنت كثيراً وقد أثارت فيّ الرغبة لمعرفة هذا العالم. لقد علمتني كيف يستخدم وكل شيء تقريباً على مدار شهرين حيث بدأت أزورها كثيراً.

تعلمت منها الشات بكل أشكاله، تعلمت منها كيفية التصفح وبحث المواقع الجيدة والرديئة.

في خلال هذين الشهرين كنت في عراك مع زوجي كي يدخل الإنترنت في البيت، وكان ضد تلك المسألة حتى أقنعته بأنني أشعر بالملل الشديد وأنا بعيدة عن أهلي وصديقاتي، وتحججت بأن كل صديقاتي يستخدمن الإنترنت فلم لا أستخدم أنا هذه الخدمة وأحادث صديقاتي عبره فهو أرخص من فاتورة الهاتف على أقل تقدير، فوافق زوجي رحمةً بي .

وفعلاً أصبحت بشكل يومي أحادث صديقاتي كما تعرفين. بعدها أصبح زوجي لا يسمع مني أي شكوى أو مطالب، اعترف بأنه ارتاح كثيراً من إزعاجي وشكواي له. كان كلما خرج من البيت أقبلت كالمجنونة على الإنترنت بشغف شديد، أجلس أقضي الساعات الطوال. بدأت أتمنى غيابه كثيراً وقد كنت أشتاق إليه حتى بعد خروجه بقليل. أنا أحب زوجي بكل ما تعني هذه الكلمة وهو لم يقصر معي حتى وحالته المادية ليست بالجيدة مقارنةً بأخواتي وصديقاتي، كان بدون مبالغة يريد إسعادي بأي طريقة. ومع مرور الأيام وجدت الإنترنت تسعدني أكثر فأكثر، وأصبحت لا أهتم حتى بالسفر إلى أهلي وقد كنا كل أسبوعين نسافر لنرى أهلي وأهله. كان كلما دخل البيت فجأة ارتبكت فأطفئ كل شيء عندي بشكل جعله يستغرب فعلي، لم يكن عنده شك بل كان يريد أن يرى ماذا أفعل في الإنترنت، ربما كان لديه فضول أو هي الغيرة حيث قد سمع يوماً محادثة صوتية لم أستطع إخفاءها. بعدها كان يعاتبني ويقول الإنترنت مجال واسع للمعرفة، يحثني على تعلم اللغات وكيفية عمل مواقع يكون فيها نفع للناس وليس مضيعة وقت كما يكون في التشات. أحسسته بعدها بأني جادة وأريد التعلم والاستفادة وأني لا أذهب للتشات إلا لمكالمة أخواتي وصديقاتي وتسليتنا عما نحن فيه.

لقد تركت مسألة تربية الأبناء للخادمة. كنت أعرف متى يعود فلا أدخل في الإنترنت ومع ذلك أهملت نفسي كثيراً. كنت في السابق أكون في أحسن شكل وأحسن لبس عند عودته من العمل، وبعد الإنترنت بدأ هذا يتلاشى قليلاً حتى اختفى كلياً وبدأت أختلق الأعذار بأنه لم يخبرني بعودته أو أنه عاد مبكراً على غير العادة وهكذا. كنت مشغوفة بالإنترنت لدرجة أني أذهب خلسة بعد نومه وأرجع خلسة قبل أن يصحو من النوم .ربما أدرك لاحقاً أن كل ما أفعله في الإنترنت هو مضيعة وقت ولكنه كان يشفق عليّ من الوحدة وَبُعْدَ الأهل وقد استغللت هذا أحسن استغلال. كان منزعجاً لعدم اهتمامي بأبنائنا، وبخني كثيراً وكان سلاحي البكاء وأنه لا يعرف ماذا يدور في البيت وهو غائب فكيف يحكم عليّ هكذا.

باختصار كنت أهاتفه عشرات المرات وهو خارج البيت فقط أريد سماع صوته والآن وبعد الإنترنت أصبح لا يسمع صوتي أبداً إلا في حالة احتياج البيت لبعض الطلبات النادرة. لقد تولدت لدى زوجي غيرة كبيرة من الإنترنت ولكن كنت أحارب هذه الغيرة بالدموع وكيد

النساء كما يقولون. هكذا كانت حياتنا لمدة ستة أشهر تقريباً. لم يكن يخطر ببال زوجي أني أسيء استخدام هذه الخدمة أبداً.
خلال تلك الأيام بنيت علاقات مع أسماء مستعارة لا أعرف إن كانت لرجل أم أنثى .كنت أحاور كل من يحاورني عبر التشات، حتى وأنا أعرف أن الذي يحاورني رجل. كنت أطلب المساعدة من بعض الذين يدعون المعرفة في الكمبيوتر والإنترنت، تعلمت منهم الكثير، إلا أن شخصاً واحداً هو الذي أقبلت عليه بشكل كبير لما له من خبرة واسعة في مجال الإنترنت. كنت أخاطبه دائماً وألجأ إليه ببراءة كبيرة في كثير من الأمور حتى أصبحت بشكل يومي، أحببت حديثه ونكته كان مسلياً، وبدأت العلاقة تقوى مع الأيام. تكونت هذه العلاقة اليومية في خلال ثلاثة أشهر تقريباً، كان بيني وبين من يدعى (؟؟؟) الملقب بـ (Bandar) الشيء الكثير أغراني بكلامه المعسول وكلمات الحب والشوق، ربما لم تكن جميلة بهذه الدرجة ولكن الشيطان جملها بعيني كثيراً.
في يوم من الأيام طلب سماع صوتي وأصر على طلبه حتى أنه هددني بتركي وأن يتجاهلني في التشات والإيميل ، حاولت كثيراً مقاومة هذا الطلب ولم أستطع، لا أدري لماذا، حتى قبلت مع بعض الشروط، أن تكون مكالمة واحدة فقط، فقبل ذلك استخدمنا برنامجاً للمحادثة الصوتية، رغم أن البرنامج ليس بالجيد ولكن كان صوته جميلاً جداً وكلامه عذباً جداً، كنت أرتعش من سماع صوته. طلب مني رقمي وأعطاني رقم هاتفه، إلا أنني كنت مترددة في هذا الشيء ولم أجرؤ على مكالمته لمدة طويلة، «إني أعلم أن الشيطان الرجيم كان يلازمني ويحسنها في نفسي ويصارع بقايا العفة والدين وما أملك من أخلاق»، حتى أتى اليوم الذي كلمته من الهاتف. ومن هنا بدأت حياتي بالانحراف، لقد انجرفت كثيراً ... كنا كالعمالقة في عالم التشات، الكل كان يحاول التقرب منا والويل لمن يحاربنا أو يشتمنا. أصبحنا كالجسد الواحد، نستخدم التشات ونحن نتكلم عبر الهاتف. لن أطيل الكلام، من يقرأ كلماتي يشعر بأن زوجي مهمل في حقي أو كثير الغياب عن البيت. ولكن على العكس من ذلك، كان يخرج من عمله ولا يذهب إلى أصدقائه كثيراً من أجلي.
ومع مرور الأيام وبعد اندماجي بالإنترنت والتي كنت أقضي بها ما يقارب ٨ إلى ١٢ ساعة يومياً، أصبحت أكره كثرة تواجده في البيت، ألومه على هذا كثيراً، أشجعه أن يعمل في

المساء حتى نتخلص من الديون المتراكمة والأقساط التي لا تريد أن تنتهي، وفعلاً أخذ بكلامي ودخل شريكاً مع أحد أصدقائه في مشروع صغير، ثم بعد ذلك أصبح الوقت الذي أقضيه في الإنترنت أكثر وأكثر، رغم انزعاجه كثيراً من فاتورة الهاتف والتي تصل إلى آلاف الريالات، إلا أنه لم يقدر على ثنيي عن هذا أبداً.

علاقتي بـ (Bandar) بدأت بالتطور، أصبح يطلب رؤيتي بعد أن سمع صوتي والذي ربما مله، لم أكن أبالي كثيراً أو أحاول قطع اتصالي به، بل كنت فقط أعاتبه على طلبه وربما كنت أكثر منه شوقاً إلى رؤيته، ولكن كنت أترفع عن ذلك لا لشيء سوى أنني خائفة من الفضيحة وليس من الله . أصبح إلحاحه يزداد يوماً بعد يوم ويريد فقط رؤيتي لا أكثر، فقبلت طلبه بشرط أن تكون أول وآخر طلب كهذا يأتي منه وأن يراني فقط دون أي كلام. أعتقد أنه لم يصدق أني تجاوبت معه بعد أن كان شبه يائس من تجاوبي، فأوضح لي أن السعادة تغمره وهو إنسان يخشى أن يصيبني أي مكروه وسوف يكون كالحصن المنيع ولن أجد منه ما أكره ووافق على شروطي وأقسم بأن تكون نظرة فقط لا أكثر. نعم تجاوبت معه، تواعدنا والشيطان ثالثنا في أحد الأسواق الكبيرة في أحد المحلات بالساعة والدقيقة. لقد رآني ورأيته وليتني لم أره ولم يرني، كان وسيماً حتى في جسمه وطوله وكل شيء فيه أعجبني نعم أعجبني في لحظة قصيرة لا تتعدى دقيقة واحدة، لم يكن زوجي قبيحاً ولا بالقصير أو السمين ولكن شعرت في تلك اللحظة أنني لم أر في حياتي أوسم منه. ومن جهته لم يصدق أنه كان يتحادث مع من هي في شكلي. أوضح لي أني أسرته بجمالي وأحبني بجنون، كان يقول لي سوف يقتل نفسه إن فقدني بعدها، كان يقول ليته لم يرني أبداً. زادني أنوثة وأصبحت أرى نفسي أجمل بكثير من قبل حتى قبل زواجي.

هذه بداية النهاية يا أخواتي، لم يكن يعرف أني متزوجة وقد رزقني الله من زوجي بأولاد. عموماً أصبح حديثنا بعد هذا اللقاء مختلفاً تماماً. كان رومانسياً وعرف كيف يستغل ضعفي كأنثى وكان الشيطان يساعده بل ربما يقوده. أراد رؤيتي وكنت أتحجج كثيراً وأذكره بالعهد الذي قطعه، مع أن نفسي كانت تشتاق إليه كثيراً. لم يكن بوسعي رؤيته وزوجي موجود في المدينة. أصبح الذي بيننا أكثر جدية فأخبرته أنني متزوجة ولي أبناء ولا أقدر على رؤيته ويجب أن تبقى علاقتنا في التشات فقط. لم يصدق ذلك وقال لي لا يمكن أن أكون

متزوجة ولي أبناء. قال لي: أنت كالحورية التي يجب أن تصان أنت كالملاك الذي لا يجب أن يوطأ وهكذا. أصبحت مدمنة على سماع صوته وإطرائه تخيلت نفسي بين يديه وذراعيه كيف سيكون حالي، جعلني أكره زوجي الذي لم ير الراحة أبداً في سبيل تلبية مطالبنا وإسعادنا. بدأت أصاب بالصداع إذا غاب (Bandar) عني ليوم أو يومين أو إذا لم أجده في التشات، أصاب بالغيرة إذا تخاطب أو خاطبه أحد في التشات. لا أعلم ما الذي أصابني، إلا أنني أصبحت أريده أكثر فأكثر.

لقد شعر (Bandar) بذلك وعرف كيف يستغلني حتى يتمكن من رؤيتي مجدداً، كان كل يوم يمر يطلب فيه رؤيتي، وأنا أتحجج بأني متزوجة، وهو يقول ما الذي يمكن أن نفعله، أنبقى هكذا حتى نموت من الحزن، أيعقل أن نحب بعضنا البعض ولا نستطيع الاقتراب، لابد من حل يجب أن نجتمع، يجب أن نكون تحت سقف واحد. لم يترك طريقة إلى وطرقها، وأنا أرفض وأرفض. «حتى جاء اليوم الذي عرض فيه علي الزواج وأنه يجب أن يطلقني زوجي حتى يتزوجني هو»، وإذا لم أقبل فإما أن يموت أو أن يصاب بالجنون أو يقتل زوجي. الحقيقة رغم خوفي الشديد إلا أني وجدت في نفسي شيئاً يشدني إليه، وكأن الفكرة أعجبتني. كان كلما خاطبني ترتعش أطرافي وتصطك أسناني كأن البرد كله داخلي .احترت في أمري كثيراً، «أصبحت أرى نفسي أسيرة لدى زوجي وأن حبي له لم يكن حباً، بدأت أكره منظره وشكله. لقد نسيت نفسي وأبنائي كرهت زواجي وعيشتي كأني فقط أنا الوحيدة في هذا الكون التي عاشت وعرفت معنى الحب».

عندما علم وتأكد (Bandar) بمقدار حبي له وتمكنه مني ومن مشاعري، «عرض علي أن أختلق مشكلة مع زوجي وأجعلها تكبر حتى يطلقني». لم يخطر ببالي هذا الشيء وكأنها بدت لي هي المخرج الوحيد لأزمتي الوهمية، وعدني بأنه سوف يتزوجني بعد طلاقي من زوجي وأنه سوف يكون كل شيء في حياتي وسوف يجعلني سعيدة طوال عمري معه.

لم يكن وقعها علي سهلاً ولكن راقت هذه الفكرة لي كثيراً وبدأت فعلاً أصطنع المشاكل مع زوجي كل يوم حتى أجعله يكرهني ويطلقني، لم يحتمل زوجي كل تلك المشاكل التافهة والتي أجعل منها أعظم مشكلة على سطح الأرض، وبدأ فعلاً بالغياب عن البيت لأوقات أطول حتى صار البيت فقط للنوم. بقينا على هذه الحالة عدة أسابيع، وأنا منهمكة في

اختلاق المشاكل حتى أني أخطط لها مسبقاً مع(Bandar) ، أخذ هذا مني وقت طويلاً وبدأ (Bandar)يمل من طول المدة كما يدعي ويصر على رؤيتي لأن زوجي ربما لن يطلقني بهذه السرعة. حتى طلب مني أن يراني وإلا؟؟؟. لقد قبلت دون تردد كأن إبليس اللعين هو من يحكي عني ويتخذ القرارات بدلاً مني، وطلبت منه مهلة أتدبر فيها أمري.

في يوم الأربعاء الموافق ٢١/١/١٤٢١هـ قال زوجي إنه ذاهب في رحلة لمدة خمسة أيام، أحسست أن هذا هو الوقت المناسب. أراد زوجي أن يرسلني إلى أهلي كي أرتاح نفسياً وربما أخفف عنه هذه المشاكل المصطنعة، فرفضت وتحججت بكل حجة حتى أبقى في البيت، فوافق مضطراً وذهب مسافراً يوم الجمعة. كنت أصحو من النوم فأذهب إلى التشات اللعين وأغلقه فأذهب إلى النوم. وفي يوم الأحد كان الموعد، حيث قبلت مطالب صديق التشات وقلت له بأني مستعدة للخروج معه. كنت على علم بما أقوم به من مخاطرة ولكن تجاوز الأمر بي حتى لم أعد أشعر بالرهبة والخوف كما كنت في أول مرة رأيته فيها. وخرجت معه، نعم لقد بعت نفسي وخرجت معه اجتاحتني رغبة في التعرف عليه أكثر وعن قرب. اتفقنا على مكان في أحد الأسواق، وجاء في نفس الموعد وركبت سيارته ثم انطلق يجوب الشوارع. لم أشعر بشيء رغم قلقي فهي أول مرة في حياتي أخرج مع رجل لا يمت لي بأي صلة سوى معرفة ٧ أشهر تقريباً عن طريق التشات ولقاء واحد فقط لمدة دقيقة واحدة.

كان يبدو عليه القلق أكثر مني، وبدأت الحديث: قائلة له: لا أريد أن يطول وقت خروجي من البيت، أخشى أن يتصل زوجي أو يحدث شيء.

قال لي بتردد: (وإذا يعني عرف) ربما يطلقك وترتاحين منه.

لم يعجبني حديثه ونبرة صوته، بدأ القلق يزداد عندي ثم قلت له: يجب ألا نبتعد كثيراً، لا أريد أن أتأخر عن البيت.

قال لي: سوف تتأخرين بعض الوقت، لأني لن أتنازل عنك بهذه السهولة. فقط أريد أن تبقي معي بعض الوقت، أريد أن أملأ عيني منك لأني ربما لن يكون هناك مجال عندك لرؤيتي بعدها.

➢هكذا بدأ الحديث، رغم قلقي الذي يزداد إلا أني كنت أريد البقاء معه أيضاً، بدأ الحديث

يأخذ اتجاهاً رومانسياً، لا أعلم كم من الوقت بقينا على هذا الحال. حتى أني لم أشعر بالطريق أو المسار الذي كان يسلكه، وفجأة وإذا أنا في مكان لا أعرفه، مظلم وهي أشبه بالاستراحة أو مزرعة، بدأت أصرخ عليه ما هذا المكان؟ إلى أين تأخذني؟ وإذا هي ثوان معدودة والسيارة تقف ورجل آخر يفتح علي الباب ويخرجني بالقوة، كان كل شيء ينزل علي كالصاعقة، صرخت وبكيت واستجديتهم، أصبحت لا أفهم ما يقولون ولا أعي ماذا يدور حولي. شعرت بضربة كف على وجهي وصوت يصرخ علي وقد زلزلني زلزالاً فقدت الوعي بعده من شدة الخوف. إني لا أعلم ماذا فعلوا بي أو من هم وكم عددهم، رأيت اثنين فقط، كل شيء كان كالبرق من سرعته. لم أشعر بنفسي إلا وأنا مستلقية في غرفة خالية شبه عارية، ثيابي تمزقت، بدأت أصرخ وأبكي وكان كل جسمي متسخاً، وأعتقد أني بلت على نفسي، لم تمر سوى ثوان وإذا بـ (Bandar) يدخل علي وهو يضحك.

قلت له: بالله عليكم خلوا سبيلي، خلوا سبيلي، أريد أن أذهب إلى البيت.

قال: سوف تذهبين إلى البيت ولكن يجب أن تتعهدي بأن لا تخبري أحداً وإلا سوف تكونين فصيحة أهلك وإذا أخبرت عني أو قدمت شكوى سيكون الانتقام من أبنائك.

قلت له: فقط أريد أن أذهب ولن أخبر أحداً.

تملكني رعب شديد كنت أرى جسمي يرتعش ولم أتوقف عن البكاء، هذا الذي أذكره من الحادثة، ولا أعلم أي شيء آخر سوى أنه استغرق خروجي إلى حين عودتي ما يقارب الأربع ساعات. ربطوا عيني وحملوني إلى السيارة ورموني في مكان قريب من البيت. لم يرني أحد وأنا في تلك الحالة، دخلت البيت مسرعة، وبقيت أبكي وأبكي حتى جفت دموعي. تبين لي بعدها أنهم اغتصبوني وكنت أنزف دماً، لم أصدق ما حدث لي أصبحت حبيسة لغرفتي لم أر أبنائي ولم أدخل في فمي أي لقمة، يا ويلي من نفسي لقد ذهبت إلى الجحيم برجلي، كيف سيكون حالي بعد هذه الحادثة، كرهت نفسي وحاولت الانتحار، خشيت من الفضيحة ومن ردة فعل زوجي. لا تسأليني عن أبنائي فبعد هذه الحادثة لم أعد أعرفهم أو أشعر بوجودهم ولا بكل من حولي، حتى بعد أن رجع زوجي من السفر شعر بالتغير الكبير والذي لم يعهده من قبل وكانت حالتي سيئة لدرجة أنه أخذني إلى المستشفى بالقوة، والحمد لله أنهم لم يكشفوا علي كشفاً كاملاً بل وجدوني في حالة من الجفاف وسوء التغذية

وتوقفوا عند ذلك.

لن أطيل، طلبت من زوجي أن يأخذني إلى أهلي بأسرع وقت. كنت أبكي كثيراً وأهلي لا يعلمون شيئاً ويعتقدون أن هنالك مشكلة بيني وبين زوجي، أعتقد أن أبي تخاطب معه ولم يصل إلى نتيجة حيث إن زوجي هو نفسه لا يعلم شيئاً. لا أحد يعلم ما الذي حل بي حتى أن أهلي عرضوني على بعض القراء اعتقاداً منهم أني مريضة. أنا لا أستحق زوجي أبداً فقد طلبت منه هذه المرة الطلاق وقد كنت في السابق أطلب الطلاق لنفسي وهذه المرة أطلبه إكراماً لزوجي وأبي أبنائي. أنا لا أستحق أن أعيش بين الأشراف مطلقاً، وكل ما جرى لي هو بسببي أنا وبسبب التشات اللعين، أنا التي حفرت قبري بيدي، وصديق التشات لم يكن سوى صائد لفريسة من البنات اللواتي يستخدمن التشات. كل من سوف يعرف بقصتي سوف ينعتني بالغبية والساذجة، بل أستحق الرجم أيضاً، وفي المقابل أتمنى أن لا يحدث لأحد ما حدث لي.

أتمنى أن يسامحني زوجي فهو لا يستحق كل هذا العار، وأبنائي أرجو أن يسامحوني، أنا السبب أنا السبب. والله أسأل أن يغفر لي ذنبي ويعفو عني خطيئتي.

الآن وبعد أن قرأت أو قرأتَ قصة صديقتي، أما آن للبنات ومن يستخدم التشات والشباب الذي يلهث وراء الشهوات أن يخافوا الله في أنفسهم وأهليهم. هي ليست غلطة الإنترنت، بل نحن الذين لم نحسن استخدامه، نحن الذين نترك الخير والفائدة العظيمة ونبحث عن الشر وما هو مناف لأخلاق المسلم. أنا ألوم صديقتي لأنها كانت من أكثرنا رجاحة في العقل وكنا نحسدها على ذلك. لم تكن عيشتها سيئة أو أن انتقالها مع زوجها جريمة، بل كانت تعيش عيشة الكرام ومسألة الفراغ عند من لا يحسن استغلاله استغلالاً أمثل هي المشكلة.

الإنترنت في الغالب باب واسع من المعرفة وهو أيضاً باب للشر والرذيلة. الأجدر أن توضع الخطط والشروط بدءاً من مدينة الملك عبد العزيز ومقدمي الخدمة ومن لديه جهاز في البيت. ربما يجب أن نعيد النظر في التشات وهي ليست بالمسألة الهينة، وماذا عن الفراغ الذي يملأ ديارنا، وهؤلاء الشباب ممن ليس لديهم عمل أو أهل يراقبونهم. كل شيء يسير إلى الأسوأ في نظري، المشاكل كثرت، والطلاق، والسرقات، والغزل في الأسواق حتى أن

البنات بدأن يجارين الشباب في مغازلتهم.
أين دور الأب ورب الأسرة؟ ربما زوجها لم يحسن معاملتها وتوجيهها التوجيه الصحيح بل ربما رضخ لما تطلب ولم يبال بمعرفة ماذا يدور. وأنتم يا من يدعي الإسلام، ماذا فعلتم تجاه أنفسكم ومن بين أيديكم؟ إن الفراغ الذي يملأ ديارنا هو شر وأي شر، إن الشباب والمستقبل مرتبطان ارتباط تواجدنا على هذه الأرض التي أمرنا لنعمرها بالخير لا أن نجلس كالمتفرجين أو نكون يداً مساعدة على تفشي الفساد. أين المسلمون من الإنترنت؟ وماذا فعلوا؟ وما هي توجهاتهم؟ نحن إن بقينا على حالنا ولم نتحرك أصبحنا كالنعام ندس رأسنا في التراب. أين الدعوة والإرشاد وهيئة الأمر بالمعروف،؟ لماذا نحن آخر من يستخدم التقنيات الجديدة؟ لماذا لا نكون الرواد بدلاً من لحاقنا بالغرب وبدلاً من أن نسير مع ما يريده الغرب منا؟ أين شبابنا من العلم والنخر فيه؟ أين شباب المسلمين من وقتهم وكيف يوجد بينهم من يريد الفساد في الأرض؟
لا أقول إلا حسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم سلم سلم، اللهم لطفك بعبادك، اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك ويؤمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر. يا أماه ويا أبتاه كيف ضيعتم أمانتكم؟! أمي أنت أساس هذه الأمة أين دورك في إنتاج جيل يقود هذا العالم بدلاً من التسكع في الشوارع وقتل الفراغ في الشهوات والملذات؟
أين وطني وكيف له أن يبقى وهو مستورد فقط بدلاً من أن يصدر العلم والمعرفة والدين؟ فهكذا أصبحنا نستورد أخلاقنا وقيمنا من الغرب. كيف يحدث هذا في بلادنا؟ كيف يفعل مسلم فعلة كهذه؟ الأمر بيد أولياء أمور المسلمين سوف يسألون عن كل صغيرة وكبيرة، فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا.
بقي أن أقول .. لقد توفيت صديقتي قبل أسابيع، ماتت ومات سرها معها، زوجها لم يطلقها وقد علمت أنه حزن عليها حزناً شديداً، وعلمت أنه ترك عمله، ورجع لكي يبقى بجانب أبنائه ورائحة زوجته. شعرت بعدها أن هذه الحياة ليست ذات أهمية ليس بها طعم أبداً إلا من استثمرها في طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

☜تحليل القصة :

➢موقف المرأة التي قبلت الإفساد على زوجها :

(١) هي التي فتحت المجال للفاسد المُحتال فكلمته بغير إذن زوجها «ومن زرع الشوك لا يجني عنباً» فباءت بذنبها ورجعت تَجُرُّ أذيال الخيبة والخسران والخيانة وأورطت نفسها في ورطةٍ لا مخرج لها منها أبدا ، وتأمل في الحديث الآتي بعين البصيرة وأمْعِنِ النظر فيه واجعل له من سمعك مسمعا وفي قلبك موقِعاً عسى الله أن ينفعك بما فيه من غرر الفوائد ، ودرر الفرائد .

(حديث عمرو ابن العاص رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ نهى أن تُكَلَّمَ النساء إلا بإذن أزواجهن .

[نهى أن تكلم النساء إلا بإذن أزواجهن] لأنه مظنة الوقوع في الفاحشة بتسويل الشيطان ، ألا فلتحذر العاقلة ولْتَنْتَبِه الغافلة فلا تتساهل في الكلام مع رجلٍ أجنبيٍ عنها بغير إذن زوجها فربما أفضى ذلك بها إلى الهوةِ السحيقة ، وربما كان ذلك سبباً في هلاكها في الدنيا والآخرة ، وربما زَلَّت قدمُها بعد ثبوتها وانزلقت في ورطةٍ لا مخرج لها منها أبدا، ولا تنسى أن الله تعالى يقول : (يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشّيْطَانِ وَمَن يَتّبِعْ خُطُوَاتِ الشّيْطَانِ فَإِنّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ) [سورة: النور : ٢١]

﴿تنبيه﴾ :➢إن الذي يُمْعِنُ النظر بعين البصيرة في هذا الحديث الشريف يجد أنه حصنٌ حصين لِحمايةِ جَنَابِ البيوت ، ومنع تسرب الفسادِ إلى المرأة ، فلا يجوز لك أن تكلم المرأة إلا بإذن زوجها ، ولا يغرنَّك ما تجدُ في بعض أولياء المرأةِ من الدياثةِ ما لعلك لا تجده في الخنزير نفسه ، وكأنه قاتله الله يتبارى مع الخنزير أيهما أشد دياثةً من صاحبه ، وجدنا في بعض القضايا المعاصرة من قضايا التخبيب والإفساد ما يثير العجب وكله يرجع إلى سببٍ واحد وهو أن يكلم الرجل بغير إذن زوجها ، ومن ذلك ما وجدنا في بعض القضايا أن المرأة إذا غاضبَها زوجها أو كان بينه وبينها شيءُ يُعَكرُ صفو حياتهما ـ وفي الغالب تكون المرأة هي السبب في ذلك كما وجدناه وعلمناه علم اليقين ـ فإن أحد أوليائها يأخذها بيدها ليعرفها على ما يُسمَّى بالشيخ لتحكي له الخلاف الذي بينها وبين زوجها ، وهذا بداية العِوج عن الطريق المستقيم ، ومَزَلَة الأقدام في العشق الحرام ، وإذا بالشيخ الفاسد القلب والعقل والدين والضمير الذي خالف نهي النبي بأن تُكَلَّمَ النساء إلا بإذن أزواجهن

وولاه ظهره وضرب به عُرض الحائط ، إذا به قاتله الله يُكَلِمُ المرأةَ بأسلوب أنعم من جلـد الثعبان فبدلاً من أن ينظمها في سلك طاعة زوجها إذا به يُحببها إلى نفسه ويُبَغِّضُ إليهـا زوجها ، وإذا بالمرأةِ فاسدةً لا تعرفُ غَضَ البصر ، فَغَض البصر لا يخطر لهـا ببـال ولا يدور لها الخيال ، فيقعا في جريمتي التخبيب والعشق الحرام فَنَازِلاً ،

والسؤال الذي يطرح نفسه الان من الذي فتح هذا المجال للعشق الحرام ؟

إنه أحد أولياء المرأة الذي نُزِعت منه الغَيْرَةُ على محارمه ، الذي سقطت منـه رجولتـه تحت قدميه ، وذهبت شهامته أدراج الرياح ، وصار فيه من الدياثة ما لعلها لا توجد فـي الخنزير نفسه .

وحقٌ على كل من أراد أن يستبرئ لدينه وعِرضه ، وأن ينهج نهج السلامة ــ والسلامة لا يعدلها شيء ــ أن يستحضر دائماً وأبداً أن فتنةَ النساء هي أضرُ فتنةً على الرجال بنص السنة الصحيحة ، فلا يتساهل في التعامل معهن أبدا، وتأمل في الحـديثين الآتيـين بعـين البصيرة وأمْعِنِ النظر فيهما واجعل لهما من سمعك مسمعا وفي قلبك موقِعاً عسـى الله أن ينفعك بما فيهما من غرر الفوائد ، ودرر الفرائد .

◆(حديث أسامة بن زيد الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : (ما تركتُ بعدي فتنةً أضرُ على الرجال من النساء)

◆(حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فـاتقوا الـدنيا واتقـوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء .

﴿تنبيه﴾ :يجب على المرأة المسلمة أن لا تكلم رجلاً أجنبياً بغير إذن زوجها لأنها تكون قد خالفت أمر النبي ﷺ ، ثم إنها بذلك تفتح باب الفتنة على مصراعيه ،وتُلقي بنفسها فـي الهوة السحيقة ، لأن المرأة ناقصةُ عقلٍ ودين ، والكلمة تؤثر فيها وتقلبها رأساً على عقب وتعمل فيها عملَ السيف في نحور الرجال ، ولا ننسى أن الله تعالى يقول : (يَأَيّهَـا الّـذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشّيْطَانِ وَمَن يَتّبِعْ خُطُوَاتِ الشّيْطَانِ فَإِنّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَـرِ) [سورة: النور : ٢١]

«وهذه الآية الكريمة أصلٌ في دفعِ كل المفاسدِ والمَضار ، وحمايةً لجناب النفوس الأطهار»

➢موقف المُخَبِب الفاسد :

شأنه كشأن بقية الفُجَّار يختار أعذب الألفاظ التي تكون سبباً لإي وقوع الفريسة فهو يتدرب ليل نهار كيف يكون أسوأ المثل في أن يكون «حلو اللسان عديم الإحسان» فيتكلم بكلامٍ أنعم من جلد الثعبان ، فهو يتعلم كيف يطلق أعذب الألفاظ التي تجعل الفريسة البعيدة عن الله تنطرح بين يديه ، فإذا انطرحت بين يديه افترسها بلا هوادة ، ثم رماها كالكلبة وزهد فيها زهد من في القبور لأنه يعلم علم اليقين أن قلبها خَرِبٌ وبور وما فيه من نور وأنها امرأةٌ خائنة لا وفاءَ لها.

➢قصة بعنوان «من زرع الشوك لا يجني عنباً »:

هذه القصة من واقع مؤلم وحزين أضاع حياتي وهدم مستقبلي وقضى على حياتي العائلية وفرق بيني وبين زوجي، أنا بنت من عائلة محافظة تربيت على الأخلاق والتربية الإسلامية، تزوجت من شخص محترم يحبني وأحبه ويثق فيّ بدرجة كبيرة ما طلبت شيئاً من زوجي ورفضه وقال لي لا. حتى جاء يوم وطلبت منه أن أستخدم الإنترنت. في بادئ الأمر قال لا أرى أنها جيدة وهي غير مناسبة لك، لأنك متزوجة، فتحايلت عليه حتى أتى بها وحلفت له أني لا أستخدمها بطريقة سيئة ووافق (وليته لم يوافق) أصبحت أدخل الإنترنت وكلي سعادة وفرحة بما يسليني .

مرت الأيام وحدثتني صديقة لي تستخدم الإنترنت عن الشات وحثتني على الدخول فيه، دخلت الشات هذا وليتني لم أدخله

في بادئ الأمر اعتبرته مجرد أحاديث عابرة وأثناء ذلك تعرفت على شخص كل يوم أقابله وأتحادث معه، كان يتميز بطيبته وحرصه على مساعدتي أصبحت أجلس ساعات وساعات بالشات وأتحادث معه وكان زوجي يدخل علي ويشاهدني ويغضب للمدة التي أستمر بها على الإنترنت، ورغم أني أحب زوجي لكني أعجبت بالشخص الذي أتحادث معه مجرد إعجاب وانقلب بمرور الأيام والوقت إلى حب وملت له أكثر من زوجي وأصبحت أهرب من غضب زوجي بالحديث معه، ومرة فقدت فيها صوابي وتشاجرت أنا وزوجي فأخرج الكومبيوتر من البيت غضبت من زوجي لأنه أول مرة يغضب

علي فيها «ولكي أعاقبه قررت أن أكلم الرجل الذي كنت أتحدث معه بالشات رغم أنه كان يلح علي أن أكلمه وكنت أرفض وفي ليلة من الليالي اتصلت عليه وتحدثت معه بالتليفون ومن هنا بدأت خيانتي لزوجي وكلما ذهب زوجي خارج البيت قمت بالاتصال عليه والتحدث معه، لقد كان يعدني بالزواج لو طلقت من زوجي ويطلب مني أن أقابله دائماً يلح علي حتى انجرفت وراء رغباته وقابلته وكثرت مقابلتي معه حتى سقطنا في أكبر ذنب تفعله الزوجة في حق زوجها عندما تخونه»، فقررت أن أطلب من زوجي الطلاق، بعدها أصبح زوجي يشك في أمري، وحدث مرة أن اكتشف أنني كنت أتحدث بالهاتف مع رجل وأخذ يسألني ويكثر علي من السؤال حتى قلت له الحقيقة وقلت إني لا أريده وكرهت العيش معه رغم هذا كله وزوجي كان طيباً معي لم يفضحني أو يبلغ أهلي بل قال لي أنا أحبك ولكن لا أستطيع أن أستمر معك،

بعد ذلك رجعت للرجل الذي تعرفت عليه بالشات واستمر يتسلى بي وقابلني ولم يتقدم لخطبتي حتى تشاجرت معه وقلت له إذا لم تتقدم لخطبتي سوف أتخلى عنك فأجابني وهو يضحك وقال يا غبية أنت مصدقة حين أقول لك ما أقدر أعرف غيرك وعمري ما قابلت أحلى منك وأنت أحلى إنسانة قابلتها في حياتي؟! وثاني شيء أنا لو أتزوج ما أتزوج واحدة كانت تعرف غيري .

➢قصة بعنوان «زوجة في مستشفى الأمراض النفسية» :

تعالوا معي واقرؤوا وقائع هذه القصة المشينة لامرأة متزوجة وكان منها ما كان بسبب الإنترنت وعلاقتها مع الشباب فيه حيث تعرفت على شاب في منتصف العمر واستمرت العلاقة لسنين وليست لشهور وأصبح كل منهما يعرف الآخر بوضوح تام حتى أصبح الاثنان ولنقل هي بالتحديد في حالة عشق وحب لهذا الشاب برغم أنها متزوجة وثقة زوجها الكبيرة بها وبعقلها المتفهم وبوجود أبنائها ولكن في لحظة لم تفكر بهذا كله عندما طلب الحبيب أن يلتقي بها، ظل يقنعها بأنه فقط سيكتفي برؤيتها وأنه لن يمسها بسوء فقط يريد النظر وكان له ما أراد وخرجت لتلتقي به بعد تفكير طويل وبعد الكذب على زوجها قائلة له بأنها في زيارة لواحدة من صديقاتها واقتنع الزوج لثقته بالزوجة وذهبت للمكان المحدد وركبت السيارة معه وانقضى الوقت بين كلام وضحك ولم يفعل لها شيئاً فقط كان

يريد رؤيتها، عادت بعد ذلك إلى البيت وكأنها لم تفعل شيئاً، لم تنقض فترة وجيزة إلا طلب الحبيب منها أن يراها مرة أخرى بحجة أنه يحتاجها بشدة لأنه مر بظروف صعبة وقال لها مطمئناً إنه في المرة السابقة لم يفعل لها شيئاً وأنه لو أراد بها السوء لفعل من المرة الأولى واقتنعت هي بكلامه وخرجت معه وابتعد بها بعيداً عن المدينة وهي لم تنتبه لما فعل فقد كان يريد في هذه المرة إشباع شهواته ونزواته ورغباته أخذها إلى الصحراء وفعل ما فعل ثم وبكل برود أخذها وأوصلها إلى المنزل وهي في صدمة لم تستطع الخروج منها إذ ما كانت تتوقع أن هذا ما سيفعله معها بعد وعود بعدم الأذى وعدم القدرة على الدفاع عن نفسها، ذهبت للمنزل وهي في حالة يرثى لها واكتشف الزوج جريمة زوجته وطلقها وتشرد الأولاد مع زوجة أبيهم الجديدة ووجود الأم في مستشفى الأمراض النفسية.

➢قصة بعنوان «الفراغ والإنترنت أسقطاني في الوحل» :

تقول هذه.. عيني لا تعرف النوم منذ عدة شهور فالكوابيس والهواجس تطاردني في أحلامي.. وضميري يؤنبني بعد أن أخطأت في حق زوجي وأولادي الصغار.. وسرت وراء نزواتي العاطفية ونسيت في لحظة أنني زوجة وأم، كل ذلك من أجل إرضاء غروري والشعور بأنني امرأة مرغوب فيها بعد أن أهملني زوجي وتركني وتفرغ لعمله. الفراق جعلني مدمنة على الإنترنت وتعرفت من خلاله على عشرات الشباب!! إلى أن وقعت بحب أحدهم وحصل ما حصل من الخزي والعار ورجعت أجر أذيال التعاسة والشقاء كرهت نفسي حتى أنني لا أستطيع النظر إلى المرآة لأنني أشاهد صورة شيطانة.

هذه قصة مخزية مختصرة جداً لإحدى النساء نشرتها جريدة الحدث وهي طويلة تروي من خلالها مأساتها وأنها وقعت بالوحل والخيانة بسبب الإنترنت من خلال إعجابها بأحد الشباب الذي هو في الواقع ذئب مفترس ينتظر متى ينقض على فريسته وعندما يشبع نهمه ويروي غليله منها يتركها محطمة مدمرة ويجعلها تكره نفسها وتكره الحياة، بعد أن عصت ربها وخانت زوجها ودمرت حياتها.

➢قصة بعنوان « المرأة وطبيب الأسنان » :

كانت إنسانة من أسرة محترمة وعريقة، ومتدينة نوعا ما، وكانت طوال عمرها تبحث عن المركز والمنصب، وتسعى لتحقيق أهدافها وطموحاتها إلى أن وصل عمرها أول الثلاثين ولم تتزوج.

وطبعا طلب منها الأهل حفاظا على سمعة العائلة أن تتزوج، وبالفعل اختارت زوجها بعقلها وإرادتها وتزوجا، وأثمر هذا الزواج ولدا وبنتا، ولكن الزوجة ظلت مشغولة بالمنصب والوظيفة، وأهملت نفسها وزوجها.

تقول تلك الزوجة: إنها لم تعطِ زوجها فرصة للجلوس والتحدث معها، أو الخروج معها إلى مكان ما، ولم يتضايق الزوج؛ بل كان يساعدها على النجاح، ويشاركها تربية أبنائها، إلى أن أتى يوم ذهبت الزوجة إلى طبيب الأسنان، والذي تلبسه الشيطان في ذلك الوقت، وبدأ في مغازلتها مغازلة خفيفة، بعدها قالت: إنها أعجبها الكلام، وإنها بدأت في وضع مساحيق التجميل على وجهها، وارتداء أجمل الملابس عند الذهاب إلى الطبيب؛ حتى يقول لها الكثير من كلام الغزل.

وبالطبع كان يفعل هذا الشيطان كل ما تتوقعه بل أكثر، وبقي الحال هكذا إلى أن فرطت في نفسها، وحدث ما حدث، وليس مرة بل عدة مرات، حتى أحست بأنه من حقها أن تعيش مع من تحب، واختلقت مشكلة مع زوجها الذي كان يعتذر لها عن أي شيء لم يبدر منه؛ فقط من أجل أن تعود إلى المنزل، ويتربى أبناؤهما بينهما، ولم يكن يعلم بالقطع أن زوجته قد وقعت في غرام شخص آخر .

رفضت الزوجة الرجوع للبيت، ونفذت ما أرادت (وهو الطلاق)، وبعد ذلك ذهبت إلى حبيب القلب وطلبت منه أن يتزوجها، وكان رد فعله ــ بعد أن نهرها ــ أن أخبرها أنه متزوج من سيدة محترمة لا تفرط في نفسها ، ولديه منها ثلاثة أبناء .

وقال لها أيضا: "حتى إن لم أكن متزوجا فمن المستحيل أن أتزوج من امرأة مثلك"..

وقتها بدأت تحس هذه الزوجة بأنها فقدت حياتها؛ لأنها تركت أعز وأحن شخص وهو زوجها الذي لم يعلم شيئا عما حدث، بل ما زال يحاول أن يعيدها إلى البيت، ولكنها تقول إنها تحتقر نفسها، ولن تستطيع أن تستمر معه بعد ما فعلت به، إلا أنها ستظل تحترمه طوال عمرها بعدما أحست أنه الحب الحقيقي الوحيد الذي كان في حياتها .

للأسف أحست تلك الزوجة بذلك بعد فوات الأوان ، لهذا بدأت في كتابة قصتها لتكون عبرة أمام كل من تُسَوِّلُ لها نفسها الوقوع في هذه الخطيئة ، لعله يستدرك ما فات قبل الانغماس في الآفات ، قبل أن يتسع الخرق على الراقع ، وقبل أن يستعصي الداء فلا ينفعُ دواء ، وقد قيل منذ أمدٍ بعيد : أن السعيد من وُعِظَ بغيره وأن الشقي من وُعِظَ بنفسه .

➢ والسؤال الذي يطرح نفسه الآن : من الذي فتح المجال للمُعَاكِس المُحْتال الذي هو أساس الأنذال ومنبع الأرذال ؟ أليست هي المرأةُ اللئيمة الخائنة الأثيمة ؟ إذ لو كانت تقيةً نقية ، عفيفةً حَيِيَّة ، حُرَةً أبيَّة لما استطاع المُعاكِس المُحتال أن يصلَ إليها ولو كان من أفسق عباد الله وأجرئهم على المعاصي ، وأنه لم يطمعُ فيها إلا بعد أن رأى منها اللين ولولا أنها ألانَت الجانب ما اقترب منها أحدٌ من الأجانب ، ولا أظهروا لها المخالب ، ☜والحاصلُ :أنهم لم يفترسوها إلا لأنها كانتْ ممن (إذا خلوْا بمحارِمِ الله انتهكوها) ، ولو كانت غيرَ ذلك ما اقترب منها هالك ، فلما قدَّمت اللين ، فعلوا بها الفعلَ المَشِين ، وخانت زوجَها الأمين ، فخَسِرت الدنيا والدين ، وتَعَرَضت إلى سخط الجبارِ ذِي القوةِ المتين ، صَبَّ الله عليها أشدَّ العذابِ في كلِ وقتٍ وحين ، وأذاقها ألواناً شتى من العذاب المُهين حتى تكون عبرةً للناس أجمعين .

☜إلى هذه المرأة اللئيمة الخائنة الأثيمة ، هذه المرأة التي تسلقت جدران العفة، وتعرفت على شاب غريب عنها، ولم تراع عند ذلك حياءً ولا خجلاً قد انسلخت من فطرتها، وخلعت جلباب حيائها وثوب عفتها .

☜أقولُ لها :

[*] هل سَيْطَرت الدناءةُ على نفسِكِ في كلِ حال ، ألم تَتْرُكْ الخِسةُ منكِ شيئاً يُقال ، يا من أهدرتِ كرامةَ زوجِكِ من أجلِ رجلٍ مُحْتال ، خَوَّانٍ مُخْتَال ، أفَّاكٍ من الأرذال ؟ وأنتِ أخْبَثُ منه بكلِ حال ، لأنَّكِ التي فتحت له المجال ، ومنحتيه السلاح القتَّال ، ليهدِرَ كرامةَ زوجك بين الرجال ، فأهدَرَ كرامَته بكلِ اختيال ، صبَّ الله عليكما لعائنَه تترى من غيرِ انفصال ، وسلَّط عليكما ذُلاً تتقلبون فيه في الحالِ والمآل ، وأصابكما بمصائبِ عِظامِ أمثال الجبال ، ودمركما ببطشِ شديدِ المِحَال ، وصيّر الله كَيدكم في ضلال ، وأمركم إلى زوال ، ونعمتكم إلى انتقال، وجدَّكم في سفال ، وعافيتكم إلى شر مآل ، يا منبع الأنذال والأرذال ، جزاءاً

بما انتهكتم محارمه بكلِ احتيال ، وألحقتم بعبدهِ الخزي والنكال ، والذُلَ والوبال ، اعلموا أنه من خان الله سراً هتك سِتْرَه علانيةً لا مَحال ، فإنها سنةُ الكبيرِ المُتعال ، في هتكِ سِتْرِ المُحتال هتكاً بيناً لا يَخْطُرُ على بال ، هتكاً واضحاً يزول معه أي لَبْسٍ أو إشكال ، ولا ينفعُ معه حِيْلَةً أو جِدال ، أسأل الله أن يَكِبَّكُم على وجوهِكم في النار، وأن يجعل مأواكم دار الخزي والبوار ، وأن يصليكم نار جهنم وبئس القرار *

وأنتِ يا مَنْ أعْمَاكِ سوادُ قلبكِ عن رؤيةِ قُبْحِ الفِعال ، يا من ران على قلبها قبائح الأعمال ، يا من ضُرِب على قلبها وسمعها من الذنوب أقفال ، هل تعرفين ما فعلتِ بزوجكِ في هذا الحال ؟ من الذلِ والوبال ، والخِزي والنكال ؟ أتى الذلُ منكِ لزوجكِ فوق ما يخطرُ ببال أو يدور في الخيال ، فصار زوجُك خَصيمكَ عند ربكِ الكبيرِ المُتَعال ، يقتصُ منك على سوءِ الحالِ وقُبْحِ الفِعَال ، و يقتصُ منك على ذَنبكِ العِضال وجُرْمِكِ القَتَّال ، و يقتصُ منك على أن أهدرتِ كرامَتَه بين الرجال ، فصار مَذْلولاً بكلِ حال ،اعلمي علم اليقين أنك ستذُوقين عاقبة بَغيكِ لا مَحال ، في الحالِ والمآل *

لقد نَكَّستِ رأسَه بين الرجال ذليلاً ، وحكايتَه صارت أُحْدُوثةً لكل قِيلا ، فكان بِجُرْمِكِ قَتِيلا ، فكيف بك إذا سألك الجبارُ عن هذا الفعلِ الوبيلا ، ثم لم تجدي لكِ مَقِيلا ، فلم تجدي للسؤالِ جوابا ، ولا للجوابِ صوابا ، ولا تملكين حينذاك توبةً أو مآبا ، فأُسقط في يَدَيْكِ ، ولا ينفعُكِ من حوَالَيْكِ ، فعند الله تجتمعُ الخصوم ، ويُقْتَصُ من الظالمِ للمظلوم ، هنالك ينتصرُ زوجُك لجُرحِه المَكْلوم وحق كرامَتِهِ المهضوم من فعلك المشئوم *

لماذا الميلُ إلى الحرام ، يا مَنْبَعَ اللئام ، يا شرَ الأنام ، يا نَفْساً مفلوتةً بلا خِطَام ، ولماذا الإقدامُ على هذا الإجرام ، ولماذا لم يُوَفِقكِ الملكُ العلاّم إلى الإحجامِ عن الرزايا والآثام ، هل سألتِ نفسكِ عن ذلك ؟ أما زال لديكِ بقيةُ إفهام ! أهو من سَوَادِ قلبكِ أم كان على قلبكِ أختام ؟ ،

يا مَنْ استَهَانَتْ بمراقبةِ الملكِ العلاّم ، الحَيِّ القَيُّومِ الذي لا يغفل ولا ينام ، كيف نسَيْتِ عِقَابَ رَبُكِ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّواصِي وَالأَقْدَامِ ، أمَا عَلِمْتِ أن الله عزيزٌ ذو انتقام ، سَيُهْتِكُ الله سِتْرَكِ يوماً مَا مهما مَرَتْ السنون وانْصرَمَتْ الأيام ، جزاءاً على هذا الإجْرام ،

اعلمي أن الله لا يُسَدِدُ صنيعَ من خان ولا يجعله أبداً يعيشُ في أمان وسَيَهْتِكُ سِتْرَه في أي زمانٍ أو مكان ،

☜يا مَنْ صار قلبها من الخراب بُور ، يا من فرحت بخائنةَ الأعين وكأنها ليست من دواهي الأمور !!، وكأنها أمرٌ مباحٌ غير محظور!! ، يا مَنْ تناست بشؤمها أن الله تعالى (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) [غافر : ١٩] ، أما تفكرتِ في قبركِ المحفور وما فيه من الدواهي والأمور تحت الجنادل والصخور ، أما أعددتِ جواباً للعزيزِ الغفور حين يسألكِ عن دواهي الأمور ، هنالك تعلمين مُوقِنَةً أنك ما كنت إلا في غرور ، فتندمين ندماً لا يخطرُ على الصدور ، ولا يُكْتَبُ بالسطور ، لكنه ندمٌ لا يدفع ولا يمنع ولا ينفعُ في أي أمرٍ من الأمور .

☜يا مَنْ سَقَطَتْ في الخيانةِ بِمَسْلَكِهَا المشين ،وكانت ممن قال الله فيهم :

(وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) ، اعلمي علم اليقين أنَّ الله تعالى سَوف يُظْهِرُ الحقَ ولو بعد حيْن ، ولو طَال ذلك الحيْن إلى بِضْعِ سنين ،

فالموعدُ (الآن حصحص الحق) حينما يأذن خالقُ الخلق ، فيأذنُ للقَضَاء أن يَكْشِفَ الغِطاء ، فانكشَفَت السرائر وبَدَتْ سَقَامَةُ الضمائر ، وَهُتِكَتِ الحُجُبُ وَالأَسْتَار وَظَهَرتْ العُيُوبُ وَالأَسْرَار .

☜وهنا نذكر آيةً من كتاب الله تعالى لو كتبت بماء الذهب لما وفيْناها حقها لأنها تحافظ على الأخيار وتدفع شر الأشرار .

قال تعالى : (يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشّيْطَانِ وَمَن يَتّبِعْ خُطُوَاتِ الشّيْطَانِ فَإِنّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ) [سورة: النور : ٢١]

➢قصة بعنوان « دموع خلف القضبان»

➢تقول إحدى الضحايا:

(المعاكسة أدخلتني السجن..) :

بعد أن فقدَت كل شيء..؛ وقفت إحدى الضحايا لتقول:

(دخلت السجن بجريمة الزنا، والسبب معاكسة هاتفية رفضتها أولاً، واستجبت لهـا بعـد إلحاح المعاكس ، وذلك أن زوجي يعمل لأوقات طويلة، وأحياناً يقضي الليل في عمله؛ وفي هذه الأوقات بدأ شخص ما بمعاكستي بالهاتف.

كنت في البداية أرفض هذه المعاكسة، وأغلق الهاتف في وجهه، ولكنه كان مصراً علـى الاتصال ؛ خِفْتُ أن أخبر زوجي ولا يفهمني إذ كان بيننا بعض المشكلات؛ ونظـراً لكـوني وحيدة وإصرار المعاكس استجبت له، وتطوّرت المعاكسة إلى تعارف، ثم طلب لقائي خارج المنزل، قلت له: لا أستطيع أن أخرج.

ولأن زوجي يعمل أحياناً في الليل، هيّأت له أن يدخل المنزل عندما ينام الجميع.. وتكـررت زياراته الليلية حتى شاهده الجيران ؛ فأبلغوا والد زوجي الذي أخبر زوجي بـدوره؛ فلـم يصدق في البداية.. حتى نصبوا لنا كميناً مع الشرطة التي ضبطته يخرج مـن المنـزل ، وكانت نهايتي السجن.

بالطبع طلّقني زوجي ؛ وفقدت أسرتي وأطفالي ؛ وما كان حصادي إلا الندم ؛ ولا أعـرف من ألوم؟!...

نفسي؟ ؛ أم الشخص المعاكس ؟ أم الهاتف؟) ا هـ .

كانت هذه الكلمات اعتراف باحَتْ به إحدى ضحايا المعاكسات، قد تسـببّت معاكسـة فـي تحطيم حياتها وضياع أسرتها، وفضيحتها بين الناس، حتى صارت الفضيحة قرينة لاسمها كلما ذكر؛ ولكن هل انتهى الموضوع عند هذا الحد؟!.

كلا، إن الموضوع لم ينته بعد ؛ بل زاد على ذلك وصمة العار التي سـتلاحق أبنـاء هـذه المرأة حين يُعَيَّرون بأمّهم التي سجنت بسبب فعلتها النكراء ؛ ولك أن تتصور موقف هؤلاء الأبناء حين تشير إليهم الأصابع ، ويلمزهم الناس بأنهم أبناء فلانة..!.

ولك أن تتصور موقف الأب إذا اسودّ وجهه ، وطأطأ رأسه خجلاً وذِلَّة بسبب فعلة ابنته.

وما هو حال إخوتها إذا ذكرت قصة أختهم في المجالس، وتندّر بها المتكلمون؟.

وما هو حال شقيقاتها وأزواجهن حين تكون هذه المرأة خالة أولادهم؟ ..

وما هو موقف أبناء شقيقاتها إذا قيل : إن فلانة خالتهم، هل سيطيقون ذلك أو سيضـيقون بها ذرعاً كلما ذكرت بأنها خالتهم؟.

وهو حال أبنائها وبناتها التي تسبب لهم بعد الذل والوبال الصدمات النفسية التي تـرافقهم طوال حياتهم حتى إنهم لا يستطيعون الثقة بأي أحد فتصبح حياتهم جحيم وهآنذا لأقدم لـك هذه القصة بما فيها من مأساة لتعلم كيف تسببت امرأةٌ خائنة في شِقْوَةِ أبنائها وبناتها .

➢قصة بعنوان «أمٌ خائنة» :

☜كان هناك طبيب نفسي يعالج فتاة منذ كان عمرها سبع سنوات، كانت تلـك البنـت قـد ائتمنته على سر لم يعلمه أحد، وهو أنها كانت شديدة التعلق بالأم ، خاصـة أنهـا البنـت الوحيدة مع أخوين يكبرانها في العمر.. كانت طوال الوقت بجوار الأم ، وتريدها أن تكـون هـي أيضـًا معهـا دائمـًا.

لكن تلك الفتاة وجدت أن أمها تكون في غياب الأب مع رجل آخر، يتبادلان العناق والقبلات أمامها، ويعاملها كأنها زوجته ، وكانت البنت تعتقد بأنه يضرب أمها التي تحبهـا وتتعلـق بها.

بعد أن أمضت البنت سنوات من عمرها في العلاج النفسي ، ما زالت تعاني حتى الآن بعـد أن وصلت أمها إلى عمر الكبر من أنها لا تستطيع أن تبرها ؛ لأنها دائمـا تحـس بأنهـا السبب فيما حدث لها ، بل إنها تحس بأن أمها دائما كانت خائنة للأمانة التي ائتمنها عليها زوجها.

لم يقف الموضوع إلى هذا الحد، بل إن البنت بدأت تشك في نسبها ، وتريد أن تقوم بعمـل تحاليل لمعرفة من هو والدها، إلا أن طبيبها يمنعها من فعل ذلك.

ولم يقف فساد الأم إلى هذا الحد بل طال الأبناء الذكور أيضا، فالولد الكبير تعيش زوجتـه في جحيم لأنه يشك فيها طوال الوقت ، ولا يستطيع أن يعطيها الأمان لما كان يشاهده أمام عينيه، أما الأخ الأصغر فقرر عدم الزواج نهائيا حتى لا يظلم معه أحدا.

➢قصص لابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار:

➢أورد ابن القطعة رحمه الله تعالى في ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار عن أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية ، وكان عمره ستا وثلاثين سنة – وكان لـه فـرس ، فقال لقواده : بماذا يصلح هذا الجواد ؟

قالوا : يُغْزَى عليه في سبيل الله تعالى .

قال : لا .

قالوا : فيطلب عليه العدو قال : لا .

قالوا : فماذا يصلح أيد الله الأمير ؟

قال : يركبه الرجل ، فيهرب من الجار السوء والمرأة السوء .

➢وأورد أبو بكر الخلال رحمه الله تعالى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن بعض المشايخ كانت له زوجة سوء .. وكانت لا تزال تهينه في كل وقت ، وتأخذ من عرضه وهو صابر عليها .. فلما كان في بعض لأيام ، أخذ المصحف الشريف على عادته كي يقرأ .. فأول ما فتحه وجد فيه (يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ . ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ)[الزخرف ٦٨ : ٧٠] ، فوضع المصحف من يده على كرسيه ثم قال : اللهم لا تفعل ، اللهم لا تفعل ، اللهم لا تفعل ، أسألك بهذا الكتاب العزيز ، وبكل كتاب أنزلت ، وكل نبي أرسلت ، اللهم لا تفعل .. وجعل يقسم على الله تعالى ،

فقالت له زوجته : ما بك يا رجل ؟ وما الذي دهاك ؟ فإني أراك تقسم على الله – سبحانه وتعالى – بهذه الأقسام ..؟

فقال : يا امرأة ، وكيف لا أقسم وقد قال الله – عز وجل – : (أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ) فإنني في هذه الدنيا التي هي ساعة لا أقدر أن أقاسمك فيها ، فكيف يكون في دار الأبد الأزلي ؟

قالت : يا رجل لا تدع الله بهذا فإنني تائبة وإني لا أعود إلى مثل ذلك ، ولا أوذيك ، ولا أشغل لك قلباً ، ولا أضيق لك صدراً في الدنيا ولا في الآخرة إن شاء الله تعالى ، لعل الله سبحانه يجمع بيننا في الآخرة .

➢وأورد أبو بكر الخلال رحمه الله تعالى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن بعض الصالحين أنه كانت له زوجة ، وكانت سليطة اللسان عليه ، وكانت تبتليه بأشد البلاء فلما ماتت ، وقف على قبرها وقال:

أشهدوا علي رحمكم الله أنها طالقة مني ثلاثاً ؟

قالوا : ويحك إنها قد بانت منك ، وهى طالقة منك شئت أم أبت ، فما يحتاج إلى ذكر ذلك ؟ فقال : بلى ، خيفة أن تكون زوجتي في الجنة ، فإني لقيت منها في هذه الدنيا ابتلاءاً شديداً ، والله سبحانه وتعالى – أكرم من أن يعذبني بها في الدنيا والآخرة .

ولآخر في زوجته:

لقد كنت محتاجاً إلى موت زوجتي ولكن قرين السوء باق معمر
فيا ليتها صارت إلى القبر عاجلاً وعذبها فيه نكير ومنكر

أورد ابن القطعة رحمه الله تعالى في ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار أن عيسي عليه السلام لقي إبليس وهو يسوق خمسة أحمرة عليها أحمال . فسأله عن الأحمال ، فقال تجارة أطلب لها مشترين . وكان الحمل الخامس هو الكيد . فسأل عيسي إبليس : ومن يشتريه ؟ قال : النساء.

وأورد ابن القطعة رحمه الله تعالى في ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار أن رجل قال لحياة بنت شريح : أريد أن أتزوج ، فما ترين ؟

قالت : كم المهر ؟

قال : مائه دينار .

قالت : لا تفعل ، لك أن تتزوج بعشرة دنانير ، فإن وافقتك ربحت تسعين ديناراً وإن لم توافقك تزوج أخرى ، فلا بد في عشرة نسوة أن توافقك امرأة واحدة.

[*]مراجع الكتاب :

(١) القرآن الكريم

(٢) صحيح البخاري

(٣) صحيح مسلم

(٤) صحيح أبي داود

(٥) صحيح الترمذي

(٦) صحيح النسائي

(٧) صحيح ابن ماجة
(٨) صحيح الأدب المفرد
(٩) صحيح الجامع
(١٠) السلسلة الصحيحة
(١١) صحيح الترغيب والترهيب
(١٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم
(١٣) الآداب الشرعية لابن مفلح .
(١٤) أدب الدنيا والدين للماوردي .
(١٥) ذم الهوى لابن الجوزي .
(١٦) صيد الخاطر لابن الجوزي .
(١٧) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم .
(١٨) اعتلال القلوب للخرائطي .
(١٩) ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار لابن القطعة .
(٢٠) سلسلة من أخطاء النساء المتعلقة بالحب الحرام للشيخ ندا أبو أحمد .
(٢١) تفسير ابن كثير :
(٢٢) تفسير القرطبي :
(٢٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري :
(٢٤) شرح مسلم للنووي :
(٢٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير .
(٢٦) الفتاوى لشيخ الإسلام :
(٢٧) الكبائر للذهبي :
(٢٨) زاد المعاد لابن القيم :
(٢٩) مدارج السالكين لابن القيم :
(٣٠) الجواب الكافي لابن القيم :
(٣١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم :

(٣٢) روضه المحبين ونزهه المشتاقين لابن القيم :
(٣٣) نيل الأوطار للشوكاني :
(٣٤) أحكام النساء لابن الجوزي :
(٣٥) تنبيهات على أحكام تختص بالمؤمنات للدكتور صالح الفوزان :
(٣٦) عوده الحجاب للدكتور محمد إسماعيل المقدم :
(٣٧) حلية الأولياء لأبي نعيم :
(٣٨) الزهر الفاتح لابن الجزري :
(٣٩) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي بكر الخلال :

الموضـــــــــــــوع	رقم الصفحة
مقدمة	١
باب التنبيهات الهامة لإصلاحِ نساءِ الأمة	١٣
متى يظهر معدن المرأة الحقيقي ؟	١٥
هل يجوز للمرأة أن تكلم رجلاً أجنبياً بغير إذن زوجها :	٢٣
ما هي أصناف النساء في حفظهنَّ لغيبة زوجها :	٢٤
ما هو منهج المرأة الفاسدة في تعاملها مع زوجها :	٢٧
وسائل هدم البيوت :	٣٣
ذنوب الخلوات تكون سبباً في هتك الستر :	٣٦
فتنة النساء وكيفية النجاة منها :	٣٨
أروع القصص للصادقين في العفاف :	٤٢
المكافأة في الآخرة لمن صان نفسه عن الحرام في الدنيا :	٤٦
وسائل حماية المجتمع من خطر فتنة النساء :	٥٣
(أولاً) شرع الله تعالى الحجاب ونهى عن التبرج والسفور :	٥٤
(ثانياً) جعل قرار المرأة في بيتها هو الأصل :	٧٨
(ثالثاً) أمر الله تعالى بالاستئذان على النساء:	٨٥

(رابعاً) النهى عن إطلاق البصر في المحرمات، والأمر بغض البصر:	٨٥
(خامساً) نهى عن الخلوة بالمرأة الأجنبية :	٩٢
(سادساً) نهى عن سفر المرأة لوحدها بلا محرم :	٩٤
(سابعاً) عدم اختلاط المرأة بالرجال :	٩٥
(ثامناً) لا تُكلَّم النساء إلا بإذن أزواجهن :	١١١
(تاسعاً) النهي عن مصافحة النساء :	١١٣
(عاشراً) نهى المرأة عن الخروج من منزلها متعطرة :	١١٤
(الحادي عشر) نهي المرأة عن الخضوع في القول في مخاطبة الرجال الأجانب:	١١٥

الموضـــــــــــــوع	رقم الصفحة
باب صفوة مسائل العشق الحرام	١١٥
تعريف العشق :	١١٦
تعريف الحب :	١١٧
أنواع الحب :	١١٨
المحبة جنس والعشق نوع :	١٢١
أسباب العشق :	١٢٢
ذم العشق :	١٣٥
أضرار العشق :	١٤٦
ذكر من ألقى به العشق في الهاوية :	١٧١
كيفية التوبة من العشق :	١٧٢
الأسباب المعينة على ترك العشق :	١٧٣
(١) الدعاء:	١٧٤
(٢) غض البصر:	١٨٦
باب زلَة الأقدام في العشق الحرام	٢١٢
نداء إلى من يزين الشيطان له أنه جميل جذاب	٢١٢
من الذي يفتح المجال للعشق الحرام الرجل أم المرأة :	٢١٣
كيف يقع العشق المحرم :	٢١٧
ماذا تصنع المرأة الفاسدة لتصل إلى معشوقها :	٢١٩
سوء عاقبة المرأة الفاسدة التي قبلت الإفساد على زوجها :	٢٢٠
باب جريمة إفساد المرأة على زوجها	٢٢٣
الترهيب من إفساد المرأة على زوجها :	٢٢٤
حكم المرأة التي تقبل التخبيب والإفساد على زوجها :	٢٣٠
◆ أصناف النساء في حفظهنَّ لغيبة أزواجهن :	٢٣٦

الموضـــــــــــــوع	رقم الصفحة
التفسير الشرعي لامتداد عين المرأة اللئيمة إلى غير زوجها :	٢٣٩
قصص مأساوية دامية لسوء عاقبة التخبيب :	٢٤٧
قصص لابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار:	٢٦٩
مراجع الكتاب	٢٧٣

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت

أستغفرك وأتوب إليك

﴿ تم بحمد الله تعالى ومنته ﴾